جورج أديب كرم

أحزاب اللبنانيين وجمعياتهم

في الربع الأول من القرن العشرين



دار النهار

جورج أديب كرم

أحزاب اللبنانيين وجمعياتهم

في الربع الأول من القرن العشرين

(١٩٠٨-١٩٢٠)



الطبعة الأولى، شباط ٢٠٠٣
ص ب ٢٢٦-١١، بيروت، لبنان
فاكس ٥٦١٦٩٣-١-٩٦١
ISBN 2-84289-413-8

المحتويات

تمهيد

١ . الأحزاب والجمعيات في الربع الأول من القرن العشرين

كشفت لنا محاولاتنا التقميشية[1] المتعلقة بموضوع أطروحة الدكتوراه التي نلناها من جامعة السوربون في نهاية السبعينات، والدائرة على تاريخ قضية لبنان غداة الحرب العالمية الأولى (١٩١٨-١٩٢٠)، عن وجود ظاهرة اجتماعية-سياسية، برزت بين اللبنانيين، في الوطن وفي بلاد الاغتراب خاصة، هي عبارة عن هيئات تكتل أفرادها، إجمالاً، في إطار ثلاث تسميات: الأحزاب، الجمعيات، اللجان ... كانت الغاية منها، الاهتمام بالقضية اللبنانية، لا سيما بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى، وانعقاد مؤتمر الصلح في فرنسا، لحلّ مشاكل ما بعد الحرب.

وتكشف لنا، في اثناء تحرياتنا، ان بعضاً من هذه التكتلات ظهر قبل فترة اهتمامنا (١٩١٨-١٩٢٠)، وذلك في مرحلتين: واحدة بدأت في أواخر العقد الأول من القرن العشرين، وتحديداً بعد سنة ١٩٠٨، تاريخ وصول حزب الاتحاد والترقي الى السلطة في الآستانة، والثانية بوشرت في العقد الثاني من القرن العشرين، وتحديداً مع نشوب الحرب العالمية الاولى (١٩١٤-١٩١٨). وعليه، تكون هذه الظاهرة، اللافتة في تاريخ المجتمعات اللبنانية قد نشطت، زمنياً، في الربع الاول من القرن العشرين، ومرت بثلاث مراحل، دامت الاولى ست سنوات (١٩٠٨-١٩١٤)، والثانية اربع سنوات (١٩١٤-١٩١٨) والثالثة

اكثر من سنتين (١٩١٨-١٩٢٠).

ولفت انتباهنا، في هذه الظاهرة، انها اتخذت منحى تنظيمياً استوحي، دون شك، من بنية الأحزاب العاملة في الدول المتطورة، او التي هي على طريق التطور، من حيث تولي شؤونها هيئة إدارية، قوامها: رئيس وامين سر واحياناً نائب رئيس؛ ومن ارتكاز الاهم منها على برنامج يخدم الغاية من تأسيسها.

استأثر هذا الحدث، المجهول في العديد من مظاهره في الأوساط اللبنانية، على ما نرجح، والجديد في نشاطات اللبنانيين السياسية، باهتمامنا واستهوانا. فرأينا ان نعالجه، في حدود المستطاع. فكانت هذه المحاولة.

٢. الانسان والتحزب

الإنسان مدفوع، بحكم تنوع مصالحه، وتعدد نزعاته، الى التحزب. والحزب، لغة، الجماعة من الناس. وحزب الرجل، أعوانه، اي جماعته. والجماعة قوم تشاكلت مصالحهم ونزعاتهم، فالتفوا، بعضهم على بعض، للتعاضد والتناصر. والحزب، اليوم، تكتل حول برنامج، يعتمد لتأليف تجمع سياسي يسعى، اجمالاً، الى تولي السلطة.

من المرجح ان تكون هذه الظاهرة قد برزت، اول الامر، حول شخص ذي مكانة، قوامها قوة الشخصية اولاً، والإمكانيات المادية ثانياً. وكان من الطبيعي ان تنتقل مثل هذه المكانة الى أفراد اسرة الشخص القوي، مما ساعد على تكوين اسر مميزة، تمتعت بنفوذ قوي في مجتمعها، الامر لذي اكسبها صفة الزعامة بمعناها القيادي، وأعطاها قوة جذب لسائر الناس، فتكتلوا حولها بدوافع متعددة، كالانجذاب النفسي، وتأمين المصالح وايجاد العضد. وبما ان امراً كهذا لا يمكن ان ينحصر بشخص واسرته، تعددت التكتلات والتجمعات المرتكزة على العصبية، والتي سعى كل منها الى استقطاب اكبر قدر من المحازبين والمناصرين، ليكونوا عوناً له على مناوئيه، نظراً الى ان هذه الأحزاب كانت تتنافس فيما بينها، مما يجرها الى التخاصم فالتقاتل. وتمكن بعض زعماء هذه العصبيات الحزبية من الوصول الى السلطة في مجتمعهم، فكان عليهم ان

يقووا أحزابهم لتعضدهم في منازعاتهم مع خصومهم، الذين كانت لهم هم ايضاً أحزابهم، والتي كانوا يعززونها ايضاً ليتمكنوا من الصمود بواسطتها.

والمجتمع اللبناني، كسائر المجتمعات عرف هذه الظاهرة، التي دخلت اكثر مناطقه، وتغلغلت بين معظم فئاته، وذلك منذ العصور الوسطى.

وكان علينا ان نختار عنواناً لمحاولتنا هذه. فبعد استعراض بعض العناوين، استناداً الى بنية الموضوع، وقع اختيارنا على العنوان التالي: «أحزاب اللبنانيين وجمعياتهم في الربع الأول من القرن العشرين (١٩١٤-١٩١٨).»

٣. عنوان الدراسة

لماذا صيغ العنوان بهذا الشكل، ولم يدوّن بشكل آخر، مثل «الأحزاب اللبنانية»، او «أحزاب لبنان»؟

ان هذه الدراسة تحاول الإحاطة بمجمل تطلعات اللبنانيين السياسية في حقبة معينة من تاريخهم. والسعي الى تحقيق هذا الهدف لا يتم الا في اطار العنوان المعتمد. ذلك ان محاولة درس هذا الموضوع انطلاقاً من احد هذين العنوانين، يفرض حصره في حدود الكيان اللبناني لتلك الفترة. والوجود السياسي اللبناني، خلال الفترة الممتدة من عام ١٩٠٨، تاريخ تسلم حزب الاتحاد والترقي السلطة، وإعادة إعلان الدستور في الإمبراطورية العثمانية، حتى اول ايلول ١٩٢٠، تاريخ الإعلان عن إنشاء دولة لبنان الكبير، كان متجسداً بالمتصرفية القائمة اساساً على القسم الاكبر من الجبل. وقد ادى هذا الرسم للحدود اللبنانية وتكريسها دولياً، الى ترك اقسام من ولاية بيروت والاقضية الاربعة خارجها، التي تشكل، اليوم، جزءاً لا يتجزأ من الوطن اللبناني. فلو اعتمد احد العنوانين المذكورين اعلاه، لوجب حصر البحث في نطاق متصرفية جبل لبنان، وإهمال ما برز منه خارجها. ومن ناحية ثانية، فإن ابرز نماذج هذه الظاهرة نشأت وازدهرت خارج الحدود اللبنانية، بين المهاجرين اللبنانيين، والسوريين، الذين تكتلوا مجتمعين ومنفصلين، في اطار هذه الأحزاب والجمعيات، وذلك، اما سعياً وراء هدف سياسي يتطلب تحقيقه جهداً طويلاً، مثل تطبيق مبدأ اللامركزية

في المقاطعات العربية، والإبقاء على الوجود اللبناني المميز، واما لغرض ظرفي فرضه حدث معين، كطرح القضية اللبنانية على طاولة المفاوضات لحلّها مجدداً في مؤتمر الصلح، اثر انتهاء الحرب العالمية الأولى.

هذا، وتجدر الإشارة اخيراً الى ان تطلعات سكان المناطق التي تشكل لبنان الحالي، عبر الاحزاب والجمعيات وخارجها، لم تكن واحدة ولم تكن كلها تسعى الى اقامة الوطن اللبناني الحالي. من هنا انخراط الكثير من اللبنانيين، مع فئات من الاقطار العربية الأخرى، في هيئات تتعدّى الحدود اللبنانية وتسعى لاقامة كيانات سياسية غير تلك التي رأت النور غداة الحرب الكونية الاولى. وتدخل هذه الاحزاب في نطاق بحثنا ودراستنا.

اذن اعتماد مثل هذه الصيغة، عنواناً لبحثنا، وحده يفي بالمطلوب.

وتحقيقاً لغرض هذه المحاولة، رأينا ان نجعلها ستة فصول: الاول خصص: للبنان والأحزاب قبل العمل بالدستور العثماني؛ الثاني: لظهور الأحزاب؛ الثالث: لمظاهر الأحزاب والجمعيات اللبنانية؛ الرابع: لمظاهر الاحزاب والجمعيات اللبنانية-السورية؛ الخامس: لمظاهر الأحزاب السورية؛ السادس: لمظاهر الأحزاب العربية؛ إضافة الى علاقات الأحزاب والجمعيات بعضها ببعض، وخاتمة، فخلاصة.

هوامش أحزاب اللبنانيين وجمعياتهم

١. التقميش هو البحث والتفتيش عن شتى الآثار التي تركها السلف والمعروفة اصطلاحاً «بالأصول»، وهي المادة الاولية لكتابة التاريخ، تليها المراجع. لمزيد من التفاصيل راجع اسد رستم، «**مصطلح التاريخ**».

الفصل الأول

لمحة عن الأحزاب قبل العمل بالدستور العثماني

تسمح الأصول والمراجع المتوفرة، والمتعلقة بتاريخ الأحزاب اللبنانية قبل العمل بالدستور العثماني، بتمييز حقبتين في تاريخها: بعد دخول النصرانية، وأثناء سيطرة الدول الإسلامية.

اولاً: بعد دخول النصرانية

وصلت المسيحية لبنان، دون صعوبة تذكر، فلاقت فيه ارضاً ملائمة لها، وتم هذا الامر في عهد الرسل[1]. دخلت اولاً صور، ثم بلغت صيدا، وذلك في القرن الاول للميلاد. وفي القرن الرابع، غدت بيروت، مركزاً اسقفياً[2]. وفي مطلع هذا القرن (سنة ٣١٣)، أعلن الإمبراطور قسطنطين حرية الاختيار الديني، فتمكنت المسيحية من الانتشار في جميع المناطق.

حزبا الموارنة والملكية

ظهر في تلك الحقبة حزبان اثنان فقط، هما: حزب «الموارنة»، وحزب «الملكية». ورد ذكرهما في مؤلفات الذين دوّنوا أخبار وأحداث هذه الحقبة التاريخية، أمثال السمعاني والدويهي والدبس... قال البعض انهما كانا حزبين بعيدين عن الأمور الدينية، فاهتما بالشؤون الدنيوية من مدنية وسياسية. وذكر البعض الآخر انهما كانا دينيين اولاً، ثم تطورا، فأهملا القضايا الدينية، وحصرا

اهتمامهما بالمسائل الدنيوية .

ونذكر هنا ايضاً ان ابن القلاعي اورد في «زجليته» الشهيرة، ان «احزاباً» اخرى ظهرت في شمالي لبنان، فيما بعد[٣].

ثانياً: أثناء سيطرة الدول الإسلامية

اقتصر فتح العرب المسلمين في لبنان على السهول، دون الجبال الحصينة، الممتنعة على الغزاة، فكان فتحهم فيه، على ما قاله البلاذري، «فتحا يسيراً». وأُدخل لبنان في إطار إمبراطوريتهم، فتبع جند دمشق، احد الأجناد الخمسة التي تألفت منها بلاد الشام، وفق التدبير التنظيمي الذي اتخذه أسياد المنطقة الجدد، باستثناء قسم جنوبي منه تبع جند الأردن[٤].

دخل الإسلام، اول الأمر، الجزء الجنوبي من جبل لبنان، حيث سكن النبط والعرب. وبقي سكان الأقسام الشمالية من الجبال اللبنانية، على مسيحيتهم. ولم يلبث الدين الجديد ان نفذ الى المدن الساحلية: صور، صيدا، وطرابلس.

مرّ تاريخ الأحزاب السياسية في لبنان، أثناء سيطرة الدول الإسلامية، بمرحلتين، تميزتا بظاهرة الثنائية الحزبية: مرحلة الحزب القيسي والحزب اليمني، ومرحلة الحزب اليزبكي والحزب الجنبلاطي.

١. الحزب القيسي والحزب اليمني[٥]

نشأ هذان الحزبان في بلاد الشام، بعد الفتح العربي، وكانت قد أتتها قبائل هاجرت اليها من بعض مناطق شبه الجزيرة العربية، وذلك قبل الفتح العربي وبعده. استوطنت سوريا، قبل الفتح العربي[٦]، قبائل جاءتها من جنوب شبه الجزيرة، او من اليمن[٧]، فدعيت باليمنية[٨].

وفي زمن معاوية، قدمت سوريا، من وسط شبه الجزيرة العربية، مجموعات عربية اخرى، تنتمي الى قبيلة قيس عيلان[٩]. وقد ساءها ما رأته من تحالف وثيق قائم بين معاوية والقبائل اليمنية، وبنوع خاص مع الفرع المنتسب الى بني كلب منها[١٠]، فناصبت اليمنيين جميعاً العداء. ومع تقدم الزمن اشتد العداء بين

الطرفين، ودام طويلاً، فانبثق عنه الحزبان او «الغرضان» القيسي واليمني.

اما دخول هذين «الغرضين» الى لبنان، فيرجح انه حصل بمجيء القبائل العربية الى الجنوب منه والبقاع، وتوطنها فيهما[١١]. ومن المرجح ان تكون هذه العملية قد تمت على مراحل، وامتدت على أربعة أجيال (من القرن الثامن، الى القرن الثاني عشر). ولم يلبث هذان الحزبان ان اخذا ينفذان الى مختلف الفئات اللبنانية بصرف النظر عن انتماءاتها العرقية والطائفية، اذ انخرط فيهما أكراد وتركمان[١٢]، إضافة الى عرب، ودروز وسنة وشيعة وملكيين وموارنة. وهؤلاء مثلاً مالوا الى «الغرضين»، قبل ان تصبح مقاطعتهم الشمالية جزءاً من الإمارة المعنية، مما احدث بعض المنازعات فيما بينهم، ادت الى نشوب بعض المعارك[١٣].

هذا ولم يتبلور وجود الانقسامين الا في عهد السيطرة العثمانية، اي عندما بدأ الكيان اللبناني المتوحد يبرز الى الوجود، على يد المعنيين اولاً، والشهابيين ثانياً. فاذا بالحزبين يُدخلان في اطاريهما حكام المقاطعات اللبنانية ومن ناصرهم من العامة. فالحزب القيسي، الذي تزعمه التنوخيون اولاً، والمعنيون ثانياً[١٤]، والشهابيون اخيراً[١٥]، استقطب آل ابي اللمع وآل القاضي، وآل تلحوق، وآل زيدان[١٦] وآل حرفوش، وآل حمادة، وآل الخازن، وآل حبيش، وآل الضاهر، وآل سعد الخوري، وآل العازار. اما الحزب اليمني، فقد احتوى، بقيادة آل علم الدين[١٧] وآل ارسلان[١٨]، آل هرموش، وآل قائدبيه[١٩] وآل المعلوف، وآل علي الصغير[٢٠]، وآل حيمور[٢١]. وانقسمت العشائر المارونية المقيمة في العاقورة بين الغرضين، القيسي واليمني.

كان لا بد لهذين الحزبين المتنافسين من ان يتخاصما ويتصادما في ذلك الزمن، لاسيما في العهد العثماني، عندما بدأ الكيان اللبناني بالظهور. ذلك ان هذا الوجود اللبناني المميز، والمتمركز في الجبل، نزع الى الاستقلال عن الإمبراطورية العثمانية، مما ضايق الباب العالي، الذي اخذ يسعى الى إزالته مستعيناً بوسائل عدة، منها تفرقة اللبنانيين. وعليه استغل تنازع «الغرضين» فنمّاه، مغذياً النعرة الحزبية بين اللبنانيين، الامر الذي دفعهم الى التناحر والاقتتال فزوال أحدهما. وكانت الغلبة، في هذا الصراع، الى جانب القيسية،

اكثر الأحيان. أمّا كفة اليمنية فلم تكن لترجح في فترات، لولا مساعدة العثمانيين لها[٢٢].

اما ابرز مظاهر هذا الصراع فكانت عدة معارك، اهمها: حرب العاقورة التي حصلت سنة ١٥٣٤، وتجابه فيها مالك اليمني، وهاشم القيسي. وقد ادى اقتتالهما الى اصابة البلدة بخراب دام فترة من الزمن[٢٣]. وبعد سقوط امارة فخر الدين الثاني، رجحت كفة اليمنيين بزعامة الأمير علي علم الدين، الذي غدر بالتنوخيين القيسيين في عبيه، وقضى على آخر أمرائهم[٢٤]. وسنة ١٦٣٦ مالت كفة القيسيين الى الرجحان، فاندحر علي علم الدين امامهم في بكفيا، واضطر الى الفرار[٢٥]. وعام ١٦٦٥ حدثت معركة بين الفريقين عند برج الغلغول في بيروت، تغلب فيها القيسيون، وقتلوا قائد اليمنيين في المعركة، المقدم عبد الله بن قيدبيه بن الصواف، فاجبر أمراء آل علم الدين على الفرار الى دمشق[٢٦]. وبعد انتقال امارة الجبل الى الشهابيين بثلاث سنوات، اصطدم الفريقان في قرية المزيرعة، من بلاد بشارة، فكان النصر حليف القيسيين، بزعامة الأمير بشير الشهابي الاول[٢٧]. وكانت خاتمة المطاف بين الحزبين، سنة ١٧١١، حيث تواجها في معركة عين دارة الشوفية، والتي تغلب فيها القيسيون بشكل حاسم، على منافسيهم الالداء، فأزاحوهم نهائياً عن مسرح السياسة اللبنانية، اذ قتلوا جميع أمراء آل علم الدين، فانقرضت بهم سلالتهم[٢٨]. اما محمود ابو هرموش، فقد اكتفى الأمير حيدر بقطع لسانه مراعاة للباب العالي الذي كان قد منحه لقب الباشوية. ودفع معظم الدروز اليمنيين، الذين نجوا من الموت، الى الهجرة باتجاه حوران ومناطق داخلية أخرى.

تركت معركة عين داره أثراً بالغ الأهمية في تاريخ لبنان؛ لقد أطلقت عملية رجحان كفة الموارنة على كفة الدروز، مما مهّد سبيل تسلم الإمارة، أمام اولئك؛ ذلك أن اضطرار عدد ضخم من الدروز اليمنيين إلى هجرة لبنان، أنقص عدد الفريق الثاني، بالنسبة إلى عدد الفريق الأول. وعند اقتراب القرن الثامن عشر من نهايته، تزايد عدد الموارنة، وتعزّز نفوذهم. أما الدروز، فأمسوا «أقلية في مناطقهم». وأدرك حاكم البلاد، الأمير ملحم الشهابي بواقعية حسه السياسي، خطورة اختلال توازن الطوائف، فلم يعارض تنصر أبنائه، رغم كونه مسلماً

متديناً. وسنة ١٧٧٠، تخلّى الأمير منصور عن الإمارة، فخلفه الأمير يوسف بن ملحم، الشهابي الماروني[٢٩]، مما أوصل طائفته، الى مركز الصدارة، بين طوائف الإمارة. وأخلت هذه المعركة ساحة السياسة اللبنانية، للحزب القيسي، فترة من الزمن (١٧١١ - ١٧٧٠)، فسهل على الأمير حيدر، إثر انتصاره على خصومه، أن يرسخ اركان إمارته، بتسليم حكم مقاطعاتها إلى أسر احزابه[٣٠].

ونتيجة لهذا الحسم الحزبي، استراحت البلاد من التناحر والإقتتال، موقتاً. ولم يلبث الحزب المسيطر، أن انشق على نفسه، مولّداً حزبين او «غرضين» جديدين، هما: الحزب اليزبكي والحزب الجنبلاطي.

٢. الحزب اليزبكي والحزب الجنبلاطي

انشق الحزب القيسي على نفسه، لخلاف نشب بين ركنين من أركانه، هما علي جنبلاط وعبد السلام العماد[٣١].

وادى هذا الخلاف الى ظهور الحزبين الجديدين: الجنبلاطي، نسبة الى علي جنبلاط، واليزبكي، نسبة الى يزبك بن عبد اللطيف[٣٢]، احد أجداد آل العماد، والى قسمة اللبنانيين، بقادتهم وطوائفهم ومناطقهم، الى فريقين، انضم كل منهما الى احد الحزبين، او سانده[٣٣].

ابرز الذين انضوا تحت لواء الجنبلاطية، آل ابو شقرا ومن ناصرهم[٣٤]، آل هلال، آل الخازن، آل حماده، (الشيعة)، آل السعد. واهم الذين تحزبوا لليزبكية، آل تلحوق[٣٥]، آل عبد الملك[٣٦]، آل عبد الصمد، آل الاعور[٣٧]، آل الدحداح، آل حبيش[٣٨].

ولم يبق خارج هاتين الحزبيتين سوى المشايخ النكديين، أصحاب مقاطعة المناصف، ومركزها دير القمر. وقد تميز موقفهم بالتقلب، لانهم كانوا تارة يدعمون موقف الحزب الجنبلاطي، وطوراً يقفون الى جانب الحزب اليزبكي، وأحياناً يلتفون حول الأمير الحاكم، وذلك وفقاً للظروف، وتأميناً لمصالحهم. وقد وصفوا، لموقفهم المتأرجح هذا، «ببيضة القبان»[٣٩]. اما آل ارسلان، فكانوا جنبلاطيين اولاً[٤٠]، ثم انتقلوا الى الحزب اليزبكي ليتولوا زعامته. واما آل ابي اللمع، فآثروا البقاء خارج الانقسامين الشهيرين مفضلين تكوين «غرضية»

خاصة بهم[٤١] .

اختلف موقف حكام لبنان وامرائه من الحزبين اليزبكي والجنبلاطي ، عنه من سابقيهما ، الحزبين القيسي واليمني . كان الحكام المتصارعون على السلطة ينتمون اولاً الى كل منهما ، مما جعل التزاحم قيسيا- يمنياً على الدوام ، الى ان قضي على ثانيهما . اما بعد ولادة الحزبين الجديدين ، فقد سعى معظم الحكام والأمراء المتنافسين ، الى البقاء خارج الغرضيتين ، مبدئياً . لكن واقع الحال كان يدفعهم الى مساندة الواحد ضد الآخر ، وفقاً لما كانت تقتضيه الظروف والمصلحة ، اما جهراً ، واما سراً . ففي الحكم الثنائي ، الذي قام على يد الأميرين الشهابيين ، احمد ومنصور ، اضطر كل منهما الى الجهر «بغرضيته» ، فناصر الاول اليزبكية ، وانحاز الثاني الى الجنبلاطية ، تدعيماً لموقفيهما[٤٢] .

اما الأمير بشير الكبير ، الذي دام حكمه نصف قرن ، والذي دعمته الجنبلاطية في الوصول الى الإمارة ، فقد ادت سياسته الى خلط أوراق الحزبيتين الى حد ما ، لانه استعان بضرب العائلات الدرزية بعضها ببعض ، دون الالتفات كثيراً الى غرضيتها . وعليه ، حرض الجنبلاطيين والعماديين معاً على النكديين ، فقتلوا قسماً منهم ، وشردوا الباقين ؛ ثم استعان بالجنبلاطيين لإضعاف اسر اقطاعية اخرى ؛ وبعدئذ تصدى للجنبلاطية فنكل بها بالقضاء على زعيمها[٤٣] ، الشيخ بشير جنبلاط .

وبعد زوال الإمارة ظل هذا الانقسام الحزبي قائماً ، ولكن دون حدة[٤٤] ، مما كان يدفع الحزبين الى التعاون احياناً . لكن التباعد كان لا يلبث ان يعود الى الفصل بينهما ، مما اضطر المسؤولين الى مراعاته في تعييناتهم وتدابيرهم[٤٥] .

هذا ، ومن الضروري ان نذكر ايضاً ان غرضيات ثانوية برزت في بعض المقاطعات ، نتيجة تنازع بعض المتنفذين والإقطاعيين . نورد ، على سبيل المثال ، الانقسام الذي حصل في عماطور بين آل ابو شقرا وآل عبد الصمد[٤٦] ، والانقسام الذي ظهر في قرنايل بين آل الاعور وآل هلال[٤٧] ، والانقسام الاحمدي - العسافي الذي نشأ بسبب تزاحم الاميرين اللمعيين ، احمد وعساف ، على مركز قائمقامية النصارى[٤٨] .

٣ . الحزب اللبناني وحزب الأحرار

ظهر هذان الحزبان في عهد المتصرف مظفر باشا (١٩٠٢-١٩٠٧) ، نتيجة للخلاف الحاد الذي نشب بين المتصرف والبطريرك الماروني الياس الحويك ، بسبب السياسة التي انتهجها الاول ، والتي قامت على خرق القوانين وابدال الموظفين ، والسماح لزوجته ماريكا وابنه رشيد ، بالتدخل في شؤون البلاد ، مستغلين ضعفه . وقد ساندت المتصرف جماعة من اللبنانيين ، كان معظمها من الماسونيين ، فدعي تكتلهم بالحزب الماسوني ، الذي اصبح بعدئذ «حزب الأحرار» . واما البطريرك ، فقد التف حوله الاكليروس وجمهرة من اللبنانيين ، أطلقوا على أنفسهم اسم «الحزب اللبناني» . وقد عاش الحزب الاول حتى عهد الانتداب ، لكن انتشاره ظل محدوداً ، بسبب وقوف رجال الدين ضده[٤٩] .

٤ . جمعية الشورى العثمانية

أسست في القاهرة خلال السنتين الأخيرتين من القرن التاسع عشر (بعد عام ١٨٩٧) . قام بتأسيسها نفر من المهتمين بالقضايا القومية ، من عرب وغيرهم . من الذين اسسوها : اللبناني محمد رشيد رضا ، والسوري رفيق العظم ، اضافة الى آخرين من الأتراك والشركس والأرمن .

اما اختيار القاهرة مقراً للجمعية ، فيعود الى جو الحرية الذي خيّم على مصر بعد ان احتلها الإنكليز سنة ١٨٨٢ ، مما جعلها «مركز إحياء عربي حقيقي حضارة ولغة وادباً ... » ، فجذب اليها الكثيرون من رعايا السلطنة العثمانية ، الذين استحال عليهم القيام بنشاطهم السياسي في ولايات الإمبراطورية ، وكان من بينهم مؤسسو الجمعية .

رمت هذه الجمعية الى مناهضة حكم السلطان عبد الحميد العثماني ، القائم على الظلم والفساد ، لإبداله بحكم تمثيلي برلماني .

علم عبد الحميد بتأسيس هذه الجمعية ، فقلق قلقاً شديداً ، الامر الذي أقضّ مضجعه فأمضى ثلاث ليال دون ان يغمض له جفن ، وفق ما اسرّ به الى احد اعوانه . وسارع الى تقصي اخبارها ، فتمكن من معرفة مؤسسيها على يد احد عملائه السريين . وقد اطلق عليها تسمية «جمعية الشر والفساد» .

قامت هذه الجمعية بنشاط واسع : انشأت فروعاً لها في مختلف ولايات الإمبراطورية العثمانية ؛ طبعت نشرات باللغتين العربية والتركية روّجت بها لمبادئ سياستها، وزعت بعضها سراً انطلاقاً من موانئ البحر الاسود التركية، حيث كان يتسلمها الأنصار من المسافرين على البواخر الروسية، او من بحارتها، فيوزعونها في بر الأناضول.

واذ ظهرت جمعية تركيا الفتاة، سنة ١٩٠٨، عمدت جمعية الشورى الى حلّ نفسها(٥٠).

٥ . جمعية سورية سرية

ولا بد في هذا المجال، من الكلام عن ظهور جمعية سياسية سرية تستحق الذكر، أنشئت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. انها «الجمعية السورية السرية». أسست في بيروت، سنة ١٨٧٥، على يد نخبة مثقفة من مسيحيي البلاد، تلقوا علومهم في «الكلية السورية الإنجيلية» (الجامعة الأميركية حالياً).

كان المؤسسون خمسة. عرفنا اسمي اثنين منهم : سليم عمون وفارس نمر. اما الثلاثة الباقون فقد يكونون : ضاهر الزعني وامين المغبغب ومراد البارودي، او امين ابو خاطر، ملحم فليحان وبشاره زلزل او ثلاثة من الستة. وانضم اليهم آخرون، امثال : ابراهيم اليازجي، ابراهيم الحوراني، يعقوب صروف، شاهين مكاريوس، سليم موصلّي، داود نحول ووليم فانديك.

وادرك مؤسسو الجمعية اهمية دخول صفوفها افراد مستنيرون من سائر الطوائف فوفقوا في مسعاهم، مستعينين على ذلك، بالانخراط في صفوف المحفل الماسوني، فاستمالوا اليهم حسين بيهم. «واستطاعوا ان يضموا الى الجمعية نحو اثنين وعشرين شخصاً ينتمون الى مختلف الطوائف الدينية ويمثلون الصفوة المختارة المستنيرة من البلاد(٥١)» وهناك من يقول ان عدد أعضائها تعدّى السبعين. وصارت للجمعية لاحقاً فروع في دمشق وطرابلس وصيدا.

كان «هدفها الاسمى الوصول الى سلخ لبنان وسورية عن جسم السلطنة العثمانية». ارتكز برنامجها على النقاط التالية :

- «منح سورية الاستقلال متحدة مع لبنان».

- «الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية في البلاد».
- «رفع الرقابة والقيود الاخرى التي تحد من حرية التعبير ونشر التعليم».
- «استخدام القوات المجندة من اهل البلاد في المهام العسكرية الداخلية فيها فقط».

دفعت هذه الجمعية، لتناقض غايتها مع المصلحة العثمانية، الى العمل سراً. ولنشر افكارها فاستقطاب المؤيدين، لم يكن في متناولها، تقيداً بالسرّية، سوى «لصق المنشورات في الشوارع، من غير ان يكون عليها ما يدل على مصدرها»، وذلك ليلاً. لصقت هذه المنشورات في بيروت ودمشق وطرابلس وصيدا. فكان الناس، صباحاً، يتجمهرون امام المنشور، فيقرأه عليهم واحد منهم، بصوت عال. ثم يحضر رجال الشرطة ليمزقوا المنشور ويقبضوا على بعض المتجمهرين. وتضمنت هذه المناشير، اضافة الى افكار الجمعية، انتقاداً عنيفاً لمساوئ حكام الآستانة، ودعوة العرب الى الثورة عليهم والتخلص منهم. وكان من الطبيعي ان يهتم الأهالي بهذه المناشير، مما جعلها محور أحاديث مجالسهم الهامة.

أربكت هذه المناشير الباب العالي فأرسل رجاله الى بيروت لتحري الامر. ففتشوا بعض المنازل وقبضوا على من اشتبه به، ولكن دون جدوى.

وفي هذه الأثناء اشتدّت وطأة طغيان السلطان عبد الحميد، فرأى أركان الجمعية ان يوقفوا نشاطها، خوفاً مما لا تحمد عقباه. فأحرقوا أوراقها وسجلاتها في احدى ليالي تشرين الثاني ١٨٨١، داخل حرم الكلية السورية الانجيلية (الجامعة الأميركية اليوم). فتكون هذه الجمعية قد عاشت ست سنوات. كما هاجر نفر من أعضائها الى وادي النيل(٥٢).

هوامش الفصل الاول

١ . لا يخفى ان المسيح «اتى الى نواحي صور وصيدا» (متى ١٥ : ٢١-٢٨، مرقس ٧-٢٤-٣١). ترك مجيء المسيح الى لبنان اثرين، لا يزال احدهما قائماً : كنيسة بنيت في احد الامكنة تخليداً لشفائه فتاة كانت مصابة بالجنون، ظلت قائمة، على ما يبدو حتى منتصف القرن الرابع عشر. كهف قديم، يقع قرب بلدة مغدوشة، بنيت على بقاياه كنيسة على اسم السيدة، (هي اليوم للروم

الكاثوليك)، تعرف باسم «سيدة المنطرة»، استناداً الى تقليد يقول ان مريم العذراء، والدة المسيح، انتظرت في المكان، مجيء ابنها الى صيدا، فأطلقت على الكنيسة تسمية «سيدة المنطرة، (المنطرة تعبير سرياني معناه: الترقب والانتظار)». - فيليب حتي. **لبنان في التاريخ**، ص ٢٥٤.

٢. فيليب حتي، المرجع ذاته، ص. ص. ٢٥٣-٢٧٦.

٣. انظر: **زجليات** جبرائيل القلاعي، دراسة وتحقيق بطرس الجميل، في منشورات «دار لحد خاطر».

٤. قسم الغزاة الجدد بلاد الشام، في اطار تدابيرهم التنظيمية للممتلكات التي افتتحوها، الى اربع مقاطعات، سمي كل منها «جنداً»: جند حمص، جند دمشق، جند الاردن (قاعدته طبرية) وجند فلسطين (قاعدته الرملة). وبعدئذ احدث جند قنسرين المفصول عن جند حمص، فأصبحت الاجناد خمسة. توزع لبنان بين جندي دمشق والاردن. ضم الى الاول: جبل لبنان والساحل المحاذي له، من طرابلس الى صيدا، اضافة الى بعلبك والبقاع ووادي التيم. وتبعت جند الاردن منطقة جبل عاملة، ومرفأ صور. وفصل نهر القاسمية بين جندي دمشق والاردن ساحلاً.

٥. لحد خاطر، **العادات والتقاليد اللبنانية** الجزء الثاني، ص: ٣٤٠.

٦. يعرفان ايضاً «بالغرض القيسي»، «والغرض اليمني» (انظر: كمال الصليبي: **منطلق تاريخ لبنان**، ص ٣٧، حاشية ٤) او «بالغرضية» القيسية «والغرضية» اليمنية.

٧. كمال الصليبي، **منطلق تاريخ لبنان** ص. ص: ٣٢-٣٣.

٨. يعود نسب هذه القبائل الى اصلين: قحطان وعدنان.

٩. انتسبت هذه القبائل الى اصلين ايضاً: عدنان ومضر.

١٠. H. Lammens, *La Syrie*, T.I., p. 15. 775

١١. ان ما يرجح هذا القول اسماء بعض الاماكن الواقعة في اطراف لبنان مثل: «جبل عاملة»، اي جبل عامل، و«وادي تيم الله بن ثعلبة»، اي وادي التيم، في جنوب لبنان، مع العلم ان «عاملة» و«تيم الله بن ثعلبة» هي اسماء قبائل عربية يمنية. - انظر: كمال الصليبي، **منطلق تاريخ لبنان**، ص. ص. ٣٢، ٣٣، ٣٤.

١٢. كمال الصليبي، **تاريخ لبنان الحديث**، ص ٣٤٠.

١٣. T. TOUMA, *Paysans*... T. I., p. 62.

١٤. يبدو ان المعنيين كانوا، حتى عام ١٥١٨، يمنيين، انظر T. Touma, *op. cit*... p. 65. وقد حصل هذا الامر بعد تضاؤل مكانة التنوخيين اثر الفتح العثماني.

١٥. وصل الشهابيون القيسيون الى زعامة الحزب بعد استلامهم الامارة وانقراض سلالة المعنيين سنة ١٦٩٧.

١٦. عائلة ضاهر العمر الشهير، التي حكمت بلاد صفد وعكا. - انظر: حيدر شهاب، **لبنان في عهد الامراء الشهابيين**، القسم الاول، ص: ٦؛ طنوس الشدياق، **اخبار الاعيان**، ...» الجزء الثاني، ص. ٣١٣.

١٧. ينتمون الى الاصل التنوخي. عام ١٣٠١ تبرأ علم الدين بن سليمان من التنوخيين ودخل الحزب اليمني وتزعمه.

١٨. كمال الصليبي، **تاريخ لبنان الحديث**، ص ٣٥.

١٩. يدعون ايضاً بآل الصواف. كانوا يقيمون في الشبانية.

٢٠. حكموا بلاد بشارة. - انظر: طنوس الشدياق: **اخبار الاعيان**... الجزء ٢ ص. ٢١٢.

٢١. كانوا مقيمين في البقاع.

٢٢. كمال الصليبي، **تاريخ لبنان الحديث**، ص ٣٥.

٢٣. لحد خاطر، **العادات والتقاليد اللبنانية**، الجزء الثاني، ص ٣٤١.

٢٤. طنوس الشدياق، المرجع ذاته، ص ١٢٥.

٢٥. طنوس الشدياق، المرجع ذاته، ص ١٢٥.

٢٦. طنوس الشدياق، المرجع ذاته، ص ١٢٥.

٢٧. حيدر شهاب، **لبنان في عهد الامراء الشهابيين**، القسم الاول، ص: ٥، طنوس الشدياق، **أخبار الأعيان**... ص ٢١٢.

٢٨. حصلت هذه المعركة عندما استرجع الامير حيدر الشهابي الامارة من محمود باشا ابي هرموش، الذي وصل اليها بمساعدة العثمانيين. - انظر: حيدر شهاب، المرجع المذكور، ص ص. ١٢-١٤، كمال الصليبي، **تاريخ لبنان الحديث**، ص ٣٦.

٢٩. كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص. ص. ٣٦-٤٠

٣٠. كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٣٦.

٣١. لا تساعد الأصول التاريخية على ضبط تاريخ هذا الانشقاق وتوضيح ملابسات حصوله. فالامير حيدر الشهابي، الذي يعتبر مؤلفه اصلاً اساسياً لهذه الفترة، يذكر انه حصل في عهد الامير ملحم الشهابي، سنة ١١٧٣ هجرية (١٧٦٠ ميلادية)، دون ان يورد كيفية حصوله واسبابها. - **لبنان في عهد الامراء الشهابيين**، القسم الاول ص ٤٩.

اما طنوس الشدياق الذي يشكل كتابه مرجعاً بالنسبة لهذه الفترة، فيقول انه حدث في عهد الامير يوسف، سنة ١٧٧٧. ويسرد كيفية حصوله واسبابها: احدث الامير يوسف، في تلك السنة، ضرائب جديدة، فضج الاهالي منها، وطلبوا من الشيخ علي جنبلاط التدخل لديه لابطالها. لكن وساطة الشيخ الجنبلاطي فشلت؛ فما كان منه الا ان دفع من جيبه الخاص المال المطلوب، فقبل الامير بهذا الحل. وادت هذه الاريحية الجنبلاطية الى ارتفاع مكانة صاحبها، الامر الذي اثار خشية الامير الحاكم منه، فصمم على اضعافه. وليبلغ مأربه، شق الدروز الى فريقين، بايقاع الفتنة بين علي جنبلاط وبين عبد السلام العماد، وبمساندة الثاني. - «اخبار الاعيان»، الجزء الاول، ص ١٤٢. لكن الشدياق يعود فيقول، في الجزء الثاني من كتابه، ص ٣٢٣، ان الفرقة حصلت في عهد الامير ملحم، دون ذكر السنة والتفاصيل.

٣٢. كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٣٩.

٣٣. ميخائيل مشاقة، **منتخبات من الجواب على اقتراح الاحباب**، ص ٣٠.

٣٤. T. Touma, *Paysans*... T. I., p. 77.

٣٥. ميخائيل مشاقه، المرجع ذاته، ص. ص. ٨٧، ٩٩.

٣٦. ميخائيل مشاقه، المرجع ذاته، ص ٤٠.

٣٧. T. Touma, *op. cit*... T. I, p. 79.

٣٨. لحد خاطر، المرجع ذاته الجزء الثاني ص. ٣٤٣.

٣٩. T. Touma, *op. cit*... T. I., p. 79, H. Lammens, *La Syrie*, T. II., p. 101.

٤٠. ميخائيل مشاقه، المرجع ذاته، ص ٩٩.

٤١. كمال الصليبي، **تاريخ لبنان الحديث**، ص ٤٠.

٤٢. لحد خاطر، المرجع ذاته، ص ٣٤٣، كمال الصليبي، المرجع ذاته ص ٤٠.

٤٣ . كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ص ٤٦، ٥١، ٥٢، ٥٦، ٥٧ .
٤٤ . لحد خاطر، المرجع ذاته، ص ٣٤٣، كمال الصليبي، المرجع ذاته ص ١١٠ .
٤٥ . كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ص: ٩٧، ١٠٨، ١٠٩ .
٤٦ . T. Touma, *Paysans*... T. I., p. 80.
٤٧ . T. Touma, *op. cit:* p. 80.
٤٨ .لحد خاطر، المرجع ذاته، الجزء الثاني، ص ٣٤٤ .
٤٩ . لحد خاطر، المرجع ذاته، ص ٣٤٥ .
٥٠ . راجع بشأن هذه الجمعية: زين نور الدين زين، **نشوء القومية العربية**، ص ١٩٥ هامش(١٢)، و**مجموعة آثار رفيق بك العظم**، الجزء الاول .
٥١ . ذكر فارس نمر ان مؤسسي الجمعية تأثروا كثيراً بالياس حبالين، الذي درّس الفرنسية في الكلية السورية الانجيلية، والذي كان ذي ثورية استمد عناصرها من افكار كتّاب القرن الثامن عشر، مثل فولتير وغيره، الامر الذي دفعه الى حثّ طلابه على التحرر من نير الاتراك، والتخلص من سيطرتهم الغاشمة. - راجع زين زين «نشوء القومية العربية»، ص ١٩٦ .
٥٢ . راجع بشأن هذه الجمعية: جورج انطونيوس The Arab Awakening، في ترجمته العربية **يقظة العرب**، ص . ص . ١٤٩-١٦٣؛ اسد رستم، **لبنان في عهد المتصرفية** ص . ص . ٢٤٨-٢٥٣ .

الفصل الثاني

ظهور الأحزاب

يجيز موضوع الأحزاب والجمعيات تمييز فترتين إزاء ظهورها، جعلت الظروف مدتهما متساويتين، لان كلا منهما استمرت ست سنوات. الأولى بدأت عام ١٩٠٨، تاريخ اعادة العمل بالدستور في الإمبراطورية العثمانية، وانتهت سنة ١٩١٤؛ والثانية ابتدأت في السنة نفسها (١٩١٤)، تاريخ نشوب الحرب العالمية الاولى، وانتهت عام ١٩٢٠، تاريخ حلّ القضية اللبنانية، بإعلان انشاء دولة لبنان الكبير.

لا نورد جديداً اذا قلنا ان الأحزاب والجمعيات السياسية تنشأ، اساساً، في الاوطان، او في جماعة تقيم خارج وطنها. ذلك ان الظاهرة الوطنية تشكّل عنصراً اساسياً في عملية بروز مثل هذه المؤسسات التي تولد وتسعى، عادة، لتسلم السلطة، او لتحقيق هدف قومي معين. والوصول الى الغاية الاولى لا يمكن ان يتم الا في نطاق الوحدة السياسية العالمية التي هي الدولة، والتي تؤلف، أغلب الأحيان، وطن مؤسسي الحزب، اذ لا وجود للسلطة، حسب مفهومها الدستوري، الا في اطارها الدولي. لكن الامر يختلف بالنسبة للأحزاب التي تؤسس لفصل مقاطعة عن دولة، او لتحرير بلد من سيطرة أجنبية، او لمعارضة السلطة في امر جوهري، لان مبرر وجود مثل هذه الأحزاب يناقض وجود السلطة. من هنا ظهور اكثرها وممارسته معظم نشاطه، اغلب الأحيان، خارج أراضي الدولة صاحبة السلطان.

اولاً: أماكن ظهورها

كان من المفروض، مبدئياً، ان تظهر أكثرية الأحزاب اللبنانية، داخل البلاد. لكن واقع حال لبنان، في تلك الفترة، عكس الامر، فنشأ القسم الاكبر منها في الخارج، ولم يولد، داخل الأراضي اللبنانية، سوى القليل القليل، منها.

١ . لبنان

لم يكن لبنان خلال تلك الفترة، قد وصل بعد، في سياق تطوره السياسي، الى مرحلة الدولة المستقلة الحرة، وذات السيادة الكاملة. كان له وجود سياسي قائم على استقلال داخلي، ضمنته الدول الكبرى، في اطار الإمبراطورية العثمانية، التي قبلت به على مضض. اما أحزابه، التي ظهرت ونشطت في تلك الفترة، فقد سعت في معظمها، ان لم يكن جميعها، اما الى المحافظة على هذه الذاتية السياسية على امل تطويرها، بفصلها عن إمبراطورية بني عثمان (الفترة الاولى)، واما الى إعطائها كيان سياسي منفصل تماماً عن غيره - وبنوع خاص عن الداخل السوري - قائم على الاستقلال التام، او الذي تضمنه الدول الكبرى او الذي تحميه او تساعده دولة كبرى (الفترة الثانية).

اذن كان لا بد، لمعظم هذه الأحزاب، من ان تنشأ خارج لبنان، حيث يوجد لبنانيون، هاجروا من وطنهم لتحسين أوضاعهم الاقتصادية فالاجتماعية.

٢ . المهاجر

كانت حركة الهجرة، ولا تزال، من اهم مظاهر جغرافية لبنان البشرية، لعمق اثرها في حياته الاقتصادية والاجتماعية، وبالتالي في تاريخه.

برزت هذه الظاهرة منذ اقدم عصوره، اذ انطلقت في عهد الفينيقيين، وامتدت الى العهدين الروماني والبيزنطي[١]. ثم همدت مدة طويلة، استمرت حتى منتصف القرن التاسع عشر، حيث عادت فانبعثت وازدهرت من جديد، دافعة باللبنانيين الى الانتشار في اكثر بقاع الأرض، لا سيما في مصر، ودول أميركا، وفرنسا، وإنكلترا، واستراليا، ونيوزيلندا، وبلدان أفريقيا.

اما أسباب هذا الحدث البشري فمتعددة، ابرزها، قديماً: ضيق مساحة الأراضي الزراعية في البلاد، قيام لبنان على ساحل البحر المتوسط الهادئ، تعرج شواطئه بشكل جعل عدداً من اجوانه موانئ طبيعية صالحة لرسو السفن[٢]. وحديثاً، نشاط أبنائه، وطموحهم الى رفع مستوى معيشتهم[٣].

وفي أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين أصبح المهاجرون اللبنانيون، بدافع طموحهم[٤]، ذوي شأن في بلدان الاغتراب، وذلك بفضل المكانة الاجتماعية التي وصلوا اليها، والتي ارتكزت على الثروة[٥] والثقافة[٦].

وظل المغتربون اللبنانيون على اتصال دائم بوطنهم، يراسلون اقاربهم وأصدقاءهم، يرسلون الأموال الى ذويهم، ويقرأون الصحف اللبنانية، اضافة الى الكتب المتصلة بوطنهم، الامر الذي دفعهم الى الاهتمام بقضاياه، فشكلوا بيئة قومية صالحة لنشوء الأحزاب والجمعيات السياسية ذات العلاقة بلبنان. اما اهم البلدان التي علا فيها شأن المغتربين اللبنانيين فكانت: مصر، دول العالم الجديد وفرنسا.

أ- مصر: كانت من اهم بلدان الاغتراب اللبناني. استوطنتها جالية تبوأت مكانة اجتماعية رفيعة المستوى، مما أفسح أمامها مجال القيام بدور فعال، مصرياً ولبنانياً.

شكّل خريجو الجامعات طليعة المهاجرين اللبنانيين الى مصر، لحاجتها اليهم. انطلقت هذه الموجة في عهد الخديوي اسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩)، حفيد محمد علي، مؤسس مصر الحديثة. ذلك ان اسماعيل، الذي دشنت الملاحة في قناة السويس اثناء عهده، شاء ان ينظم أجهزة الحكم والإدارة في وادي النيل على اساس حديث، يعيد السير بمصر على طريق الحضارة العصرية التي عرفتها في زمنين سابقين[٧]. واذ كان بحاجة الى موظفين اكفاء، يساعدونه في تنفيذ خطته، وتفتقر اليهم مصر، لم يجد امامه سوى هذه الفئة من اللبنانيين الذين كانت مصر قد بدأت تثير اهتمامهم، نظراً لمجالات العمل التي يمكن للملاحة في قناة السويس من ان توفرها لهم. فشجعهم على استيطان بلاده ليدخلهم في سلك الوظائف. وبعد عام ١٨٨٢ قويت حركة هجرة المثقفين

اللبنانيين الى ارض الكنانة . ذلك ان الإنكليز ، الذين احتلوها ، وجدوا في خريجي الكلية السورية الانجيلية (الجامعة الاميركية) ضالتهم المنشودة ، لانهم ، بإتقانهم اللغتين العربية والإنكليزية ، اصبحوا الموظفين الذين «انعمت بهم السماء» ، على حد قول كرومر[٨] . ثم برز لبنانيون آخرون في ميادين الطب والصيدلة والفكر ، من علم وادب وصحافة . وبعدئذ ، لحقت بهذه النخبة اللبنانية مجموعة اخرى مؤلفة من التجار وسائر رجال الأعمال . وفي مطلع القرن العشرين أصبحت الجالية اللبنانية في مصر على جانب كبير من القوة والنفوذ ، ثروتها تقدر بخمسين مليون استرلينية[٩] ، الصحافة بيدها ، والوظائف الهامة من نصيبها[١٠] .

كان لا بد لمثل هذا الوضع اللبناني ، من ان يشكل بيئة بشرية مؤاتية لظهور الأحزاب والجمعيات السياسية ذات العلاقة بلبنان . وهذا ما حصل ، اذ نشأت ، في نطاق هذه الجالية اللبنانية الهامة ، أحزاب وجمعيات سياسية ذات اثر قوي ، ابرزها «الاتحاد اللبناني» حيث ولد ونشأ ومارس نشاطه ، قبل الحرب العالمية ، أثناءها ، وبعدها ، إضافة الى أحزاب وجمعيات اخرى .

ب- العالم الجديد : اخذ المهاجرون اللبنانيون خلال القرن التاسع عشر[١١] يتجهون نحو العالم الجديد ، وبنوع خاص نحو القارة الأميركية ، حيث شقوا طريقهم في مجال التجارة ، لينتقلوا بعدئذ الى ميادين الصناعة والخدمات والسياسة ، وسائر النشاطات .

كان اكثر الذين دشنوا حركة الهجرة الى أميركا ، من غير الطبقة التي هاجرت الى مصر . كانوا ، في معظمهم من الفقراء المعدمين والاميين ، فاعترضت سبيلهم صعوبات ومشاكل تفوق حد التصور ، مما جعل سيرة حياة الكثيرين منهم اشبه بالأساطير . وفي اواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، برزت في بعض بلدان اميركا - وبنوع خاص في الولايات المتحدة[١٢] والبرازيل[١٣] - طبقة راقية ، لثروتها وثقافتها وعلمها ، فأمكنها ان تحسن أوضاع الجاليات اللبنانية الاجتماعية . هذا ولا بد من ان نشير الى ان اقامة اللبنانيين في بلدان مستقلة ، ذات نظم سياسية منبثقة من الديمقراطية التمثيلية[١٤] التي تمارسها الأحزاب ، كانت ، دون شك ، من العوامل الأساسية التي ادت الى ظهور

الأحزاب والجمعيات السياسية بين فئاتهم .

ج- فرنسا : هاجر الى فرنسا ، خلال الفترة المذكورة جماعة من اللبنانيين ، الذين عمل معظمهم في التجارة اولاً . لكنهم كانوا قليلي العدد ، ومن المستوى الراقي نسبياً . ذلك ان هذه الدولة الأوروبية ، رغم صلاتها التاريخية بلبنان ، وبموارنته بنوع خاص ، لم تؤمن لمهاجريه ما وفرته لهم مصر وأميركا ، ليستوطنوها . ففرنسا ، الدولة الراقية ، لم تكن ، كوادي النيل ، بحاجة الى نخبة لبنانية تتسلم فيها إدارة البلاد ، كما انها لم تكن ، كبلدان أميركا ، دولة حديثة ، قليلة السكان ، وكثيرة الموارد ، فتجذب المهاجرين للإقامة فيها . هذا ولم يبرز سبب خاص ، يدفع باللبنانيين الى الهجرة اليها . لكن هذا الوضع لم يمنع نفراً من خيرة اللبنانيين ، ثقافة وعلماً ، من ان يقيموا فيها ، منهم الطبيب والمحامي والشاعر والصحفي ، اضافة الى بعض رجال الأعمال الذين برزوا في الميدان التجاري ، واذا بها «على احسن ما يكون النجاح التجاري والمركز المعنوي»[١٥] ، فشكلت مجتمعاً يميل بقوة الى الاهتمام بالشأن اللبناني ، خصوصاً وان فرنسا كانت ، ولا تزال ، تؤمن لنشاط الحركات القومية والاستقلالية مناخاً من الحرية ضرورياً لقيامه ؛ فاذا بالحركة الحزبية تنشط ، بين هؤلاء اللبنانيين ، وتتجسد في عدد من الأحزاب البارزة .

هذا ولا بد من ان نذكر ان الأحزاب ظهرت ايضاً بين سائر المغتربين ، في دول اخرى ، كبريطانيا ودول أفريقيا ، والمكسيك والأرجنتين وأوستراليا ونيوزيلندا ... لكنها كانت دون الاولى نشاطاً وتأثيراً .

ثانياً : أسباب ظهورها

يعود ظهور هذه الأحزاب والجمعيات ، بين اللبنانيين ، الى تأثير عدة اسباب ، يمكن قسمتها فئتين : البعيدة غير المباشرة ، والقريبة المباشرة .

١ . الاسباب البعيدة

هي الأسباب التي مهدت من بعيد لنشوء الأحزاب والجمعيات وغيرها من

ظواهر الحياة اللبنانية: الحرية، الاحتكاك بالغرب، والوعي القومي.

أ- الحرية: اذا قلنا: لا أحزاب بدون حرية، نكون قد اشرنا الى امر بديهي. ذلك ان الأحزاب، بمعناها الحديث، هي تعبير عن اتجاهات سياسية مبنية على أفكار وعقائد، متنوعة، مختلفة، وحتى متعاكسة. وتجسيد هذه التيارات، داخل اطار الدولة، لا يمكن ان يحصل الا اذا سيطر جو من الحرية، بمفهومها الغربي، على دولة من الدول. من هنا نشوء الاحزاب وازدهارها، بتعددها وتطورها، في الدول الغربية، دون غيرها من البلدان، لا سيما تلك التي تخضع لسلطة منبثقة من نظام الحزب الواحد.

اما دور الحرية، في عملية ظهور الأحزاب، خلال تلك الفترة، فيختلف في لبنان، عنه في الدول الغربية. للحرية الغربية، كما ذكرنا، اثر اساسي ومباشر جداً، في عملية ظهور الأحزاب. اما في لبنان فدورها كان غير مباشر، بعيداً، وبالتالي تمهيدياً. ذلك ان لبنان المتصرفية، لم يكن، كما مرّ ذكره، دولة مستقلة، سلطتها متجسدة بحكومة وطنية، حرة التصرف. انما كان مقاطعة ذات استقلال داخلي، ضمن الإمبراطورية العثمانية، وممارسة السلطة فيه محصورة في شؤون داخلية، ومرتبطة بمقررات الباب العالي[١٦]. ومثل هذا الوضع لا تتولد عنه حرية سياسية، حسب مفهومها الغربي، تؤدي، مباشرة، الى ظهور الأحزاب. لقد بقي لها، اذن، دور غير مباشر، وبعيد، مهد سبيل الظهور للوعي القومي وتطوره، الذي كان آنذاك، من اسباب ظهور الأحزاب في المجتمعات اللبنانية.

كان لبنان، ولا يزال، بلد الحرية في الشرق. بدأت بذور الحرية تزرع في البيئة اللبنانية، لما اخذ محور الوجود اللبناني يتحول من الساحل الى الجبل، وذلك عندما شرعت جماعات دينية تهاجر اليه، هرباً من اضطهاد السلطة، وسعياً وراء السلامة والحياة الحرة. انطلقت هذه العملية البشرية في القرن السادس للميلاد، لما طفق الموارنة يهربون من وادي العاصي، اليه، لان السلطة البيزنطية كانت قد اخذت تضغط عليهم بشكل مميت[١٧]. وتبع الموارنة في اللجوء الى لبنان الشيعة[١٨]، الذين استوطنوه، تفادياً لجور الدولة العباسية. وفي القرن الحادي عشر الميلادي قصده الدروز[١٩]، لانهم أدركوا اهمية بيئته الجبلية،

بالنسبة لنشر عقيدتهم. وبعدئذ اصبح لبنان معقل الحرية للشرق اولاً، ولمناطق اخرى من العالم ثانياً، يقصده المضطهدون والمنفيون فيجدون فيه الملجأ الآمن، والملاذ الهانئ للعيش الحر، دينياً، فكرياً، وسياسياً، امثال الأرمن اثناء الحرب العالمية الاولى وبعيدها، الروس البيض غداة الحرب العالمية الاولى، البولونيين خلال الحرب العالمية الثانية، وكثيرون من السياسيين والمضطهدين في العديد من البلدان الشرقية.

اما لماذا اصبح لبنان اشبه بواحة حرية، فيمكن شرحه بسببين: جغرافي وتاريخي. يعود السبب الجغرافي الى كون جبل لبنان حصناً طبيعياً صالحاً للسكن. ينهض هذا الجبل على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط، بشكل كتلة ضخمة، متطاولة، تمتد من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي. وتظهر في هذا الجبل الفتي، المنحدرات القوية، والأودية العميقة، والجدران الصخرية الضخمة، اضافة الى الصخور المتشققة، والمغاور[٢٠]. كلها عوامل، جعلت منه بيئة صَعُب على الغزاة، ان ينفذوا اليها، وحتى استحال عليهم، اول الامر، احتلالها وإخضاع سكانها. وقد ساعدت هذه المنعة الطبيعية، دون شك، بذور الحرية التي انتقلت مع من هاجر اليه من جماعات مضطهدة، على ان تنمو وتترسخ نوعاً ما، في نفوس ساكنيه. حتى اذا اصبح بإمكان الغزاة، فيما بعد، اقتحام الجبل، لاخضاع ساكنيه، كانت نزعة الحرية قد صارت على شيء من الرسوخ في نفوسهم، فصَعُب على الفاتح ان يخنقها، ويقضي على ما ولدته لديهم من روح استقلالية.

بيد ان تضاريس لبنان الجبلية لم تكن قادرة، وحدها، على جذب هذه الجماعات اليه، وابقائها فيه، لو لم يساعدها عامل آخر: كون لبنان جبلاً صالحاً، طبيعياً، للسكن البشري. استقرت هذه الفئات في لبنان لانها استطاعت الحصول على قوتها فيه، اذ امكنها ان تستثمره ريفياً، نظراً لمناخه الملائم، ولوجود أراض قابلة للاستثمار فيه.

يسيطر على لبنان المناخ المتوسطي، المتميز باعتداله، الملائم لسكن الإنسان، والمسهل للنشاط الريفي؛ وبانتظام فصوله وتمايزها، لا سيما بالنسبة لجفافه الصيفي؛ ان هذا الجفاف يسبب للإنسان بعض المتاعب، من جهة، اذ

يجبره على تنظيم افادته من مياه ينابيعه لاستعمالها في عملية الري، لكنه يطمئنه من جهة ثانية، لان هذا الجفاف لا يعرض انتاجه للتلف الناجم عن هطول المطر المفاجئ، وفي فصل الصيف بنوع خاص.

اما الأراضي الزراعية فتظهر، في لبنان، بشكل بقع سهلية، خصبة، تتخلل المناطق الصخرية، ومسطحات ومنحدرات خفيفة الانحدار، استصلحها اللبناني بتحويلها الى جلول[٢١].

هذه المساحات، اضافة الى المناخ الملائم، أمنت، للذين احتموا بجبلية لبنان، هرباً من الاضطهاد الذي عرض حياتهم ومعتقدهم للزوال، المأكل والمشرب، فتكمشوا به، وربطوا مصيرهم، الى حد ما، بوجودهم فيه، لانه مكنهم من ان يحيوا حياة حرة وشبه آمنة.

اما السبب الثاني فبشري، متأت عن وضع المجموعات البشرية التي استوطنته. تعتبر اكثرية هذه المجموعات اقليات دينية، هاجرت اليه لانها توقعت ان تجد فيه الملاذ الصالح لممارسة معتقدها الديني، الامر الذي يخفي ضمناً ميلاً الى الحياة الحرة. اذن لقد نقلت هذه الجماعات معها عنصراً بشرياً هاماً، هو توقها الى الحرية، الذي لم يلبث ان وجد في جبل لبنان البيئة الملائمة لنموه، فتغلغل في نفوس سكانه الذين اصبحوا، على مر الزمن، ابناءه، متأثرين بالعوامل التي كونت هذه البيئة الجبلية المنيعة والمستعصية على الغزاة، والتي دفعتهم فيما بعد، الى المباشرة بتأسيس وطن ارتكز، ابتداءاً من النصف الثاني من القرن التاسع عشر، على بذور قومية لبنانية، أوجدت لها كياناً، تمتع باستقلال ذاتي اولاً، ومطلق ثانياً، تكرس بجمهورية ١٩٤٣ المستقلة.

بدأت الحرية تبرز جلياً، في لبنان، خلال عهد فخر الدين الثاني، متجسدة بأشد مظاهرها تعبيراً في ذلك الزمن، الا وهي حرية المعتقد، التي مهدت السبيل لما يسمى اليوم «بالوحدة الوطنية». وقد مورست هذه الحرية بفضل سياسة الأمير المتسامحة، وبعد نظره، مما افسح لجميع طوائف المناطق اللبنانية، مجال ممارسة معتقداتها بحرية. هذا ويجب الا ننسى ان ابن معن استوحى هذا الجو في سياسته، فاعتمد، في تسيير شؤون البلاد، وفي بعض المهمات، على أشخاص انتقاهم من مختلف الطوائف، متوخيا في اختيارهم كفاءتهم

وإخلاصهم له.

وظلت اجواء الحرية مهيمنة على عهود سائر الامراء في جبل لبنان، مما أسهم كثيراً في نموه وازدهاره، فتكاثر سكانه. وعندما زاره فولني Volney، في القرن الثامن عشر، ادهشته كثافة سكانه، وهو البلد الجبلي الصغير. واذ تحرّى سبب هذا الواقع المتناقض مبدئياً، تبين له انه عائد الى «شعاع الحرية» الذي يخيم على لبنان.

وفي القرن التاسع عشر تغلغلت مبادئ الحرية في نفوس اللبنانيين، مستفيدة من انفتاح لبنان على حضارة الغرب، ومن حسنات نظام المتصرفية المرتكز على الاستقلال الذاتي المضمون دولياً، فتطورت حياة اللبنانيين السياسية، الامر الذي دفعهم الى القيام بممارسات ديمقراطية مستوحاة من الغرب، كتأسيس الأحزاب، وان خارج لبنان، لفترة. وعليه عمدوا الى انشاء الأحزاب والجمعيات السياسية ذات الصبغة الحديثة.

ب- الاحتكاك بالغرب: كان اللبنانيون، قديماً، من أرقى شعوب حوض المتوسط، وأصبحوا حديثاً من أرقى شعوب الشرق. تعود هذه الظاهرة، بالدرجة الأولى، الى احتكاكهم بالعالم المتحضّر، وإسهامهم بتطوّره.

قديماً، اخذوا عن المصريين والكلدان والبابليين وغيرهم، بعضاً من مقومات الحضارة، فطوروا قسماً منه، فبلغ اسمى درجات الكمال، فعمَّ العالم، لانه شكل عنصراً اساسياً في عملية تطور الحضارة[٢٢]. وفي القرن السادس عشر، بدأوا احتكاكهم بالحضارة الحديثة، التي انبعثت من إيطاليا. ومنذ ذلك الحين، لم يتوقف احتكاكهم بهذه الحضارة، مما افادهم كثيراً، وطورهم، وترك آثار اسهامهم في تقدم بعض من مظاهرها.

تعود نزعة لبنان الى الاحتكاك بالعالم الحديث، الى اسباب عدة منها موقعه الجغرافي وميل اهله للانفتاح على العالم، والوجود المسيحي الاساسي فيه.

يتمتع لبنان بموقع جغرافي مميز، لأنه ملائم جداً للاتصال بالخارج، وبالتالي للإنفتاح على العالم. ان قيامه في وسط الشاطئ الشرقي من البحر المتوسط القريب من قارات ثلاث (آسيا، افريقيا واوروبا)، جعل منه نقطة تلاق لهذه القارات، ونقطة تواصل هامة تنتهي إليها سبل النقل الآتية من اوروبا وافريقيا

الشمالية والشرقين الأدنى والأوسط، وحتى الاقصى، مما جعل منه مفصلا تقصده سبل الاتصال الوافدة اليه من قارات ثلاث.

وقد أهله هذا الموقع للإنفتاح على عدد كبير من البلدان، قديماً، وعلى مختلف بلدان العالم حديثاً.

كان اللبناني، وما زال، شديد الميل للانفتاح على مختلف الشعوب، وبنوع خاص تلك التي يمكنه ان يستفيد منها، حضارياً ومادياً. وتدليلاً على هذه الخاصة نذكر صلات اللبنانيين الحالية بالغرب الأوروبي والأميركي، الذي يعتمدون عليه حضارياً، فيقتبسون بحماس من مختلف مظاهر ثقافته المتنوعة، مكيفين بعضه وفقاً لأوضاعهم، وتاركين آثار مشاركتهم في جزء منه.

برزت نزعة اللبنانيين الى الانفتاح في العهد القديم، ايام الفينيقيين، الذين اعتمدوا على التجارة، كمورد اساسي لتحصيل رزقهم، مما دفعهم الى القيام بالأسفار، ومخالطة الشعوب، للأخذ منها، واعطائها، فنمت عندهم نزعة الانفتاح، التي كانت ولا تزال، من اهم محركات تطورهم.

تعاطى الفينيقيون التجارة لسبب جغرافي ناجم عن معطيات لبنان الطبيعية، والمتعلقة بطاقته الزراعية وبموقعه. كانت طاقة لبنان الزراعية، ولا تزال، ضعيفة، لضيق مساحة سهوله، ولا سيما الساحلية منها، منطلق لبنان القديم. وقد وجدوا انفسهم تجاه بحر ملائم للملاحة القديمة، لهدوء مياهه نسبياً، وعلى شاطئ متعرج شكلت اجوانه موانئ طبيعية صالحة لرسو المراكب، ومكسو بالغابات، التي وفرت الاخشاب لصناعة السفن. واذا به يبتعد عن الزراعة، لتعذر امتهانها تأميناً للعيش، ويميل الى الملاحة لتوفر شروطها، فالتجارة التي غدت محور نشاطه الاقتصادي. واذا بالفينيقيين يصبحون، مع تقدم الزمن، ملاحين مهرة، وتجاراً مقدامين، مما ساعدهم في السيطرة على المتوسط، لفترة، «فأصبح بحيرة فينيقية قبل ان يؤول فيما بعد، بحراً إغريقياً او رومانياً»(٢٣).

اما السبب الآخر الذي دفع باللبنانيين الى الاحتكاك بالغرب، فهو وجود الركيزة المسيحية فيه.

من المعلوم ان اللبنانيين ينتمون الى مجموعة طوائف متعايشة بعضها مع

بعض. وتنبثق هذه الطوائف من الدينين: المسيحي والإسلامي. ومن المعروف ايضاً ان المسيحيين يشكلون اقلية في الشرق الاوسط. وقد دفع وضع المسيحيين هذا، الدول الأوروبية الكبرى، وهي مسيحية، الى الاهتمام بهم ورعايتهم واستخدامهم احيانا لمصالحها الخاصة، لا سيما إبان السيطرة العثمانية، اذ قوي نفوذها كثيراً داخل إمبراطورية بني عثمان. ولم تلبث هذه الأوضاع ان أفرزت ما سمي «بالامتيازات الأجنبية»(٢٤). وكان بنتيجتها ان أصبحت لمعظم الطوائف، دولة أوروبية حامية(٢٥)، دائمة الاتصال بها بأشكال متنوعة. وادى الوجود المسيحي هذا الى إطلاق عملية الاحتكاك الفكري بالغرب، عندما قصدت روما نخبة من الرهبان اللبنانيين لتلقي العلم فيها وعودة اكثرهم الى وطنهم لزرع بذور المعرفة في بيئتهم والافادة من ثمارها.

موقع جغرافي ملائم، استعداد عام لدى اللبنانيين للانفتاح على كل ما هو مفيد، رعاية دولية (مع ما يولده الامر من اخطار والتباسات)، كلها اسباب بعيدة وغير مباشرة، مهدت السبيل امام ظهور الاسباب القريبة والمباشرة لحصول الاحتكاك الفعال والمفيد مع الغرب، الذي تجسد في البعثات العلمية، والمدارس، وسياسة فخر الدين الثاني.

كانت البعثات العلمية الوسيلة الاولى والفضلى، التي وفرت للبنانيين، او لفئات منهم، مجال الاحتكاك بالغرب والافادة من تطوره، الامر الذي ساعد اساساً، في القرن التاسع عشر، على احداث ما يسمى، في تاريخه، «النهضة»، التي شملت المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية.

بدأت حركة البعثات العلمية في القرن السابع عشر. اطلقها تأسيس المدرسة المارونية في روما سنة ١٥٨٤، على يد البابا غوريغوريوس الثالث عشر، بغية تثقيف الاكليروس الماروني(٢٦). وقد قصدها عدد من شبان الموارنة، حيث تلقوا ثقافة غربية ثم عادوا الى لبنان لينشروا فيه هذه الثقافة بتأسيس المدارس على النمط الغربي، والتأليف والترجمة(٢٧). وقد ساعد حركة البعثات هذه، وما انبثق عنها من تأسيس للمدارس، تشجيع الأمير فخر الدين الثاني لها، لتسامحه، وبعد نظره، اضافة الى انفتاحه على الغرب وثقافته(٢٨).

وثابر شبان الموارنة اللبنانيون على الذهاب الى روما، في القرنين الثامن عشر

والتاسع عشر، لتلقي العلم، والاحتكاك بالحضارة الغربية، ثم العودة الى البلاد لزرع بذورها فيها. خلال القرن الثامن عشر تميزت هذه الحركة بظاهرتين: تطوير الافادة من خريجي مدرسة روما بالطلب اليهم حصر نشاطهم بتعليم «الأولاد في المدارس» وتوسيع مجاله «بتثقيف الاهلين في القرى المجاورة»[٢٩]، وبتعميقه اعتماداً على تأسيس مدرسة عين ورقة العالية (١٧٨٩) في غوسطا، على مثال مدرسة روما.

وفي القرن التاسع عشر، تطورت حركة ذهاب البعثات العلمية الى اوروبا، لا سيما بعد أحداث سنة ١٨٦٠، فلم تعد مقتصرة على الذين يبغون الانخراط في سلك الرهبانيات، انما تعدتهم الى العلمانيين.

بعد ذلك التاريخ جعلت قنصلية فرنسا في بيروت ترسل الى باريس الفتيان الموارنة النجباء، لتلقي العلم، والعودة بعدئذ الى لبنان، لنشره بين تلاميذه[٣٠].

وفي أوائل القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بدأت بعض العائلات اللبنانية الميسورة ترسل أبناءها الى فرنسا لتلقي العلم الجامعي، ونيل الشهادات العالية، لا سيما في ميدان الحقوق[٣١]، الامر الذي سهل لهؤلاء مجال الاحتكاك الفعال بالحياة السياسية ونظمها واساليب ممارستها[٣٢].

يمكن اعتبار ظهور المدارس المتطورة نسبياً في لبنان نتيجة لاحتكاكه بالغرب وسبباً له. ذلك ان اولى المدارس المتأثرة بالغرب لم تظهر فيه الا بعد عودة خريجي مدرسة روما المارونية. ومن ناحية ثانية، فان ظهور المدارس الأجنبية والوطنية، سببه احتكاكه بالغرب، لان هذه المدارس أنشئت على اسس غربية: علمت اللغات الأوروبية واستوحت اساليب الغرب العلمية والتعليمية ودفع ذوي الطموح من خريجيها الى التوجه نحو جامعات اوروبا لتعميق اختصاصاتهم فيها.

اسس المدارس الأجنبية المرسلون الكاثوليك والبروتستانت، في جو من المنافسة الشديدة. اشهر مدارس الكاثوليك، مدرسة عينطوره في كسروان للآباء العازاريين (١٨٣٤)؛ مدرسة الرهبان اليسوعيين التي أنشئت في غزير سنة ١٨٤٣، ثم نقلت بعدئذ الى بيروت لتصبح عام ١٨٧٥ جامعة القديس يوسف، محتوية كليات اللاهوت والفلسفة والطب والصيدلة (١٨٨٣) وكليتي الهندسة

والحقوق (١٩١٣)، ومعهد الآداب الشرقية؛ وقد الحق بهذه الجامعة، مرصد كسارة، والمكتبة الشرقية، والمطبعة الكاثوليكية. ومن اشهر مدارس البروتستانت نذكر الكلية الإنجيلية السورية، التي اسست في بيروت سنة ١٨٦٦، لتصبح الجامعة الأميركية، وفيها كليات الطب والعلوم والآداب والهندسة والزراعة والتجارة. وهناك مدارس بروتستانتية اخرى ظهرت في سوق الغرب، وبيروت والشوير وبرمانا.

اما المدارس الوطنية الحديثة فقد بدأ تأسيسها كما ذكر آنفاً منذ القرن السابع عشر، على يد خريجي مدرسة روما. نذكر منها مدارس اهدن وحوقا وبقرقاشا وعجلتون. واستمرت هذه الحركة في القرن الثامن عشر، حيث ظهرت اهم مدرسة وطنية، هي مدرسة عين ورقة، التي اسسها المطران يوسف التيان سنة ١٧٨٩، في غوسطا. وكان لها الأثر الأشمل والاعمق في نفوس طالبي العلم من شبان الموارنة. ذلك انها اعتمدت برنامجاً تميز «باتساعه وعمقه»، تمثل بتدريس اربع لغات (اللاتينية، الإيطالية، العربية، السريانية)، الى جانب البيان والمنطق واللاهوت، وفق طريقة استوحيت من المنهجية الغربية الحديثة. وقد تخرجت منها نخبة من رجال الدين والدنيا[٣٣]، تعهدت نشر «العلم والفضيلة»، في انحاء لبنان كافة.

وفي القرن التاسع عشر، ازدهرت حركة تأسيس المدارس الوطنية الحديثة، نذكر منها مدارس بيروت وابرزها مدرسة الثلاثة اقمار (١٨٣٥)، المدرسة الوطنية (١٨٦٣)، مدرسة الحكمة (١٨٧٦)، مدرسة المقاصد الخيرية الإسلامية (١٨٨٠) والكلية العثمانية (١٩٠٨). اما مدارس المناطق فنذكر منها التي أنشئت في كفرحي، صربا، غزير والبلمند[٣٤].

ان هذه المدارس، ولا سيما الأجنبية منها، كانت الاداة الفعالة في عملية احتكاك لبنان بالغرب: علّمت ناشئته اللغات الغربية، بنوع خاص الفرنسية والإنكليزية والإيطالية منها، فأفسحت امامها مجال التعرف الى مختلف مظاهر نشاطاته، من علمية وادبية وسياسية، التي اقتبس منها لبنان قدراً وافياً، فاستساغه وادخله في حياته، مما جعله رائد البلدان العربية في حركة تطورها المتعددة المظاهر[٣٥]. فكان لا بد له، نتيجة لهذا الاحتكاك، من ان يتعرف الى ظاهرة

الأحزاب السياسية، ونقلها الى مجتمعاته.

هذا وتجدر الاشارة الى ان الاحتكاك بالغرب لم يكن، في الامبراطورية العثمانية، حكراً على منطقة او طائفة. فاسطنبول عاصمة السلطنة كانت طوال القرن التاسع عشر حاضرة عظيمة تستقبل افكار الثورة الفرنسية وتسعى نخبتها الى الخروج من الانحطاط الى «الحرية» و«المساواة». ومدينة بيروت ذات الغالبية الاسلامية السنية عرفت في الفترة ذاتها نشاطاً تجارياً وثقافيا مرموقاً، وشكلت همزة الوصل بين الغرب والداخل العربي وصولا الى بلاد فارس.

ج- **الوعي القومي**: يتطلب ظهور الوعي القومي، في مجتمع ما، تحول هذا المجتمع الى امة. والامة مجموعة بشرية متماسكة، تتكون عبر التاريخ في اطار معين، بفعل المعاناة المشتركة، القائمة على التضحيات المؤلمة، والرامية الى تحقيق كيان سياسي مستقل او الى تعزيزه، في اطار المساواة، واستناداً الى خصائص سياسية وثقافية واقتصادية ملائمة. كل هذا غالباً ما يتفاعل، ليولد نوعاً من الاختمار الذهني يتغلغل في النفوس، فيؤدي الى تكوُّن فكرة القومية. عندها ترى الامة نفسها مدفوعة الى التعرف بخصائصها ووعيها فالتمسك بها، لإثبات وجودها المميز، لا سيما عندما تتعرض للأخطار، كمحاولات الدمج او الانتقاص من وجودها باعتماد سياسة التفاوت والتمييز بين القوميات، التي تحاول بعض الأنظمة تطبيقها. اما العرق والدين واللغة، فلا يؤلف كل منها شرطاً اساسياً لتكوّن القومية.

تعتبر «فكرة القومية» من انتاج حضارة الغرب الأوروبي. وقد تعرف اليها المفكرون اللبنانيون بفعل ثقافتهم الغربية، فاعتنقوها. ولم يلبث نفر منهم ان تمسك بها، لحاجته الى الافادة منها في مجال التطبيق، نظراً لوضع لبنان الخاص داخل الإمبراطورية العثمانية[٣٦]، ولوضع المسيحيين، الى جانب المسلمين، في اطار المحيط العربي. وعليه، حاول المسيحيون، اول الامر، الوصول الى «تعاون إسلامي – مسيحي»، يبنى على فكرة القومية العلمانية، مما يطمئنهم الى سلامتهم وكرامتهم في محيط اكثريته الساحقة إسلامية. وصل المسيحيون اللبنانيون الى اعتناق مبدأ التعاون، ضمن فكرة القومية، بفعل تطور تفكيرهم السياسي الذي فرضه عليهم الواقع، كونهم اقلية بقرب أكثرية. وقد نجم عن هذا

الوضع بروز ملامح ثلاث نزعات قومية فيما بينهم: نزعة القومية اللبنانية، نزعة القومية السورية ونزعة القومية العربية.

بدأت ملامح القومية اللبنانية بالظهور في البيئة المسيحية خلال الفترة التي فصلت بين سقوط الإمارة وقيام عهد المتصرفية. في تلك الفترة، جعل المسيحيون اللبنانيون، وخاصة الموارنة منهم، يسعون الى اقامة وطن قومي مسيحي، في جبل لبنان، فلم يوفقوا[٣٧]. وبعد انشاء المتصرفية، ذات الأكثرية المسيحية، نمت نزعة القومية اللبنانية، مستفيدة من عاملين: شخصية يوسف كرم، التي جسدت النزعة الاستقلالية اللبنانية، والدعم الفرنسي لها[٣٨]. وخلال عهد المتصرفية هذا، سعى اللبنانيون الى توسيع مساحة بلادهم، تأميناً لرزق ابنائها. وبما ان المناطق التي طالبوا بضمها الى «لبنان الصغير» كانت اكثرية سكانها من المسلمين[٣٩]، رأوا ان لا مناص لهم من القبول بواقع التعايش المسيحي-الإسلامي، في الوطن المكبر[٤٠]، فاقتنعوا بفكرة التعايش هذه، وبشروا بها، مما جعل فكرة القومية اللبنانية تستند اساساً على مبدأ هذا التعايش.

برزت فكرة القومية السورية العلمانية، بين اللبنانيين ايضاً، ابان عهد المتصرفية، بتأثير عدة عوامل، ابرزها: هاجس تأمين ضمانة للمسيحيين في المحيط الإسلامي، الحذر من الوطن اللبناني، دور بعض المؤرخين.

ان نجاح فكرة هذه القومية العلمانية يؤدي، مستقبلاً، الى ظهور دولة سوريا، الممتدة من جبال طوروس الى صحراء سيناء، والتي ستضم، على قدم المساواة، المسلمين والمسيحيين والدروز واليهود، فلا يبقى فيها اكثرية واقلية. ومن جهة ثانية، تخوف معتنقو هذه القومية من قيام الوجود اللبناني المميز. ذلك ان هذا الكيان ارتكز على اكثرية مارونية ذات ثقافة فرنسية، تحميها حكومة باريس، الامر الذي اقلق خريجي المدارس الأميركية، وهم من الأرثوذكس والإنجيليين والمسلمين والدروز، فرأوا في اعتناق فكرة القومية السورية منجاة لهم من هذا الوضع[٤١]. اما العامل الثالث فيعود الى اثر بعض المؤرخين الكاثوليك ذوي الثقافة الفرنسية، كالأب هنري لامنس، اليسوعي البلجيكي، والمطران يوسف الدبس، اللبناني الماروني. فالاول ركز، في بعض ما كتب عن الإسلام، على التمييز بين السوريين والعرب، وعلى إظهار ميل قوي نحو كيان

سوري. اما الثاني فقد دوّن تاريخاً ضخماً عن سوريا، برز خلاله التشويش الذي انتاب تفكيره حيال نظرته الى كل من سوريا ولبنان[٤٢]. وليس مستبعداً ان تكون افكار هذين المؤلفين قد اثرت في الروم الكاثوليك والموارنة الذين اعتنقوا فكرة هذه القومية الموسعة، لا سيما وان الكيان السوري المقترح كان سيضم الكثيرين من الطائفة الاولى وعدداً لا بأس به، من الطائفة الثانية[٤٣]. ومن المرجح ان يكون المعلم بطرس البستاني اول من جهر بالقومية السورية وروج لها، بمقالاته التي كان ينشرها في مجلتيه: «سوريا» و«الجنان».

هذا، وما ان ظهرت فكرة القومية العربية، حتى خفت صوت المنادين بالقومية السورية، خصوصاً وان الاثنتين استندتا الى اللغة العربية وتراثها.

وكان على القومية السورية هذه ان تنتظر نشوب الحرب العالمية الاولى وابرام اتفاقية سايكس-بيكو، التي جعلت سوريا الكبرى من نصيب فرنسا، لتعود الى سابق نشاطها. ذلك ان حكومة باريس، تمهيداً لإدخال سوريا تحت سيطرتها، انشأت لهذه الغاية، الجمعية المركزية السورية، وقد اخذ مؤسساها، شكري غانم، الماروني اللبناني، وجورج سمنه، من طائفة الروم الكاثوليك، يبشران بقومية سورية، تكون اساساً لسوريا الكبرى. وبما ان الشعب السوري متنوع، لتعدد اصوله ومعتقداته وعاداته، وجب ان تكون سوريا دولة علمانية، لا مركزية، فدرالية[٤٤].

ولدت فكرة القومية العربية في أذهان بعض المفكرين اللبنانيين المسيحيين ايضاً وايضاً، من خلال ما كتبوه، توضيحاً لفكرة القومية السورية[٤٥]. وقد نجم هذا الترابط بين القوميتين عن ارتكاز كل منهما على اللغة العربية وثقافتها، التي شكلت قاسمهما المشترك. ففي عام ١٨٥٩ القى المعلم بطرس البستاني محاضرة جاء فيها ان هناك كياناً، اسمه «العرب»، ولدته «الثقافة العربية»[٤٦]. وبعد اقل من عشر سنوات (١٨٦٨)[٤٧]، القى الشيخ ابراهيم اليازجي قصيدته الشهيرة[٤٨] التي دعا العرب فيها الى «الاستفاقة» و«الخروج على الحكم العثماني»[٤٩]، مذكراً اياهم بالعظمة التي بلغوها في الماضي[٥٠]. اما السبب الذي دفع هذه الفئة الى اعتناق المبدأ القومي العربي، فهو املهم - شأن دعاة القومية السورية - في ان يتمكنوا من ازالة «التسلط الإسلامي» عنهم، على اساس

ان مفهوم العروبة منفصل عن الإسلام.

وبعد عام ١٩٠٨ تغيرت بنية الفكرة القومية. ذلك ان سياسة حزب الاتحاد والترقي قربت بين المسيحيين والمسلمين في الولايات العربية، فتمهد السبيل امام انفاذ فكرة القومية العربية الى اذهان المثقفين المسلمين، الذين اخذوا يروجون لها، منطلقين، كالمسيحيين، من عامل اللغة العربية وتراثها[٥١]. وبعد فترة وجيزة تسلم المسلمون قيادة الفكرة العربية، الامر الذي ادى الى تغيّر جذري في بنيتها، فأخذ الكثيرون من المسيحيين يبتعدون عنها ويظهرون ميلهم لكيان لبناني مستقل.

سعت كل من هذه النزعات القومية الثلاث الى تحقيق هدفها، معتمدة على عدة وسائل، منها الأحزاب، التي كانت ولا تزال، الوسيلة الفضلى لبلوغ الاهداف السياسية. فانبثقت عن كل منها أحزاب وجمعيات نشطت في هذا السبيل، مما امكن اعتبار الوعي القومي، احد الاسباب التي ادت الى ظهور هذه المؤسسات.

٢. الاسباب القريبة والمباشرة

وكانت لهذه الظاهرة الاجتماعية - السياسية اسبابها القريبة والمباشرة، واهمها: سياسة التتريك، قانون الجمعيات، نشوب الحرب العالمية الاولى، وما رافقها من اتفاقات ومبادئ.

أ- **سياسة التتريك**: هي سياسة التوحيد العنصرية، التي حاول قادة ثورة ١٩٠٨ وانقلاب ١٩٠٩، اتباعها، في الإمبراطورية العثمانية، لتوحيد شعوبها، بصهرها في بوتقة القومية التركية الطورانية.

اعتمد اصحاب هذه السياسة، لتتريك شعوب الإمبراطورية، عدة وسائل، اهمها: ارغام جميع هذه الشعوب على تعلم اللغة التركية، لانها اللغة الرسمية، ولغة الشعب، ولغة الدين، اذ اجازوا ترجمة القرآن؛ حصر الوظائف الحساسة بالاتراك، دون غيرهم من سائر شعوب الإمبراطورية؛ العبث بحريتها[٥٢].

جرت هذه المحاولة في مطلع القرن العشرين، بعد ان حصل انقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني، مما ادّى الى إرغامه على اعادة الحياة الدستورية،

اولاً، ثم الى خلعه وتنصيب اخيه سلطاناً مكانه، ثانياً. في تموز ١٩٠٨، نشبت ثورة في اسطمبول، دعمها تنظيم سري يدعى «تركيا الفتاة»[٥٣]، بقيادة ضابطين من اركانه، هما: نيازي وانور؛ وقد أرغمت هذه الثورة السلطان عبد الحميد الثاني على اعادة العمل بدستور سنة ١٨٧٦[٥٤]، الامر الذي اوجب عودة المؤسسات الحكومية الى العمل، واطلاق الحريات[٥٥]. لكن هذا العهد الجديد لم يدم اكثر من سحابة صيف، لان عبد الحميد ظل عبد الحميد، اذ عاود سيرته السابقة، فعمد في السنة التالية (١٩٠٩) الى القيام بردة فعل معاكسة، استهدفت القضاء على اصلاحات «تركيا الفتاة». لكن هذه الجمعية طوّقت المحاولة وخنقتها في المهد: دخل شوكت باشا اسطمبول على رأس قوة من الجيش، وحاصر قصر يلدز، مقر السلطان؛ ثم اجتمع المجلسان (مجلس الاعيان ومجلس المبعوثان) وقررا خلع عبد الحميد، وتنصيب اخيه محمد رشاد سلطاناً، فأصبح محمداً الخامس[٥٦].

دفع نظام عبد الحميد الاستبدادي والتعسفي، الفئات العثمانية المتنوعة، الى التحالف والنضال، تخلصا منه. وما ان وصلت الى هدفها حتى انفرط عقد تحالفها، بسبب سياسة التتريك التي سعى العهد الجديد الى تطبيقها، مما ادى الى نفور القوميات الاخرى منها، ونضالها في سبيل المحافظة على ذاتياتها، متوسلة أساليب مختلفة، منها الأحزاب والجمعيات.

نجم الانشقاق عن التناقض الذي برز في ما روجت له «تركيا الفتاة» من مبادئ. بشرت هذه الحركة، لا سيما خلال نضالها ضد عبد الحميد، بضمان الحرية والمساواة لمختلف شعوب الإمبراطورية العثمانية، وهي مبادئ تضمنها الدستور. ولكنه نص ايضاً على وجوب اعلاء شأن العنصر التركي، وهو مبدأ يناقض المبادئ الاولى. ولم يتنبه اسياد الإمبراطورية الجدد الى هذا الخلل، اول الامر، فما لبثوا ان اصطدموا به عند التطبيق. واذ كانوا قليلي الخبرة، عجزوا عن تسويته، فتخلوا عن مبدأي الحرية والمساواة، وتمسكوا بتطبيق فكرة اولوية العنصر التركي[٥٧]. وازداد حماس اسياد تركيا الجدد لهذا المبدأ العرقي، عندما تبنوا نظام المركزية في الحكم[٥٨]، فعارضته جميع الشعوب، باستثناء الأتراك[٥٩]، مما زاد في تقريب هؤلاء من السلطة ودعمهم لسياستها، فاتسعت

شقة الخلاف بين الطرفين: الأتراك وسائر القوميات؛ ثم بلغت درجة قوية من الحدة، عندما اعتمدت الحكومة على الاستفزاز والعنف في تنفيذ سياستها، فتولد عند الفريق المناهض شعور بخيبة الامل والمرارة[٦٠].

ونتج عن تطبيق سياسة التتريك هذه، ان التهب الشعور القومي عند العرب واللبنانيين وسائر الشعوب، فراح كل منها يفكر في مستقبله، مستوحياً افكار الاتراك وأساليبهم[٦١]. وبما انه كانت للأتراك الأسياد جمعياتهم وأحزابهم[٦٢]، التي عملت علناً وسراً، اصبحت لهذه الشعوب أحزابها وجمعياتها، التي اخذت تسعى الى تحقيق امانيها القومية. فكانت هذه السياسة العرقية من اهم الاسباب المباشرة التي ادت الى ظهور هذه المؤسسات السياسية.

ب- قانون الجمعيات: في الثالث من آب ١٩٠٩، اصدرت حكومة الآستانة قانونا، اجاز لرعايا السلطنة العثمانية، تأليف الجمعيات والاندية. تألف هذا القانون من تسع عشرة مادة، وأنيط تطبيقه بنظارتي الداخلية والعدلية. تناول هذا القانون المواضيع التالية: هوية الجمعيات وغرضها، تأليفها، ادارتها، اعضاؤها، ممتلكاتها، المحظورات، مراقبتها.

عرّف القانون، الجمعيات بأنها مجموعة اشخاص، غرضهم توحيد معلوماتهم ومساعيهم باستمرار.

اجاز القانون تأليف الجمعيات دون ترخيص مسبق؛ انما فرض على المؤسسين اعلام نظارة الداخلية بالامر، او «مأموري الملكية في المحل»، اذا تم التأسيس في الخارج، ببيان رسمي يتضمن: عنوان الجمعية، غرضها، مركز ادارتها، وكل ما له علاقة بالمسؤولين عنها.

تتولى شؤون الجمعيات وشعبها هيئة ادارية قوامها شخصان على الاقل. تحفظ كل هيئة ادارية ثلاثة دفاتر «تسجل في الاول ما يتعلق بالاعضاء، وفي الثاني مقررات الادارة ومخابراتها وتبليغاتها، وفي الثالث كل ما له علاقة بأموال الجمعية». للسلطات حق الاطلاع على هذه الدفاتر.

على اعضاء الجمعيات ان يكونوا في سن العشرين على الاقل، والا يكونوا محكوماً عليهم بجناية او محرومين من الحقوق المدنية.

تكون للجمعيات مالية، تغذيها اعانة الدولة، الهبات، بدلات انتساب

الاعضاء. ويمكنها اقتناء الاموال غير المنقولة.

وحظّر القانون على الجمعيات، جني الارباح، مخالفة الآداب والقوانين، الاخلال بالراحة، السعي الى تغيير شكل الحكومة، بث التفرقة بين المجموعات العثمانية، تأليف جمعيات على اساس قومي وجنسي، حفظ الاسلحة في مقرّ الجمعيات. واخضع القانون مقرّات الجمعيات لتفتيش الضابطة (القوى الامنية)!

واستغلّ رعايا الولايات العثمانية، لا سيما المنتمون الى قوميات غير تركية، هذا القانون، فجعلوا يؤسسون الجمعيات، تحقيقا لاغراضهم القومية. وكان في طليعة هؤلاء مواطنو الديار العربية، ومتصرفية جبل لبنان. الف اولئك فئتين من الجمعيات السياسية: علنية، متسترة بغطاء ادبي واجتماعي، «كالمنتدى الادبي»؛ سريّة، «كالعربية الفتاة». وما انشئ في متصرفية جبل لبنان، على ضآلته، عمل علناً، في سبيل الحفاظ على الذاتية اللبنانية المستقلة اداريا وعليه، كان قانون تنظيم الجمعيات، من الاسباب القريبة التي ادت الى ظهور الجمعيات، داخل الامبراطورية العثمانية.

ج- **نشوب الحرب وما رافقها من اتفاقات ومبادئ**: في العقد الثاني من القرن العشرين، نشبت الحرب العالمية الاولى، التي دامت اربع سنوات (١٩١٤-١٩١٨). اطلقت على هذه الحرب، صفة «العالمية» لان القارات الخمس اشتركت فيها، وقادتها الدول العظمى.

تواجه في هذه الحرب فريقان: الحلفاء والدول الوسطى

ضمّ الفريق الاول: صربيا، روسيا، فرنسا، بلجيكا، بريطانيا، الجبل الاسود واليابان؛ وفيما بعد، انضمت اليهم إيطاليا والولايات المتحدة والبرازيل.

وتألف الفريق الثاني من: المانيا، الإمبراطورية النمساوية-المجرية، بلغاريا والإمبراطورية العثمانية.

لم تدخل تركيا الحرب، الى جانب الدول الوسطى، الا في ٢٩ تشرين الاول ١٩١٤، بعد مرور قرابة الثلاثة اشهر على اندلاعها. ذلك ان المسؤولين فيها انقسموا فريقين:

- فريق تزعمه طلعت باشا[٦٣] وانور باشا وزير الحربية وحبذ فكرة دخول الحرب، لان البقاء على الحياد يعرض الإمبراطورية العثمانية للتقسيم، اياً كان

الرابح. ذلك انه سبق لألمانيا وبريطانيا وفرنسا ان اثارت جدياً هذه الفكرة فأدخلتها في دائرة أطماعها، بانتظار سنوح الفرصة المناسبة.

- فريق قاده المشير عزت باشا وجاويد بك ناظر المالية، وسعى الى ابقاء تركيا على الحياد، مكتفية بتجهيز جيشها فالانتظار والترقب، مما يجعلها قادرة مستقبلاً، اذا شاءت، على دخول الحرب الى جانب الفريق الذي تميل كفته نحو الانتصار.

وبعد طول انتظار، تخللته المناقشات والضغوط، رجح رأي الفريق الاول، المتأثر بالنفوذ الألماني المتزايد داخل الدولة العثمانية، فدخلت تركيا الحرب الى جانب ألمانيا وحليفاتها[٦٤].

وكانت كل من روسيا وبريطانيا وفرنسا، طامعة بأجزاء من الإمبراطورية العثمانية. ووفر دخول الدولة العلية الحرب الى جانب ألمانيا وحليفاتها، الظرف المناسب لاحياء هذه المطامع. وسعت هذه الدول الثلاث لتحقيقها، فكانت الاتفاقات السرية التي ابرمتها حكوماتها، اضافة الى حكومة إيطاليا، واهمها: اتفاق سايكس-بيكو.

وسبق هذه الاتفاقات عقد اتفاق بين حكومة بريطانيا والشريف حسين، امير مكة، عرف باسم اتفاق الحسين- مكما هون[٦٥].

ارتكز اتفاق الحسين-مكماهون بصورة عامة على نقطتين اساسيتين: فصل المناطق العربية عن الإمبراطورية العثمانية وجعلها دولة عربية، يتولى شؤونها الحسين وأبناؤه؛ اعلان أمير مكة، عند اول مناسبة، الجهاد المقدس، وحمل لواء الثورة ضد الاتراك.

يشكل اتفاق سايكس-بيكو[٦٦]، الذي تم عقده بين الحكومتين البريطانية والفرنسية، واحداً من خمس اتفاقات سرية ابرمتها فيما بينها، فرنسا، إنكلترا، روسيا وإيطاليا.

نص هذا الاتفاق على فصل المناطق العربية عن الإمبراطورية العثمانية، وقسمة الجزء الاكبر منها بين بريطانيا وفرنسا. فغدت الأراضي التي تشكل دولتي لبنان وسوريا من نصيب فرنسا، والأراضي التي تؤلف العراق وفلسطين وشرقي الأردن، حصة بريطانيا.

في السادس من ايار ١٩١٧، دخلت الولايات المتحدة الأميركية الحرب، الى جانب الحلفاء، الامر الذي رجح كفتهم، فأنالهم النصر، بفضل الدعم العسكري والاقتصادي وخصوصاً النفسي، الذي قدمته.

وتطلب هذا الحدث الخطير تحضير الرأي العام الأميركي لاخراجه من عزلته(٦٧) والقبول بدخول الحرب؛ وهذا ما فعله رئيس البلاد، وودرو ولسون، ونجح به.

في ٢٢ كانون الثاني ١٩١٧ وجه الرئيس الأميركي الى مجلس الشيوخ، فإلى العالم، مبادئه الاربعة عشر، المستوحاة من الحرية والحق والعدالة، والتي دارت اساساً، على اعطاء الشعوب، لا سيما المغلوبة منها، حق تقرير مصيرها. احدث هذا الامر شبه ثورة في مفهوم العلاقات الدولية، التي كانت قائمة، حتى حينه، على منطق القوة، فتسلط الدول الكبرى على الصغرى وعلى الشعوب المستضعفة.

احرجت هذه المبادئ، ركني فريق الحلفاء، فرنسا وبريطانيا، الدولتين الاستعماريتين الكبريين، والطامحتين الى توسيع رقعة إمبراطوريتيهما، لانها تقف حاجزاً بوجه مطامعهما، لا سيما بالنسبة لمضمون اتفاق سايكس-بيكو.

اولت فرنسا هذه المشكلة اهتماماً خاصاً، فسعت الى حلها عن طريق الالتفاف على المبادئ الولسونية، بدفع اللبنانيين والسوريين الى طلب الرعاية الفرنسية لبلادهم. فاتجهت الى المغتربين خلال الحرب. فالى المقيمين بعد جلاء الاتراك.

تولت هذا الامر وزارة الخارجية الفرنسية، فجعلت تتصل بالمغتربين اللبنانيين، اما مباشرة، واما بالواسطة.

جرى الاتصال المباشر على يد سفراء فرنسا ووزرائها المفوضين وقناصلها في الدول التي فيها مهاجرون لبنانيون. فطفقوا يحثونهم على طلب الرعاية الفرنسية لبلدهم. ولتنظيم عملهم فتسهيله وإضفاء صفة الجدية على قضيتهم، دفعهم هؤلاء الدبلوماسيون الى الانتظام في احزاب وجمعيات تتولى رفع مطالبهم الى من في يدهم الحل والربط، والى عصبة الامم التي انشئت غداة انتهاء الحرب، بنوع خاص.

اما الاتصال غير المباشر فتعهدت به الجمعية السورية المركزية التي انشأتها وزارة الخارجية الفرنسية سنة ١٩١٧ وجعلت مركزها في باريس. قامت هذه الجمعية التي ترأسها الشاعر اللبناني شكري غانم، بنشاط مثمر في حقل الترويج لوضع لبنان وسوريا تحت الرعاية الفرنسية، كان من نتائجه تأسيس فروع لها في دول الاغتراب اللبناني عملت في الاتجاه ذاته.

يستخلص مما اوردنا، ان اتفاق سايكس - بيكو، وخروج الامبراطورية العثمانية منهزمة من الحرب العالمية الاولى، مهّدا السبيل امام فرنسا، لوضع يدها على الاراضي، التي سيتكوّن منها لبنان الجديد. انما اصطدام المطمع الفرنسي، بالبند الرابع عشر من مبادئ الولسونية، المانح الشعوب المستضعفة حق تقرير مصيرها، شكّل حجر عثرة امام بلوغ هدفها. لكنّ حكومة باريس ذللت هذه العقبة، بوضعها صيغة حلّ وفّق بين الواقعين. ذلك انها دفعت مجموعات من اللبنانيين، لا سيما المغتربين منهم، الى طلب الرعاية الفرنسية لبلدهم، من منطلق حق تقرير المصير الذي مُنحوه. وقد تم هذا الامر، على يد عدد هام من الاحزاب والجمعيات، التي حثتهم وزارة الخارجية الفرنسية على تأليفها لهذا الغرض، مقدّمة لها الدعمين المادي والمعنوي اللازمين. وعليه، تكون الحرب العالمية الاولى، وما ارتبط بها (الاتفاق الفرنسي - البريطاني، والولسونية)، وراء ظهور عدد لا بأس به، من الاحزاب والجمعيات...

هوامش الفصل الثاني : ظهور الأحزاب

١ . فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص ٥٧٦.

٢ . G. Contenau, *La Civilisation Phénicienne*, pp. 21-26.

٣ . فيليب حتي، المرجع ذاته، ٥٧٦.

٤ . من افضل ما قيل في تصوير الطموح اللبناني، هذا البيت، الذي صاغه الشاعر المصري حافظ ابراهيم: «رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا الى المجرّة راكباً صاعداً ركبوا».

٥ . فيليب حتي، المرجع ذاته، ص. ٥٧٦، ٥٧٨.

٦ . فيليب حتي، المرجع ذاته، ص. ص. ٥٧٨، ٥٨٠. راجع بشأن الهجرة ايضاً:
Elie Safa, *L'Emigration Libanaise*.

٧ . تم هذا الامر، اثناء احتلال نابوليون بونابرت لمصر، في نهاية القرن الثامن عشر، وخلال حكم محمد علي، في النصف الاول من القرن التاسع عشر.

٨ . Earl of Cromer, *Modern Egypt*, (New York, 1909) vol. II, p. 216.

نقلاً عن : فيليب حتي ، المرجع ذاته ، ص ٥٧٦ . ورد على لسان الموظفين الانكليز : «لقد كان باستطاعتنا احتلال البلاد ولكن لم يكن باستطاعتنا الاحتفاظ بها لولا هؤلاء السوريون واللبنانيون» ، فيليب حتي ، المرجع ذاته ص ٥٧٦ .

٩ . ما يساوي «عشر الثروة القومية المصرية» ؛ حتي ، المرجع ذاته ، ص ٥٧٧ .

١٠ . فيليب حتي ، المرجع ذاته ، ص . ص . ٥٧٦ ، ٥٧٧ . راجع ايضاً : **الهجرة اللبنانية الى مصر «هجرة الشوام»** ، مسعود ضاهر .

١١ . بدأت هذه الحركة في اواخر النصف الاول من القرن التاسع عشر ، عندما باشرها نفر قليل من اللبنانيين ، اشهرهم – لان اخباره عرفت – انطون بشعلاني ، من صليما . غادر لبنان الى الولايات المتحدة سنة ١٨٤٣ ، في سن السابعة والعشرين . وعام ١٨٤٥ توفي في نيويورك . – انظر : Philip K. Hitti, *The Syrians in America*, (New York, 1924) ، **لبنان في التاريخ** ، ص ٥٧٧ للمؤلف نفسه . وفي اواخر العقد السابع من القرن التاسع عشر بدأت حركة الهجرة الى اميركا تتخذ شكل تيار ، لان اللبنانيين كانوا قد تعرفوا اليها فاكتشفوها على نطاق واسع نسبياً . وبعدئذ قوي تيار الهجرة الى اميركا ، فشكل خطراً على لبنان لان عدد الذين غادروه بلغ ، خلال ربع قرن ، (١٨٩٠–١٩١٤) ١٠٠ الف نسمة (٢٥٪ من عدد سكانه) . – انظر : فيليب حتي ، **لبنان في التاريخ** ، ص ٥٧٧ ، Elie Safa *L'Émigration...*

١٢ . تأسست في نيويورك جمعية ادبية عرفت باسم «الرابطة القلمية» ، ضمت نخبة من رجال الفكر ، امثال : جبران خليل جبران ، ميخائيل نعيمة ، رشيد ايوب ، ايليا ابي ماضي ... وكان لها مجلة تعكس نزعتها الجديدة في الادب العربي ، التي شكلت مدرسة فريدة ، اسهمت في اخراج هذا الادب من جموده .

١٣ . برزت في البرازيل ظاهرة ادبية شبيهة بالتي نشأت في الولايات المتحدة ، اذ تأسست فيها جمعية «العصبة الاندلسية» التي ضمت نفراً بارزاً من رجال الادب . اما اثرها فشبيه بأثر الرابطة القلمية .

١٤ . مما لا شك فيه انه كانت للبنانيين ممارسات ديمقراطية منذ القرن السابع عشر ، عندما كان اعيانهم يجتمعون في مؤتمرات لتقرير امر هام ، كمؤتمر السمقانية الذي اقر نقل الامارة الى الشهابيين بعد انقراض سلالة آل معن . ثم برز في هذا المجال دور مجلس الادارة في عهد المتصرفية . – انظر : اسد رستم ، آراء وابحاث ، ص ٩٩ .

١٥ . بشاره خليل الخوري ، **حقائق لبنانية** ، الجزء الاول ، ص ٦٤ .

١٦ . راجع بهذا الشأن : اسد رستم : **لبنان في عهد المتصرفية** .

Antoine Kheir: *Le Moutaçarrifat du Mont-Liban.*

١٧ . Dib (Pierre): *"L'Église Maronite"*, tome I, pp. 165-177.

١٨ . كمال الصليبي ، **منطلق تاريخ لبنان** ، ص ٦٥–٦٧ .

١٩ . محمد علي مكي ، **لبنان من الفتح العربي الى الفتح العثماني** ، ص . ص . ٩٣–٩٦ .

٢٠ . انظر : J. Besançon, *Recherches géomorphologiques...*

P. Birot et J. Dresch, *La Méditerranée...*; X. de Planhol, *Caractères de la vie montagnarde...*; P. Sanlaville, *Etude géomorphologique..*, et *La Personnalité géographique du Liban;*

R. Thoumin, *géographie humaine...*; E. de VAUMAS, *Les conditions...*; J. Weulersse, *Paysans...*

٢١ . انظر : اضافة الى ما ورد اعلاه ، المصادر التالية :

A. LATRON, *La Vie Rurale...*; P. Sanlaville: *Les Régions agricoles du Liban...*, et la *Personnalité géographique du Liban.*

٢٢ . هي الابجدية التي ثبت انها من استنباط الفينيقيين ، والتي لا تزال طريقة الكتابة المثلى في العالم . ويعتبر المؤرخون واصحاب الاختصاص ان هذا الاستنباط هو من افضل ما اسهم في تطوير الانسان ، لانه مكنّه من التعبير بوضوح عن معظم ما يجول في فكره . وابرازاً لهذه الاهمية قال فيليب حتي : «لا شك ان اعظم نعمة اسبغها الفينيقيون على الحضارة الانسانية كانت اكتشاف الحرف» ، **لبنان في التاريخ** ص ١٤٩ . وقد اوضح هذا الامر صاحب اختصاص بقوله : «سبقت الفينيقيين شعوب اخرى في وضع نظام للكتابة كالخط المسماري والهيروغليفي ولكنهم كانوا اول من جرد الصور التي كانت تستعمل للكتابة ، الكلمة او المقطع ، واستعاضوا عن هذا النظام بوضع رموز : كل رمز منها يمثل وحدة صوتية (فونيم)» ، انيس فريحة ، في حاشية الصفحة ١٤٩ من كتاب : **لبنان في التاريخ** ، لفيليب حتي . –

R. Weill, *La Phénicie et L'Asie Occidentale*, p. 153-174;

G. Conteneau, *La Civilisation Phénicienne*, p. 245-274,

موريس شهاب : الابجدية ، دائرة المعارف ، بإدارة فؤاد افرام البستاني ، الجزء الثاني .

٢٣ . فيليب حتي ، **لبنان في التاريخ** ، ص ١٧٧ .

٢٤ . منحت هذه المعاهدة ، الاوروبيين الساكنين في ولايات الامبراطورية العثمانية ، امتيازات خصوصية في القضاء والتجارة .

٢٥ . كانت فرنسا تحمي الموارنة ، والنمسا تحمي الروم الكاثوليك ، وروسيا تحمي الروم الارثوذكس . وليكون لبريطانيا موطئ قدم طائفي في لبنان ، وجهت انظارها نحو الدروز فوضعتهم تحت حمايتها ، كما كانت تهتم بشؤون الطائفة البروتستانتية القليلة العدد . اما السنة فلم يكونوا بحاجة الى حام ، لان دين الدولة العلية كان الاسلام . بقي الشيعة الذين تنازعهم تياران : تيار الباب العالي ، وتيار فرنسا التي أقاموا علاقات معها في العهد الصليبي ، عندما حاصر بونابرت عكا في اواخر القرن الثامن عشر (١٧٩٨) .

٢٦ . لمزيد من التفاصيل ، راجع . P. Raphael, *Le Collège maronite de Rome.*

٢٧ . ابرز الذين تخرجوا من المدرسة المارونية في روما ، وعادوا الى لبنان لينشروا فيه ثقافة الغرب : البطريرك اسطفان الدويهي الذي اسس مدرسة اهدن في القرن السابع عشر ؛ البطريرك يوسف التيان الذي اسس مدرسة عين ورقة (١٧٨٩) . هذا ، وقد بقي قسم من هؤلاء الخريجين في اوروبا ، حيث عملوا في ميدان الفكر ، نذكر منهم :

– الصهيوني ، Sionita : زاول التدريس في ايطاليا ، ثم في المدرسة الملكية بباريس ، وترجم الى اللاتينية كتاب «نزهة المشتاق» للشريف الادريسي .

– الحصروني ، Hesronita : درس اللغات الشرقية في روما وباريس ، واشترك مع الصهيوني في نشر الكتاب المقدس المتعدد اللغات Bible polyglotte وقد نُقش اسماهما على مدخل الكوليج دو فرانس Collège de France ، في باريس .

– الحاقلاني Hecchelensis : درس في جامعة باريس ، وترجم للبلاط الفرنسي عدداً من الكتب

الهامة . منحه ريشليو لقب مترجم البلاط .

٢٨ . يبدو ان الامير فخر الدين الثاني كان على جانب من الثقافة : علم الفلك والفلسفة .

٢٩ . هذا التوجيه صدر عن مجمع اللويزة الذي انعقد عام ١٧٣٦ ، وركز على قضية التعليم ، اذ قال : «اننا نأمر بان تفتح في المدن والقرى والاديرة مدارس يتلقى فيها الصبيان العلوم . اننا نحث المطارنة والكهنة ورؤساء الاديرة على التعاون في سبيل تعيين المعلمين وتسجيل الصبيان القادرين على تحصيل العلم ، وحمل اهلهم على التوجه بهم الى المدارس ... على المعلمين الذين يختارون من مدرسة روما ان يعلموا الاولاد في المدارس ، ويثقفوا الاهلين في القرى المجاورة» . وركز هذا المجمع على ضرورة دوام الاحتكاك بحضارة راقية .

٣٠ . نذكر على سبيل المثال المعلمين يوسف حرفوش (بكاسين) ، وشاكر عون (جزين) اللذين التحقا لهذه الغاية بإحدى مدارس مدينة فرساي (Versailles) .

٣١ . من ابرز هؤلاء : اميل اده (بيروت) ، الذي نال شهادة الدكتوراه في الحقوق من جامعة «إكس أن بروفانس» ؛ داود عمون (دير القمر) . نال اجازة الحقوق من الجامعة نفسها ؛ بولس نجيم (Jouplain جونيه) ، نال شهادة الدكتوراه في القانون الدولي من جامعة باريس ؛ بشاره الخوري (رشميا) ، نال اجازة الحقوق من جامعة باريس ؛ لويس الاسمر كرم (جزين) نال شهادة الدكتوراه في الحقوق من جامعة باريس ؛ يوسف سعد الله الحويك (حلتا ، البترون) وقد تخصص في فن النحت .

٣٢ . ذكر الشيخ بشارة الخوري في مذكراته شيئاً عن كيفية الاحتكاك المباشر بالحياة السياسية الفرنسية اذ قال : «واسعدني الحظ ان تعرفت ببعض نواب حزب اليمين . وحضرت غير مرة جلسات المجلس النيابي ومجلس الشيوخ واستمعت الى خطب شائقة . وقد استقبلني بعض هؤلاء النواب في داره وسألني عن حالة لبنان ، فاسهبت في تبيان جماله وضيق حاله ونزعته الى الاستقلال وضرورة توسيعه من جهة السهول والمدن . وقد اثرت في أي تأثير مقابلة زعيم حزب اليمين الكونت دومان الخطيب المفوه والضابط القديم الذي اجمع اصدقاؤه وخصومه على حبه واحترامه ، وهو طويل القامة ممتلئ الجسم ابيض الناصية ، يشع من عينيه الصدق ويحيط به الوقار ، فاستمع الي بكل انتباه ووعدني بمساندة المطالب اللبنانية ، وتطرق الى سياسة فرنسا في الشرق ، وكنا نبني عليها آمالاً كباراً» . **حقائق لبنانية** ، الجزء الاول ص ٦٤-٦٥ .

٣٣ . من رجال الدين ، البطاركة : حبيش ، الخازن ، مسعد ، الحاج ؛ ومن العلمانيين : احمد فارس الشدياق ، الكونت رشيد الدحداح ، المعلم بطرس البستاني - لمزيد من التفاصيل ، راجع الأب ناصر الجميل ، «مدرسة عين ورقة» .

٣٤ . انظر : فؤاد افرام البستاني ، مخطوطته في النهضة الفكرية ؛ بحثه : «تاريخ التعليم في لبنان» ، في «محاضرات الندوة» ٤ ، [(170-179) [1950]] ؛ كمال الصليبي ، **تاريخ لبنان الحديث** ص . ص . ١٥٨-١٨٢ ، اسد رستم ، **لبنان في عهد المتصرفية** ، ص . ص . ١٠١-١١٢ ؛ فيليب حتي ، **لبنان في التاريخ** ص . ص . ٥٤٥-٥٤٦-٥٤٩-٥٦٠ .

٣٥ . لفت احتكاك اللبنانيين المبكر والمستمر بالغرب ، ودوره في النهضة الفكرية ؛ انتباه الآخرين ، فابرزوه بما يستحق من اهتمام . من هؤلاء الاديب المصري احمد حسن الزيات الذي اوجز بوضوح هذه الظاهرة ، في كتابه تاريخ الادب العربي ص ٤٣٤-٤٣٨ : «دخلت الطباعة الى الشرق فكان السبق للبنان في استعمالها فقد اسس الرهبان اللبنانيون اول مطبعة في البلاد العربية ... اما التمثيل بمعناه الحديث فلم تعرفه اللغة العربية الا في اواسط القرن الماضي ، وكان اللبنانيون اسبق الشرقيين الى اقتباسه ... ومما لا بد من ذكره ان الفضل في تقدم الصحافة ورقي التحرير والترجمة انما

كان للبنانيين لسبقهم الى معرفة اللغات الاوروبية ... اقتبس ادباؤنا القصة من ادب الغرب وكان اول من فعل ذلك اللبنانيون» .

٣٦ . كان هذا الوضع مرتكزاً الى الاستقلال الذاتي ، المنبثق عن الكيان الخاص الذي وصل اليه لبنان .

٣٧ . كمال الصليبي ، **تاريخ لبنان الحديث** ، ص ١٩٥ .

٣٨ . كمال الصليبي ، المرجع ذاته ، ص ١٥١ .

٣٩ . هذه المناطق هي : بيروت ، والبقاع الخصب ، ثم بلاد بشاره وعكار والحولة ومرجعيون ...
انظر : M. Jouplain (Pseud. de Boulos Noujaim), *La Question du Liban*, pp. 544, 545.

٤٠ . كمال الصليبي ، المرجع ذاته ، ص ١٦٩ .

٤١ . البرت حوراني ، **الفكر العربي في عصر النهضة** ، ص ص . ٣٢٩-٣٣٠ .

٤٢ . البرت حوراني ، المرجع ذاته ، ص ٣٣٠ .

٤٣ . انظر : البرت حوراني ، المرجع ذاته ، ص ٣٢٧ ؛ كمال الصليبي ، المرجع ذاته ، ص ١٩٧ .

٤٤ . البرت حوراني ، المرجع ذاته ، ص . ص . ٣٤٤-٣٤٥ .

٤٥ . البرت حوراني ، المرجع ذاته ، ص ٣٣٠ .

٤٦ . كمال الصليبي ، المرجع ذاته ، ص ١٩٧ .

٤٧ . فيليب حتي ، المرجع ذاته ، ص ٥٨٠ .

٤٨ . تبدأ هذه القصيدة بالبيت التالي : «تنبهوا واستفيقوا ايها العرب = فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب» .

٤٩ . فيليب حتي ، المرجع ذاته ، ص ٥٨٠ .

٥٠ . البرت حوراني ، المرجع ذاته ، ص ٣٣١ .

٥١ . كمال الصليبي ، المرجع ذاته ، ص ١٩٩ .

٥٢ . كمال الصليبي ، المرجع ذاته ، ص . ص ١٩٩-٢٠١ .

٥٣ . كان تنظيم «تركيا الفتاة» ، المؤلف من عسكريين ، النواة الفاعلة داخل حزب متسع نسبياً ، هو حزب «الاتحاد والترقي» .

٥٤ . ادخل عبد الحميد الثاني هذا الدستور على الحياة السياسية العثمانية ، سنة توليه عرش السلطنة ١٨٧٦ ، بعد خلع اخيه السلطان مراد . وكان وراء هذه العملية رئيس الوزراء ، آنذاك ، مدحت باشا ، الملقب بابي الدستور ، الذي استوحى من الدستورين ، الفرنسي والبلجيكي . اما اهم الامور التي نص عليها الدستور ، فكانت : المساواة بين جميع العثمانيين ، الحرية ، انشاء مجلسين تمثيليين ، اعلى وادنى . لكن عبد الحميد لم يتحمل هذا النوع من السياسة الدستورية فعلق الدستور سنة اعلانه (١٨٧٦) ، مما ادى الى عودة الحكم الاستبدادي ، اذ حُلّ البرلمان ، وطمست الحريات وشرد الدستوريون .

٥٥ . كان من نتيجة اطلاق الحريات ازدهار الحركة الصحفية ، فظهرت في بيروت حوالي ٦٠ جريدة وفي بغداد حوالي ٤٠ . كما انشئت عدة احزاب سياسية .

٥٦ . انظر بشأن كل هذا : جورج انطونيوس : **يقظة العرب** ؛ زين زين : **نشوء القومية العربية** ؛ البرت حوراني : **الفكر العربي في عصر النهضة** ؛ يوسف الحكيم : **سورية والعهد العثماني** .

٥٧ . جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ص. ١٨٠-١٨٣ . زين زين؛ **نشوء القومية العربية**، ص. ص. ٨١-٩٠ . البرت حوراني؛ المرجع ذاته، ص. ص. ٣٣٤-٣٣٦ .

٥٨ . جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص ١٨٣ .

٥٩ . زين زين، المرجع ذاته، ص ٨٣ .

٦٠ . جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص ١٨٣ ؛ زين زين، المرجع ذاته، ص. ص. ٨٦-٨٧ .

٦١ . زين زين، المرجع ذاته، ص ٩٠ .

٦٢ . سليمان موسى، **الحركة العربية**، ص ٣٢ .

٦٣ . كان طلعت باشا (١٨٧٢-١٩٢١) من زعماء «تركيا الفتاة». تسلم رئاسة الوزارة خلال سنتي ١٩١٧ و١٩١٨ . اغتيل في برلين.

شكل انور باشا (١٨٨٢-١٩٢٢)، الذي تسلم وزارة الحربية، مع طلعت وجمال، وزير البحرية، مثلثاً نافذاً كانت له الكلمة الاولى في تسيير شؤون الامبراطورية العثمانية. توفي في سمرقند.

٦٤ . لمزيد من التفاصيل، راجع: شكيب ارسلان، **سيرة ذاتية**، ص. ص. ١١٧-١٣٣ ؛ يوسف الحكيم، **بيروت ولبنان في عهد آل عثمان**، ص. ص. ١٤٨-١٤٩ .

٦٥ . الحسين بن علي، الهاشمي (١٨٥٦-١٩٣١). شريف مكة، اعلن الثورة على الاتراك بموجب اتفاقه مع الانكليز. ابعده عبد العزيز آل سعود عن الحجاز فأقام في قبرص. توفي في عمان ودفن في الحرم الشريف.

اما مكما هون Arthur Henry Mc Mahon فكان معتمد بريطانيا في مصر.

٦٦ . كان مارك سايكس Sykes، نائباً في مجلس العموم. اما فرنسوا جورج بيكو Picot، فكان دبلوماسياً، شغل منصب قنصل فرنسا العام في بيروت قبل الحرب، ثم المفوض السامي الاول في لبنان وسوريا.

٦٧ . أرسى الرئيس الخامس للولايات المتحدة، جيمس مونرو James Monroe سنة ١٨٢٣ مبدأ انعزال اميركا بتطبيقه سياسة عدم تدخل اوروبا في شؤون اميركا، مقابل عدم تدخل أميركا في شؤون اوروبا.

الفصل الثالث

الأحزاب والجمعيات اللبنانية التوجه

١ - جمعية الاتحاد اللبناني Alliance libanaise

سعى بعض الاعيان بعد اعلان اعادة العمل بالدستور العثماني، من لبنانيين وغيرهم، الى دمج متصرفية جبل لبنان في الولايات العثمانية المحيطة بها، دون شروط[١]، الامر الذي كان سيؤدي الى التنازل عن الامتيازات الاستقلالية الخاصة التي يتمتع به الجبل، زاعمين ان اعلان مبادئ الحرية والاخاء والمساواة التي بشر بها الاتحاديون ستغني اللبنانيين عن هذه الامتيازات، كما ان انضمامهم الى إمبراطورية شاسعة الأطراف، سيفتح امامهم مجالاً فسيحاً للعمل[٢].

ظن العثمانيون ان انقلاب حزب الاتحاد والترقي سيخلصهم من الضغط والارهاب، فتنفسوا الصعداء، وراحوا يبتهجون بالحدث بالتظاهرات والاحتفالات. ووصلت هذه الموجة الى المصريين، فشاركوا العثمانيين فرحتهم، مقيمين المهرجانات الخطابية والحفلات. وتأثرت الجالية اللبنانية في مصر بها، فانضم بعض وجوهها الى المبتهجين، والقوا الخطب والقصائد المرحبة بالعهد الجديد. ولم يقف الامر عند هذا الحدّ، بل تعداه الى حضّ البعض مواطنيهم على التخلي عن الامتيازات اللبنانية والاندماج في الولايات العثمانية، «بحجة ان المجال اوسع وارحب لنشاط اللبناني في تلك الإمبراطورية المترامية الاطراف»، كما جاء على لسان جريدة «المقطم»[٣]. نشطت هذه الدعوة في لبنان، وبين اعضاء الجالية اللبنانية في مصر. تزعم هذه الحركة في

لبنان والي بيروت التركي، فأمدّها بالمساعدات، والمتصرف يوسف فرنكو باشا، الذي شجعها[٤].

لكنّ الاستقلاليين اللبنانيين تصدوا لهذا التيار بقوة، ووضعوا حداً له: «وهبت في وجههم [دعاة الالتحاق] ردة فعل لبنانية قوية، ولم يعد احد منهم ليجرؤ على الجهر بأفكاره»[٥]. من أهم ما برز في هذا المجال الحملة الصحفية التي قامت بها جريدة «الارز»، للشيخين الشقيقين، فيليب وفريد قعدان الخازن، فشنت هجوماً عنيفاً على مروجي هذه السياسية، اذ «انبرت بكل شجاعة تدافع عن الاستقلال الذاتي وتنكر على المتطرفين زج لبنان في مشاكل الدولة العثمانية او اشراكه في مجلس المبعوثان»[٦].

واقلق هذا التيار بعض وجوه الجالية اللبنانية في مصر، لا سيما انطون الجميل ويوسف السودا، اللذين قصدا لبنان في صيف ١٩٠٩، ليتأكدا من موقف المتصرف بالنسبة لسياسة الضمّ. قابله يوسف السودا، واطلعه على مخاوف الجالية اللبنانية من هذه السياسة، وطلب منه، باسم الجالية، «التصدي لهذه الحركة» وهو الأمين على امتيازات لبنان. «لكن مسعاه فشل "[٧]. عندئذ قصد السودا بكركي، حيث اطلع النائب البطريركي، يوسف بو نجم، على ما جرى بينه وبين المتصرف. ونتج عن هذه المقابلة اقتناع السودا بفكرة اوحاها واقع الحال للنائب البطريركي، وادّت الى تأسيس جمعية الاتحاد اللبناني، وهي «ان مقاومة الحركة في بيروت ولبنان ليست بالامر السهل، وفي بيروت وآل تركي يشجعها وفي لبنان المتصرف على ما رأيت. لن تجدي المعارضة الا اذا قامت في الخارج»[٨].

عاد الوطنيان اللبنانيان الى مصر، واطلعا اركان الجالية على ما لمساه في لبنان. وبعد التشاور قرّ الرأي على تنظيم صفوف معارضي هذا التيار، في إطار قومي لبناني، وذلك بتخطي التجمعات الطائفية، من مارونية وأرثوذكسية وكاثوليكية، ورصّ الصفوف في بوتقة الوحدة اللبنانية. وتمهيداً لتحقيق هذه الغاية، نشرت المقالات في الصحف، وتكثفت الاتصالات والمشاورات بين أعيان الجالية، الأمر الذي نبّهها الى الخطر المحدق بالوجود اللبناني. وأدت كل هذه النشاطات الى إقرار فكرة «انشاء جمعية تحت شعار لبناني لا طائفي»، يقوم

برنامجها على تثبيت الكيان اللبناني بالدفاع عن الامتيازات التي خصّ بها، بموجب نظامه الأساسي الذي كرّسه بروتوكولا ١٨٦٠ و١٨٦٤، والعمل على تطويره بإنالة لبنان استقلاله التام في حدوده الطبيعية، بضمانة الدول العظمى، اضافة الى تحسين الأوضاع الاقتصادية، وإصلاح اداة الحكم[٩].

وتنفيذاً لهذه الفكرة، تألفت لجنة في القاهرة، أنيط بها امر تأسيس الجمعية، بوضع قانونها الأساسي، انتمى أعضاؤها الى ميادين السياسة والقانون والإدارة والصحافة والأدب[١٠]. وتشكلت اللجنة على الوجه التالي: اسكندر عمون رئيس، انطون الجميل سكرتير عام، حيدر المعلوف امين صندوق. اما سائر الأعضاء فكانوا: جبرائيل تقلا، داود بركات، حبيب غانم، محمد تلحوق، خليل ابي اللمع، بولس مسعد، حبيب يزبك، جرجس حنا، سليم ابو عز الدين، سليم البستاني، سامي جريديني[١١].

وانضم اليهم، فيما بعد، اوغست اديب. وكان يحضر جلسات التأسيس، الى جانب الاعضاء المؤسسين، لبنانيون آخرون، امثال: امين افرام البستاني، يوسف افرام البستاني، وشبلي الشميل[١٢]. وفي ٢٦ شباط ١٩٠٩[١٣]، اقر قانون الجمعية الأساسي[١٤]، الذي اطلق عليها اسم الاتحاد اللبناني[١٥]. وقد تناوب على رئاستها ثلاثة: اسكندر عمون، اوغست اديب، وداود بركات.

بعد ان تأسس الاتحاد اللبناني في القاهرة، اخذت فروعه تظهر في سائر المدن المصرية. في ٢٨ آذار ١٩١٠، تأسس فرع الإسكندرية، عندما دعي ابناء الجالية الى اجتماع عقد لهذه الغاية؛ تألفت لجنته العاملة من السادة: حبيب انطونيوس رئيس، يوسف السودا سكرتير، ديمتري سابا امين صندوق؛ اما سائر اعضائه فكانوا: اسعد حنا، مراد السودا، اسكندر شكري، قيصر الشميل، خليل صافي، انطوان عواد، عباس المصفي، حبيب المعوشي، اسكندر نعمه، جورج شيخاني، بطرس لحود[١٦]. ثم ظهرت فروع اخرى في مدن مصريّة كبرى، كالمنصورة، طنطا، المحلة الكبرى، دمنهور، كرم حمادة[١٧]... يبقى ان نشير الى ان مالية الاتحاد كانت شحيحة، مما أعاق نشاطه[١٨].

عارض برنامج الاتحاد كثيرون، لبنانيون وفرنسيون، لانه طالب باستقلال لبنان التام، مسقطاً طلب الرعاية الفرنسية له. وقد برزت هذه المعارضة بإقامة

العقبات في وجهه وباختلاق الاراجيف حياله . فاتهمه بعض الكتاب في فرنسا بالخيانة والتنكر للوطنية . ذلك ان خصوم الاتحاد قصدوا الاساءة اليه فصوروه هكذا ليثيروا حفيظة الفرنسيين عليه، فنجحت هذه الخطة لدى الاستعماريين الفرنسيين[١٩] .

ما ان تأسس الاتحاد اللبناني حتى باشر نشاطه سعياً وراء تحقيق هدفه الاساسي، الا وهو تثبيت الوجود اللبناني . اما الوسائل التي اعتمدها في هذا السبيل فكانت : اللقاءات، المقالات، القصائد، المذكرات، الكتب، وذلك لتنوير اذهان اللبنانيين ورصّ صفوفهم، واطلاع مسؤولي الدول الكبرى على وضع القضية اللبنانية .

وقد سهل على الاتحاد القيام بهذا الدور الاعلامي لصلاته المتينة بالصحافة في مصر، حيث كانت كبريات الصحف بأيدي اللبنانيين، وبعضهم من اركان هذه الجمعية، امثال «الأهرام» لجبرائيل تقلا، وكان رئيس تحريرها داود بركات وامينها العام انطون الجميل؛ «المقطم» واصحابها يعقوب صروف، فارس نمر، وشاهين مكاريوس ومدير ادارتها خليل ثابت؛ «البصير» لرشيد الشميل وابنه شارل؛ اضافة الى «الامة» لصحابها الكاتب الشهير ولي الدين يكن، الذي كان على صداقة متينة مع لبنانيي الإسكندرية . اما في لبنان فكانت الصحف ترحب بحماس بكل ما كان يخدم المسألة اللبنانية؛ نذكر منها «الارز» للأخوين فيليب وفريد الخازن، «النصير» لعبود ابي راشد[٢٠]، «البرق» لبشارة عبد الله الخوري . اما في الغرب الاميركي فنذكر «الهدى» النيويوركية، لنعوم المكرزل؛ وفي فرنسا جريدة «الطان» الباريسية Le Temps التي كانت تنشر بعضاً مما كان يصدر عن الاتحاد لكون خيرالله خيرالله احد محرريها من معتنقي مبادئ هذه السياسة .

امتدّ نشاط الاتحاد على ثلاث فترات : قبل الحرب العالمية الاولى، في أثنائها، وبعدها .

في فترة ما قبل الحرب، كرّس الاتحاد نشاطه للمحافظة على امتيازات لبنان الاستقلالية، بالسعي الى الحؤول دون ضمّه الى دولة بني عثمان، والى تطوير هذه الامتيازات قدر المستطاع . وابرز ما قام به، في هذا السبيل، بث الدعوة لمبادئه، في اوساط المهاجرين، التصدي لشائعة احتلال الأتراك للبنان،

والافادة من بروتوكول تعيين المتصرف عام ١٩١٢ .

اتصل الاتحاد اللبناني بالجاليات اللبنانية في أميركا وأوروبا، داعياً اياها الى رصّ صفوفها وتنظيم مساعيها، في اطار الاحزاب والجمعيات . ولكي يمهّد امامها هذا السبيل، كان يرسل اليها نسخاً من قانونه . واثمرت هذه المساعي، اذ ظهرت في الأرجنتين (بيونس آيرس) جمعية اتخذت لنفسها اسم الاتحاد اللبناني، رئسها يوسف سلامه ثم موسى بو صادر[٢١]، وأصدرت جريدة بالتسمية نفسها سنة ١٩١٥، لتنطق باسمها، فعاشت الى ما بعد سنة ١٩٢٩[٢٢] . واسست في كندا جمعية اتخذت الاسم نفسه ايضاً .

اما الجمعيات التي اعتمدت برنامج الاتحاد اساساً لعملها، وتسمت باسماء اخرى، فنذكر منها، «النهضة اللبنانية» في نيويورك، التي رئسها نعوم مكرزل ثم نعوم هاشم، «واللجنة اللبنانية» في باريس وقد رئسها عباس بجاني[٢٣] .

في صيف عام ١٩١٠، شاع بين اللبنانيين ان الجيش التركي عازم على احتلال لبنان، تحت ستار نزع السلاح من الاهلين . فكان الاتحاد اللبناني في طليعة الذين تصدوا لهذا الامر . وانتهت القضية بسلام[٢٤] .

أسفرت المساعي التي قام بها الاتحاد، سعياً وراء تحقيق أهدافه، عن نتيجة هامة، تمثلت بالاهتمام الذي أبدته الدولة العثمانية، التي بيدها الحلّ والربط مباشرة، إزاء القضية اللبنانية . فأوفدت، في نيسان ١٩١٠، مندوباً لمفاوضة الجمعية في مطالبها، التي دارت على الامور التالية : توسيع حدود جبل لبنان، باسترجاعه ما سلخ عنه، مثل بيروت والبقاع وسائر الاراضي؛ فتح المرافئ اللبنانية امام البواخر التجارية؛ إلغاء احتكار التبغ والتنباك والملح، لان هذا التدبير يتعارض مع الامتيازات اللبنانية، والسماح بتصدير التبغ والكحول وبعض الملح؛ فصل القضاء التجاري في جبل لبنان عن مثيله في ولاية بيروت . وبعد التشاور مع مسؤولي بلاده، افاد المندوب العثماني ان حكومته مستعدة لتلبية هذه المطالب .

وكان ان اجتمع سفراء الدول الست، مع ممثل الباب العالي، في الآستانة، للاتفاق على تعيين متصرف يخلف يوسف فرنكو باشا . استغل الاتحاد المناسبة، فوضع مذكرة جديدة، رفعها الى الباب العالي، والى وزارات خارجية

الدول المعنية بالقضية اللبنانية وسفاراتها؛ كما وزع الوفأ منها على اللبنانيين المنتشرين في مختلف البلدان، ركّزت على ضرورة تحقيق الإصلاحات التي طالبت بها سابقاً، إضافة الى إصلاحات اخرى وهي: «جعل الحكم في لبنان حكماً دستورياً مستقلاً؛ وان ينتخب مجلس الإدارة انتخاباً شعبياً[٢٥]، وان يكون له حقّ التشريع، وحقّ الرقابة على الحكومة، وعلى الضرائب، اسوة بالمجالس النيابية؛ والاعتراف بالرعوية اللبنانية؛ واستعادة الجمارك وإيرادات البريد، لتستطيع الحكومة انشاء مصلحة صحّية ومدارس حكومية لم يكن لها من وجود».

لم تلبث جهود الاتحاد ان أعطت ثمارها، وذلك بعد اقل من سنتين. في بروتوكول تعيين المتصرف الجديد، اوهانس قيومجيان باشا، سنة ١٩١٢، تمت الموافقة على قسم من هذه المطالب، اضافة الى اخرى، ليست اقلّ أهمية منها: طريقة انتخاب اعضاء مجلس الإدارة؛ الامتناع عن حلّه او عزل احد أعضائه، الا استناداً الى تحقيق، وبموافقة المجلس؛ تمثيل دير القمر بعضو خاص في المجلس؛ انشاء محكمة تجارية مستقلة، منفصلة عن القضاء التجاري في الولاية؛ الاعتراف للبنان بالأموال المستحقة له على خزانة الدولة العثمانية[٢٦].

عرّض نشوب الحرب العالمية الاولى الوجود اللبناني الى خطر مثلث المصادر: عثماني ناجم عن حرمانه من الضمانة الدولية، وهو الاهم؛ عربي ثم فرنسي، متأتيان عن الاتفاقات السرّية التي أبرمت اثناء الحرب.

تحررت تركيا، بدخولها الحرب الى جانب المانيا والنمسا، من القيود الدبلوماسية التي كانت تقيد تحركات حكومتها داخل الإمبراطورية، فعمدت الى اتخاذ بعض التدابير التي تنسجم ومصلحتها، ومن بينها، الغاء نظام لبنان الخاص، وبالتالي القضاء على امتيازه الاستقلالي، مما ادخله في نظام الولايات. وإضعافاً للروح الاستقلالية اللبنانية، نكّل الاتراك باللبنانيين، وضيقوا عليهم. فكان الاتحاد اللبناني في طليعة الذين تصدوا بقوة لهذه السياسة.

بعد ان ألغى العثمانيون نظام لبنان ونكّلوا باللبنانيين، عن طريق الإعدام والنفي والتضييق الاقتصادي، هب المهاجرون اللبنانيون وجمعياتهم، وفي

طليعتها الاتحاد اللبناني، الى نجدتهم بمختلف الوسائل، كالاتصال بالرئيس ولسون وبالكرسي الرسولي، ليسعيا الى حماية اللبنانيين، وجمع الاغاثات وإرسالها سراً اليهم[٢٧].

وبعد نشوب الحرب بأكثر من سنتين، قام الاتحاد اللبناني بخطوة دبلوماسية دفاعاً عن القضية اللبنانية، اذ قدّم، بتاريخ ٢٢/ ٢/ ١٩١٧، الى مفوضيات فرنسا وإنكلترا وإيطاليا في القاهرة، مذكرة احتجاج، انكر فيها على تركيا حقّ، «إلغاء استقلال لبنان وامتيازاته»، باحتلال جيوشها لأراضيه[٢٨]. احدثت المذكرة ردود فعل متباينة تراوحت بين الحرص على امتيازات لبنان، والعطف على آلام اللبنانيين علناً، والسخط عليهم باطناً، مروراً باللامبالاة. الرّد الاول جاء من حكومة ايطاليا لتي تلقت «بارتياح شديد احتجاج ...» الاتحاد على التدبير التركي، وتعهدت بعدم توانيها عن التفاهم مع الدول الاخرى «الحامية للبنان على ان تصون ... الاستقلال والامتيازات التي ظلت باقية على الدهر والمعترف بها للبنانيين من الجميع»[٢٩]. اما الرد الثاني فقد صدر عن الحكومة الفرنسية، التي وعدت بأنها لن تنسى في ساعة التعويض، «الآلام التي قاساها سكان لبنان وسوريا ...»، لكنها تجاهلت القضية الجوهرية، وهي إلغاء الاستقلال اللبناني؛ ويعود هذا الموقف، على ما يبدو، الى «سخط» حكومة باريس على اللبنانيين، لاثارتهم مسألة امتيازات بلادهم الاستقلالية، وقد اهملتها الاتفاقات السرية التي ابرمها الحلفاء فيما بينهم[٣٠]. اما الرد الثالث فقد بعثت به حكومة بريطانيا، التي اكتفت بإبلاغ الاتحاد ان «حكومة جلالته اخذت علماً بذلك الاحتجاج»[٣١]. اما ردّة فعل الباب العالي فكانت قاسية. فقد حكم «ديوان الحرب العرفي» الذي شكله، بالإعدام غيابياً، على بعض أعضائه[٣٢].

وكان على الاتحاد اللبناني ان يتصدى، مع غيره من الجمعيات والشخصيات والمؤسسات لتيارين سياسيين متعادين، هدّد برنامج كل منهما الامتيازات الاستقلالية اللبنانية بالزوال، اذ استهدفا منفردين، دمج لبنان بوجود سياسي متسع: سوريا الكبرى، التي سترتبط بشكل ما، بالدولة الفرنسية، او ستشكل جزءاً من المملكة العربية.

رعت التيار الاول الحكومة الفرنسية، واطلقت التيار الثاني سلطة الحجاز

بزعامة الحسين بن علي(٣٣). وقد انصبت جهود الاتحاد بالدرجة الاولى، على محاربة التيار السوري-الفرنسي الذي شكل الخطر الاساسي على الوجود اللبناني المستقل لأنه افقده حامياً قوياً. ذلك ان فرنسا ظلت، حتى نشوب الحرب العالمية الاولى، السند الأهم للكيان اللبناني المستقل.

لم يكتف الفرنسيون بإطلاق صيغتهم الجديدة فحسب، انما روجوا لها وسعوا الى اقناع اللبنانيين الاستقلاليين بها، ومنهم الاتحاد اللبناني. في كانون الثاني ١٩١٨، حصل اجتماع في القاهرة بين ممثلين عن الاتحاد وجورج بيكو، الذي جند خلاله بلاغته ودبلوماسيته، لاقناعهم بالتخلي عن «امتيازات لبنان واستقلال لبنان»، والتي كانت ضرورية خلال العهد العثماني للمحافظة على اللبنانيين، لكنها ستصبح دون فائدة، عند مجيء فرنسا الى لبنان، اذ ستقوم هي بهذه المهمة. صمد ممثلو الاتحاد امام مغريات الدبلوماسي الفرنسي، وتشبثوا بمطلبهم الاساسي: الكيان اللبناني المستقل(٣٤). ونتج عن هذا الاجتماع تخوف اركان هذه الجمعية من مخططات السياسة الفرنسية، لا سيما وان الاتصالات كانت ناشطة في وزارات خارجية الحلفاء، بشأن «المسألة الشرقية» وهي المتضمنة «المسألة اللبنانية». عندها رأوا ان الضرورة تفرض عرض هذه «المسألة» على من بيدهم حلّها، فوضعوا مذكرة ارسلوها الى الحلفاء والصحف.

تركزت المذكرة على المطلب الاساسي، الا وهو: «... استقلال لبنان في حدوده الطبيعية، بضمانة الدول العظمى»، مستفيدة، بالنسبة للشطر الاخير من مطلبها، من عاملين هامين: البند الثالث عشر من مبادئ الرئيس ولسون، وقد نص على وجوب انشاء دولة بولونيا المستقلة، «بضمانة الدول»؛ والبند الرابع عشر المتعلق بإنشاء عصبة الامم، التي سيكون من اهدافها «ضمان استقلال الدول الصغرى»(٣٥).

احدثت هذه المذكرة صدمة لدى المسؤولين الفرنسيين، واستنكاراً لدى اتباع السياسة الفرنسية، خاصة بعد نشرها في جريدة «الطان» Le Temps الباريسية، في عددها الصادر بتاريخ ٦/ ٣/ ١٩١٨(٣٦). استاء المسؤولون الفرنسيون منها لأنهم اعتبروها «طعنة في صدر فرنسا في الساعة العصيبة التي تجتازها في هذه

الحرب الطاحنة». واستنكرتها الجمعية المركزية السورية، إضافة الى بعض اعيان الجالية اللبنانية في باريس. قامت قيامة الجمعية المذكورة لان «جمعية الاتحاد اللبناني»... اغفلت او تناست أمر الاتفاق «الفرنساوي-الإنكليزي... هي تطلب ارجاع لبنان الى حدوده الطبيعية الأصلية واستقلاله». «وهل تظنون ذلك تحت حماية فرنسا؟ كلا. ولكن تحت حماية الدول العظمى»(٣٧). اما افراد الجالية في باريس فقد استفظعوا ان يطلب الاتحاد «الاستقلال التام بضمانة دولية»، مما يضع فرنسا، الحامية التقليدية للموارنة، على قدم المساواة مع أعدائها: ألمانيا، النمسا وحتى تركيا، لان تعبير «الضمانة الدولية» يشملها جميعاً. وكان ردّ الاتحاد هادئاً، اذ سعى الى اظهار ان موقفه، من خلال المذكرة، لا يستهدف الإساءة الى فرنسا، ولكن يبغي خدمة القضية اللبنانية في ذلك الظرف العصيب، عن طريق التعريف بها؛ اما طلب الضمانة الدولية فمستوحى من المناخ الدولي الجديد الذي اخذ يخيم على العلاقات الدولية، بعد اعلان مبادئ الرئيس ولسون(٣٨).

وكان لفرنسا تأثير قوي على الجاليات اللبنانية، وهي في معظمها مسيحية مارونية، نظراً للعلاقات الوثيقة والتاريخية التي كانت قائمة بين الطرفين. استغلت الدعاية الفرنسية هذا الوضع لصالحها، فراحت تصور للجاليات اللبنانية ان مطالبة الاتحاد «بالاستقلال(٣٩) نكران جميل وعداء لفرنسا». ولم تكتف هذه الدعاية بهذه القدر من المناهضة، بل تعدته الى محاولة اضعاف موقف الاتحاد امام الحلفاء ناسبة اليه ان محرّك سياسته الاستقلالية مردّه الى عدائه لفرنسا، ليس إلا(٤٠).

وكان على الاتحاد ان يقاوم هذا التيار، مستعيناً بالحفلات والاجتماعات والصحافة، وجاهداً في اثبات ان مطالبته «باستقلال لبنان تخدم عقيدة مجردة»، مستفيداً من التصريحات التي أعلنها الحلفاء على العالم، وتضمنت ان من اهداف خوض الحلفاء الحرب تحرير الشعوب الضعيفة وإنالتها استقلالها. وفي هذا السبيل أحيا الاتحاد اربع حفلات: ثلاث منها حصلت في الإسكندرية، بتاريخ ١٦ كانون الاول ١٩١٧، و٣ آذار و٢ حزيران ١٩١٨، والرابعة جرت في القاهرة بتاريخ ٧ تموز من العام نفسه.

التقى في هذه الحفلات اعيان الجاليتين اللبنانية والسورية حيث تكلم أركان الاتحاد الذين تطرقوا الى مواضيع هامة، كان ابرزها، تاريخ نشأة الاتحاد، تاريخ الاستقلال اللبناني، بيانات الحلفاء التي ركزت على انهم دخلوا الحرب لإحلال مبدأ العدل مكان مبدأ القوة، بغية إنالة الشعوب، الكبيرة منها والصغيرة، استقلالها؛ مواقف فرنسا الإيجابية حيال الحرية ونصرة الضعفاء ومساعدة الشعوب؛ شجب سياسة الاستعباد(٤١). واهتمت كبريات الصحف المصرية بتغطية أنباء هذه الحفلات؛ نذكر على سبيل المثال ما نشرته يومية الأهرام:

«اجتمعت لجنة الاتحاد اللبناني في الإسكندرية اجتماعها العام اليوم (١٦/ ١٢) صباحاً، بحضور جمهور من اللبنانيين، بينهم التاجر والصانع والطبيب والأديب. وافتتح الرئيس الاستاذ يوسف السودا(٤٢) الاجتماع بخطبة استغرقت ساعة ونصفاً، تناول فيها تاريخ نشأة اللجنة ومركزها والاسباب التي دعت الى تأسيسها سنة ١٩٠٩، مع نبذات تاريخية عن لبنان في ماضيه واستقلاله»(٤٣).

وفي الثالث من آذار ١٩١٨ اقام الاتحاد حفلته الثانية، التي حضرها وفد من اتحاد القاهرة، رئسه اوغست باشا اديب وداود بركات. افتتح الحفلة رئيس الفرع يوسف السودا بكلمة ركزها على الروح الوطنية التي تحلّى بها من سلف من اللبنانيين، وقد تجلت في أحزابهم التي كانت تنشأ على اسس وطنية بعيدة عن الطائفية والعاطفة، مما جعلها تتصدى بثبات لكل ما كان من شأنه ان يسيء الى استقلال لبنان(٤٤). ثم اعتلى المنبر اوغست باشا اديب، فألقى كلمة تناولت جغرافية لبنان، فدارت على انهاره وزراعته وصناعته وتجارته ووسائل النقل، اضافة الى الاصطياف فيه؛ كما تطرقت لتاريخ لبنان ساردة اهم أحداثه، منذ العهد الفينيقي حتى العصر الحاضر. وتلاه بعدئذ داود بركات فأبرز تعلق اللبنانيين بوطنهم وشعورهم الصادق نحوه، وشدّد على اولوية الروح الوطنية اللبنانية حيال الطائفية، وعلى ترسخ هذه الروح في نفوس اللبنانيين. وتبعه عباس المصفي الذي شرح بنية لبنان الطائفية التي لا تجد شبيها لها في كل بلدان العالم، كما شدد على أهمية اتحاد هذه الطوائف المتجسدة في اطار الاتحاد اللبناني الذي استمد مفهومه من واقع لبنان في اتحادية طوائفه التي تجلت في كثير من مظاهر حياته السياسية والاجتماعية، من القيسية واليمنية، الى اليزبكية

والجنبلاطية، فإلى المشيخة اللبنانية. فالحزبان الأولان جمعا بين اللبنانيين على اساس حزبي بعيد كل البعد عن النعرة الطائفية؛ وهذا كان حال الحزبين اللذين خلفاهما؛ اما المشيخة فقد ادخلت اللبنانيين في اطارها، استناداً الى مفهوم عائلي لا اثر للطائفية فيه. ولم ينس الخطيب ذكر مظاهر اخرى من اتحاد اللبنانيين فيما بينهم، «كالمعاهدة الحزبية» التي أبرمها آل جنبلاط وآل الخازن، وقد نصت على تشاركهم في كل شيء، باستثناء ثلاثة امور: «العرض، والسيف والفرس»؛ والخؤولة التي ربطت بين آل عماد وآل حبيش بحيث ان افراد كل من الأسرتين كانوا يطلقون على أفراد الأسرة الثانية تسمية: «يا خالي». وتطرق المتكلم بعدئذ الى واقع لبنان المساحي، فشدّد على ان صغر حجمه لا يضره لان «الأمة كالفرد لا عبرة للحجم والطول والقصر في الحكم على مكانته»، متمثلاً بصمود هولندا في وجه لويس الرابع عشر، على الرغم من كونها بلداً صغيراً(٤٥).

وفي الثاني من حزيران ١٩١٨ أحيا الاتحاد حفلته الثالثة في الإسكندرية، فتعاقب على الكلام ثلاثة من اقطابه، هم: فريد حبيش، انطون الجميل، ويوسف السودا. القى فريد حبيش قصيدة عبرّ فيها عن تعلق اللبنانيين بلبنان، ماضياً وحاضراً؛ كما اوجز اعز أمانيهم حيال وطنهم، وهي الاستقلال وتوسيع الحدود، إضافة الى املهم في تعزيز هذا الوطن وعزمهم على فدائه بأغلى ثمن.

أجدادنا دمنا الجاري بنا دمكم — وما يزال بحب المجد ملآنا
إنّا ورثنا حمى لبنان في سعة — عالي الذرى وبالاستقلال مزدانا
فلن نورثه يوماً خلائقنا — إلا اعز مقاماً او كما كانا
نفدي بأرواحنا والمال لبنانا — لا عاش منا فتى لم يفد لبنانا

وهذا مقطع منها:

ثم اعتلى المنبر انطون الجميل فألقى خطبة حث فيها اللبنانيين على التساهل، بعضهم مع بعض، وإزاء الآخرين. مهد الخطيب لفكرته بشرح مبدأين عامين: الاول وهو ان الناس مختلفون في آرائهم وعقائدهم وبالطرق التي يعتمدونها «للنظر في الامور وتصور الاشياء والحكم عليها»؛ والثاني ان الآراء والمفاهيم

والمبادئ تتبدل على مرّ الأزمان. فما كان منها مسلماً به في الماضي اصبح اليوم غير ذي طائل، وما يرفض اليوم سيقبل مستقبلاً. وعليه، لا يجوز لاحد ان يدعي امتلاك الحقيقة وفهم جوهر الاشياء دون غيره من الناس. اذن على اللبنانيين ان يتساهلوا بعضهم مع بعض ومع الغير، خاصة. وعليه قد تتضمن مطالبنا ما يناقض مصالح غيرنا، وقد تكون لبعضهم مواقف مختلفة عن مواقفنا، وقد يناهض البعض ما نصبو اليه وطنياً. فالمبدأ والواقع يفرضان علينا الابتعاد عن معاملتهم بالتشدد ومقابلتهم بالمثل، والاعتماد على التسامح كسبيل سليم يؤمن لنا الوصول الى اهدافنا. وأنهى الجميل كلمته بالتشديد على ان دعوته الى التسامح لا تعني التراخي في الدفاع عن الغاية الوطنية والعقيدة القومية[٤٦]. اما الاستاذ يوسف السودا، فقد ألقى كلمة دارت على الضمانة الدولية، فقدم لها بقصيدة، وأنهاها بأخرى. استهل القصيدة الاولى بالبيت التالي:

أبناء لبنان الكرام   وحسبكم هذا اللقب

مهد لموضوعه بلمحة تناولت تاريخ استقلال لبنان ومعاناة ابنائه في سبيل الدفاع عنه. وبعدئذ انتقل الى موضوع الضمانة، فبيّن غرض الاتحاد منها، ورد على منتقدي التمسك بها. ترمي «الضمانة الدولية»، بنظر هذه الجمعية، الى الإبقاء على مكانة لبنان السياسية من خلال القانون الدولي العام، مما يؤمن له، مستقبلاً، تعهداً دولياً جديداً حيال امتيازاته. ذلك ان مندوبي الدول سيجتمعون، على إثر انتهاء الحرب، للتداول في إقرار السلم، مما سيؤدي الى توقيع معاهدات تعيد النظر في خريطة العالم السياسية. واذا ما افضت احدى هذه المعاهدات الى إزالة سيطرة تركيا عن كاهل لبنان، الذي أمن له القانون الدولي العام[٤٧] استقلالاً ذاتياً، سيتمكن من تحقيق استقلاله التام بضمانة دولية[٤٨]. ولإزالة أي التباس حيال مفهوم هذه الضمانة، أوضح ما لا تعنيه اولاً، ثم ما يقصد منها ثانياً. فهي ليست سيطرة، ولا اشرافاً ولا تدخلاً: «والضمانة الدولية لا تعني وضع لبنان تحت حكم الدول او سيطرتهن او إشرافهن بل لا تبيح لهن التدخل في شؤونه»، انها تنص على انها اعتراف باستقلال لبنان، وتعهد باحترامه والدفاع عنه كما فعلت إنكلترا إزاء بلجيكا: «انما هي اعتراف رسمي من الدول باستقلال لبنان. وعهد عليهن باحترامه والذود عنه لدى الاقتضاء كما ذادت

إنكلترا عن استقلال بلجيكا لانها كانت ضامنة له بمعاهدة دولية. ولم يخطر في بال إنكلترا او فرنسا ان تتدخل احداهن في شؤون بلجيكا او تسيطر عليها يوماً، بدعوى انها ضامنة لها استقلالها». وبعد هذا التوضيح تساءل الخطيب عن السبب الذي دفع البعض الى انتقاد الاتحاد لانه يسعى الى وضع لبنان المستقل في كنف الضمانة الدولية، - وهم كما يبدو من ما جريات الامور، الفرنسيون ومن دار في فلكهم من اللبنانيين - فقامت قيامتهم، واتهموا الاتحاد بالمروق. وبعد ان غمز من قناة هذه الفئة من المنتقدين، ناعتاً إياهم بالتزلف والوقوف على «أبواب الوكالات»، طمعاً بالوصول الى المناصب والمقامات، وذلك على حساب «حقوق الوطن والروح الوطنية»، ورافضاً ان يحذو حذوهم، ليصبح الاتحاد من المخلصين والعقلاء والوطنيين، جهد في الدفاع عن مبادئ الجمعية، مستنداً الى ما قامت به، وهو السعي الى المحافظة على امتيازات لبنان والمطالبة بحقوق اللبنانيين؛ الترفع عن المصالح الشخصية؛ الاستعداد للتضحية بالأموال والأرواح. وختم الاستاذ السودا كلمته، كما بدأها، بقصيدة، عكست بعضاً من

يا ذكر لبنان كم هيجت بي شجنا   وكم أثاروا على أهليك بلبالي

ومنها:

آمنت ان في سبيل الارز ان نكبوا   يغير الله من حال الى حال...

... والسهل منبسط ترعاه زحلتنا   حتى تتم برد السهل آمالي...[٤٩]

الأماني اللبنانية، وهذا مطلعها:

وفي السابع من تموز ١٩١٨ أحيا الاتحاد حفلته الرابعة في القاهرة، فكرّر الخطباء انفسهم ما قالوه في الحفلة السابقة[٥٠].

ونتيجة لهذا النشاط تبلور لدى المهاجرين اللبنانيين المقيمين في وادي النيل، على ما يبدو، «رأي عام حول الاستقلال»، وفق مفهوم الاتحاد له، فامكنه الوقوف بوجه خصومه[٥١].

يوم الاحد، الواقع فيه ٧ تموز ١٩١٨، عقد الاتحاد اجتماعاً ضخماً في اوتيل كونتيننتال بالقاهرة واعلن ان هذا الاجتماع سيكون «ادبياً». لكنه كان في الواقع سياسياً، اذ تركز على التمسك بأسس برنامجه القائم على استقلال لبنان المطلق،

وتوسيع حدوده، بضمانة الدول الكبرى.

تكلم في هذا الاجتماع رئيس الاتحاد اوغست باشا اديب، عباس المصفي، يوسف السودا، وانطون الجميل. عرض الاول مشروعاً حزبياً يقضي بإنشاء فروع جديدة للاتحاد، في الدول التي يوجد فيها لبنانيون، وترتبط بجمعية مركزية يكون مقرها في القاهرة، حتى إشعار آخر. واشاد الثاني بطباع اللبنانيين المسالمة، وتطابق وجهات نظر شبيبتي الجبل الدرزية والمسيحية[٥٢]. اما الخطيب الثالث فقد عالج فكرة توسيع حدود لبنان استناداً الى براهين تاريخية وجغرافية، لينتقل بعدئذ الى حق لبنان في الاستقلال، بضمانة الدول الأوروبية الست العظمى، والتي وقعت على بروتوكول استقلاله الذاتي وضمنته، وذلك انطلاقاً من المبادئ التي ناضل من اجلها. ولم يغفل الخطيب التذكير بتصريحي الرئيس ولسون، ووزير خارجية فرنسا بيشون، بصدد حق الشعوب الصغيرة إزاء تقرير مصيرها. اما المتكلم الأخير فقد دعا الى توحّد اللبنانيين[٥٣].

وكان على الاتحاد اللبناني ان يقف في وجه التيار الذي تأتى عن الخطر العربي السوري، وقد برز أثناء الحرب ايضاً، نتيجة لاتفاق الحسين -مكماهون. لكنه ظل اقل خطراً من التيار الاول.

سعى الحسين، شريف مكة، استناداً الى اتفاقه مع بريطانيا، وكان قد اعلن نفسه ملكاً على الحجاز، الى إنشاء مملكة تقوم على الحرية والمساواة بين المناطق والطوائف. وتنفيذاً لخطته ركز على استمالة مواطني مختلف المناطق التي اعتبرها جزءاً من مملكته المقبلة؛ واذ كان لبنان داخلاً في مخططه، حاول استمالة ابنائه، ولا سيما المسيحيين منهم، فلقيت محاولاته بعض التجاوب[٥٤].

اخذ الاتحاد على عاتقه مسؤولية محاربة هذا التيار ومغرياته[٥٥]، في جميع مظاهره. حاول دعاة هذه السياسة دمج المسألة اللبنانية بالمسألة السورية، فتصدى لهذه السياسة بالتنبه الى خطر الانزلاق الى خطها[٥٦]. وسعوا الى استمالة اللبنانيين الى برنامجهم عن طريق «الاعتراف للبنان الصغير باستقلال داخلي مع وحدة الراية والخارجية والحربية»، فرفضوا الامر[٥٧]. ولجأوا الى إغراء اركان الاتحاد وغيرهم بالوظائف الهامة والحساسة، فنجحوا لدى البعض

منهم[٥٨]. فخدم هؤلاء في الدوائر العسكرية والسياسية والدبلوماسية التي استحدثها العاهل العربي الجديد. نذكر منهم: اسكندر عمون، الشيخ فريد الخازن، الدكتور امين معلوف، اميل خوري، اميل يزبك، الجنرال غبرييل باشا حداد[٥٩].

وأجرى الاتحاد، خلال فترة الحرب، جملة اتصالات، كان ابرزها مقابلته لوزير إيطاليا المفوض بمصر، وذلك في شهر آب ١٩١٨، فطلب منه المساعدة لتحقيق هدفه. اظهر الدبلوماسي الإيطالي حسن استعداد، ونصح الذين قابلوه بعرض القضية اللبنانية على المسؤولين العالميين الذين يمكن الإفادة منهم، وخاصة أميركا؛ ثم اشار عليهم بمقابلة وزير اميركا المفوض في مصر؛ كما طلب ان يوضع له تقرير في الموضوع[٦٠]. وعمل الاتحاد بالنصيحة الإيطالية، اذ قابل وفد من لجنة القاهرة الوزير المفوض الأميركي، فبسط امامه الشأن اللبناني، ثم قدم اليه تقريراً عنه. فوعد بتحويله برقياً الى واشنطن، مع التأييد التام[٦١].

في خريف ١٩١٨، اخذت الحرب العالمية الاولى تقترب من نهايتها، بانهزام جيوش الدول الوسطى وشركائها، امام جيوش الحلفاء. وتكرّس هذا الواقع بسلسلة هدن فرضها هؤلاء على اولئك. أهمها هدنة روتوند Rethondes[٦٢] التي وقعت بين الحلفاء وألمانيا، في ١١ تشرين الثاني ١٩١٨، فانتهت معها الحرب، لانها اوقفت القتال على الجبهة الغربية، جبهة الحرب الاساسية. وألصقها بنا، هدنة مودروس Moudros[٦٣]، التي وقعت في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨، بين الإنكليز والأتراك، فوضعت حداً لسيطرة العثمانيين على البلدان العربية. وأدى انتهاء الحرب بهذا الشكل، الى جلاء الأتراك عن لبنان وسائر مناطق بلاد الشام، في آخر ايلول ١٩١٨. وفي مطلع تشرين اول، دخل الجيش البريطاني لبنان، ترافقه كتيبة فرنسية، استقبلهم الأهلون مهللين فرحين.

ما ان انتهت الحرب حتى انهمك الحلفاء المنتصرون بالإعداد لمؤتمر الصلح، الذي باشر عقد جلساته في باريس، لحل مشاكل الحرب. ولما كان على المنتصرين ان يتقيدوا بمبادئ الرئيس ولسون، أفسحوا المجال امام الشعوب الصغيرة لتشارك في تقرير مصيرها، الامر الذي أتاح للبنانيين فرصة عرض وجهة نظرهم، حيال مصير بلادهم، فألفوا وفداً عهدوا اليه بعرض امانيهم

القومية على مؤتمر الصلح. تم الأمر بالتفاهم بين المسؤولين اللبنانيين والمسؤولين الفرنسيين، فأصدر مجلس ادارة جبل لبنان القرار رقم ٨٠ تاريخ ٩/ ١٢/ ١٩١٨[٦٤]، عين بموجبه اعضاء الوفد وحدّد مهمتهم. تألف الوفد من سبعة أعضاء مثلوا الطوائف اللبنانية[٦٥] الكبرى، واسندت اليهم مهمة الذهاب الى باريس لعرض الأماني اللبنانية على مؤتمر الصلح[٦٦] وتتلخص بما يلي: توسيع حدود جبل لبنان الى ما كان معروفاً به تاريخياً وجغرافياً؛ إعطاؤه استقلالاً ادارياً وقضائياً؛ تزويده بمجلس نيابي ينتخب اعضاؤه على قاعدة التمثيل النسبي؛ مساعدة فرنسا له ليتمكن من تحقيق هذه المطالب.

جاء هذا القرار موفقاً بين التيارات التي كانت تتنازع الساحة اللبنانية: الأماني الاستقلالية اللبنانية، المطامع الفرنسية، مبادئ ولسون، الأبعاد السورية. فقد ارضى فرنسا بطلبه «مساعدتها»، واستمال اللبنانيين «بتأييده استقلال» جبل لبنان و«توسيع حدوده»، ولم يغضب السوريين لان «الاستقلال الإداري» الذي طالب به للبلاد ترك الباب مفتوحاً امام ارتباطه بالدولة التي كانوا مزمعين على انشائها، بشكل أو بآخر.

ما ان تبلغ الاتحاد اللبناني هذا القرار، حتى احتج عليه، لانه ظل بعيداً عن تحقيق هدفه الاساسي: استقلال لبنان التام. قامت بهذه المهمة لجنة الاتحاد في القاهرة، التي صاغت اعتراضاتها وأرسلتها بكتاب الى رئيس مجلس الادارة، وكان آنذاك حبيب باشا السعد. تناولت ملاحظاتها القرار من زاويتي الشكل والموضوع. اعترض الاتحاد، شكلاً، على امرين: «عدم الحرية في القرار» و«عدم صلاحية المجلس لوضع هذا القرار». ان هذا القرار يفتقر الى عنصر الحرية ليعبر تعبيراً صادقاً عن إرادته وإرادة الشعب اللبناني الذي يمثله، والاثنان خاضعان لضغط مادي ومعنوي يحول دون قيامهما بعمل إرادي. كما ان صلاحيات هذا المجلس، وفق ما جاء في نظام جبل لبنان الأساسي، لا تخوله حق تقرير مصير البلاد. اما من ناحية الموضوع، فان الاتحاد اورد اعتراضات حول شؤون وردت في القرار وتمس جوهر الامتيازات اللبنانية. فقد اصيب بخيبة امل لان المجلس، بدل ان يطالب «باستقلال لبنان التام، والسعي لتوسيع نطاقه...» قصر مطالبه على الاستقلال الإداري، الامر الذي ترك الباب مفتوحاً

امام دخوله في الاتحاد السوري. واعترض ثانياً على المجال الذي ستمارس فيه مساعدة فرنسا، مما يدفع الى الاستنتاج ان اللبنانيين سيتولون الوظائف الإدارية والقضائية، وما تبقى من وظائف، كالمعارف، والمالية، والاشغال العامة... سيترك أمرها الى فرنسا؛ كما انتقد اهمال القرار لأي ذكر يتعلق بحاكم لبنان، والحكومة، وعدم توضيح ماهية القضاء وحدوده[٦٧]. ولإسماع صوته الى من بيدهم الحلّ والربط، وجه الاتحاد، بتاريخ ٥ كانون الثاني ١٩١٩ رسالة الى رئيس الحكومة الفرنسية، جورج كليمنصو، احتج فيها على ما قام به مجلس الإدارة، وطالب بأن يفسح امام اللبنانيين مجال إبداء رأيهم حيال مستقبل بلادهم، على ان يؤمن لهم شرطان أساسيان: تمكين المغتربين من العودة الى وطنهم بحريّة لإرشاد مواطنيهم، بالنسبة لهذا الأمر، وتمكين الشعب اللبناني من الاقتراع بحرية، بعيداً عن الضغط والإكراه[٦٨]. واعتبر الاتحاد، ان مجلس ادارة جبل لبنان، باتخاذه قراراً يرمي الى رهن مستقبل البلاد، قد تعدّى الصلاحيات المعطاة له، بموجب النظام الأساسي، المنحصرة بالأمور المالية، وبتقديم المشورة الى الحاكم، اذا ما طلبها منه[٦٩]. هذا والشعب اللبناني لم يفوضه لتقرير مصير لبنان. وعليه، فان القرار الذي اصدره هذا المجلس يعبر عن اماني أعضائه فقط، وبالتالي لا يلزم الشعب اللبناني[٧٠].

وكان على الاتحاد ان يواجه بعد الحرب ايضاً، خطر المشروع الحجازي- السوري، الرامي الى ربط لبنان، بشكل او بآخر، بوجود سياسي متسع: سوريا الكبرى، التي قد تكون جزءاً من مملكة الحسين العربية.

في السادس من آذار ١٩٢٠، عقد المؤتمر السوري اجتماعاً في دمشق، اقر فيه «استقلال سورية استقلالاً تاماً بحدودها الطبيعية... ومبايعة سمو الأمير فيصل نجل الحسين ملكاً على سورية بكامل أجزائها...»[٧١] اما وضع لبنان فقد ذكر بشكل غامض، فقلقت افكار الاستقلاليين الذين أوجسوا خيفة من المستقبل. ذكر المؤتمرون ان اماني اللبنانيين الوطنية ستراعى في حدود المتصرفية، على ان يبقى بعيداً عن النفوذ الأجنبي. احتج الاتحاد اللبناني، مع من احتجوا، على هذا القرار، فأرسل الى مجلس إدارة جبل لبنان برقية شجب فيها فكرة ابقاء بيروت خارج لبنان، وتمنى على المجلس ان يعمل بحزم وتفان

في الدفاع «عن حق لبنان في استقلاله وحدوده الطبيعية»؛ كما حث المجلس المذكور على توحيد كلمة اللبنانيين، صوناً لحقوقهم. ورد مجلس الإدارة على بادرة الاتحاد ببرقية عبر فيها عن شكره للجمعية، وعن عزمه على متابعة مساعيه تجاه القضية اللبنانية[٧٢].

في ليل ١٠-١١ تموز ١٩٢٠، أوقف الفرنسيون سبعة من أعضاء مجلس الإدارة[٧٣] في المديرج، على طريق بيروت - دمشق. حوكم الموقوفون، خلال يومين، امام مجلس حربي فرنسي، وصدر الحكم بنفيهم، فأرسلوا الى جزيرة كورسيكا، كما غرموا نقداً[٧٤]. اهتز الرأي العام اللبناني للحادثة وللحكم، وتراوح موقفه منهما بين شجب عمل المجلس وقبول الحكم، وبين الذهول. صدر الموقف الثاني عن الاتحاد اللبناني، الذي عبر عنه بعض اركانه، مثل داود بركات ويوسف السودا[٧٥].

في ٣١ آب ١٩٢٠، اصدر الجنرال غورو، المفوض السامي الفرنسي قراراً، قضى بتوسيع حدود لبنان. وفي اليوم التالي (١ ايلول)، اعلن الجنرال انشاء دولة لبنان الكبير المستقل، مع المساعدة الفرنسية، وذلك في احتفال رسمي اقيم في قصر الصنوبر، يحيط به بعض وجوه البلاد والرؤساء الروحيون.

كان لا بد لحدث كهذا، وقد استجاب بمقدار كبير لمطالب الاتحاد، من ان يلاقي تجاوباً لديه. وهذا ما حصل بالفعل، على يد بعض أركانه، مثل يوسف السودا.

في التاسع من ايلول ١٩٢٠، اقام النادي السوري، لمناسبة اعلان لبنان الكبير، حفلة في الإسكندرية، حضرها وزير فرنسا المفوض في مصر. تكلم فيها، باسم الجالية اللبنانية، رئيس لجنة الاتحاد في المدينة، فعبر عن فرحة اللبنانيين بهذا الحدث وأهميته، ودور فرنسا، والآمال المعلقة عليها بالنسبة لتحقيق سائر الأماني اللبنانية.

وظهر فيما بعد، ان مسألة الوجود اللبناني المستقل، المنفصل سياسياً عن سوريا، لم تحل نهائياً، بإعلان دولة لبنان الكبير. ذلك ان فكرة الاتحاد السوري، المحتوي لبنان، ظلت في التداول. فكان من المنطقي ان يتصدى لها الاتحاد اللبناني. وعليه رأى ان يضع مذكرة بالموضوع، ويوزعها على من بيدهم

الحل والربط. وبعد مشاورات واجتماعات وضعت المذكرة باللغة الفرنسية، ووزعت في اول شباط ١٩٢١ على المسؤولين والصحف، في باريس ولبنان، وعلى جرائد المهجر. تألفت المذكرة من قسمين. تناول اولهما تأسيس الاتحاد ومآتيه، من عام ١٩٠٩ الى عام ١٩٢١. جاء في الموضوع الاول ان الجمعية أنشئت للحؤول دون تحويل لبنان الى ولاية عثمانية. وبسط الموضوع الثاني نشاط الاتحاد في ثلاث مراحل. تناولت الاولى ما قام به الاتحاد من أعمال، بهذا الصدد، منذ نشأته حتى نشوب الحرب العالمية الاولى. وسردت الثانية مساعيه، خلال هذه الحرب: الاحتجاج لدى الدول على احتلال الجيش التركي للبنان وإلغاء امتيازاته؛ اثارة القضية اللبنانية في الأوساط العالمية؛ تكوين رأي عام لبناني يدافع عن مسألة لبنان؛ المطالبة بحقه في الاستقلال التام والحدود الطبيعية؛ مواجهة مختلف التيارات السياسية المعادية لهذه القضية. اما المرحلة الثالثة، وهي مرحلة ما بعد الحرب، فقد خصصت لنشاط الاتحاد في سبيل حل القضية اللبنانية: التصدي لكل ما كان يمس هذه القضية بسوء، وذلك بواسطة المذكرات والرسائل والمقابلات، مما بدل وجهة نظر السياسة الفرنسية على ما تقول المذكرة، بالنسبة لمسألة لبنان، فأعلن «لبنان الكبير». وتناول القسم الثاني من المذكرة المكسب القانوني الذي حققته المسألة اللبنانية، بعد إنشاء «لبنان الكبير» وذلك «باعتراف فرنسا بكيان لبنان المستقل، في حدوده الطبيعية»؛ وهو امر يتطلب الشروع بتنفيذ الاستقلال بشكل صحيح، ويتمثل، اساساً، بانتخاب جمعية تأسيسية تضع قانون البلاد الأساسي، الذي يجب ان ينص، على وجوب كون رئيس الدولة لبنانياً، وعلى مسؤولية الوزارة امام مجلس النواب.

وتطرقت المذكرة، في نهاية الامر، الى مسألة «الضمانة» الدولية، التي اثير حولها كثير من اللغط. فحاولت حلها بقولها ان «الانتداب» هو «ضمانة» دولية. ذلك ان كلمة «انتداب» هي ترجمة لكلمة Mandat الفرنسية، وتعني «وكالة». وقد احتوى تطبيقها مضموناً دولياً، لان عصبة الأمم هي التي أوكلت الى فرنسا مهمة «مؤقتة».

أحدثت المذكرة صدى قوياً في بعض الأوساط اللبنانية، ولقيت قبولاً لدى السلطات الفرنسية.

الصدى القوي حدث في أوساط الجالية اللبنانية بمصر، حيث عكست الصحافة أثره. فجريدة «المقطم» نشرت مقالاً أطرت المذكرة فيه، وحثت اللبنانيين على مطالعتها، لانها من افضل ما صنف عن «كيمياء السياسة والتعريفات الدولية الجديدة، والتاريخ السياسي». اما جريدة «البصير» فقد أوردت في صفحتها الأولى تلخيصاً وافياً عن محتوى المذكرة ختمته بشكر جمعية الاتحاد، والثناء على مجهودها(٧٦).

وقام بعض أركان الاتحاد اللبناني بنشاطات منفردة، تندرج في سياق مخططه، وتعتبر مكملة لنشاطه العام. نذكر من هؤلاء يوسف السودا، واوغست اديب. برزت نشاطات الاول في مجالي التأليف والمقابلات. وضع رئيس لجنة الاتحاد في الإسكندرية كتابين: في «سبيل الاستقلال»، و«استقلال لبنان والاتحاد اللبناني».

اصدر كتابه الاول، في تموز سنة ١٩١٩، «لوضع اسس المسألة اللبنانية»، انطلاقاً من ماضي لبنان الطويل وكفاح شعبه، مما سيجعله مفيداً للذين سيجهدون للحفاظ على كيان لبنان وصون استقلاله، ابان انعقاد مؤتمر الصلح. تألف الكتاب من ثلاثة اقسام: تناول الاول «تاريخ لبنان السياسي منذ عهد فينيقيا الى سنة الستين»؛ ودار الثاني على وضع «لبنان في القانون الدولي العام»؛ اما الثالث، فقد بحث في وضع «لبنان بعد معاهدة سنة ١٨٦١». ولما كانت قضية جعل سوريا ولبنان دولة واحدة واردة بشكل جدي، حاول المؤلف ان يبين ان بقاءهما مستقلين، الواحد عن الآخر، افضل لكل منهما. واقترح، آخر الأمر، تزويد لبنان بنوع من النظام البرلماني(٧٧). رحب اللبنانيون الاستقلاليون بالكتاب، واثنوا على ما جاء فيه(٧٨).

اما الكتاب الثاني، فقد دار على منجزات جمعية الاتحاد اللبناني في الإسكندرية، بغية تكتيل اللبنانيين «بتوحيد الرأي العام اللبناني حول العقيدة الوطنية»، وذلك من سنة ١٩١٠ الى سنة ١٩٢١(٧٩).

في ١٠ آب ١٩٢٠ أبرم الحلفاء مع تركيا معاهدة سيفر Sèvres، وتضمنت بنوداً تتعلق بأرمينيا، والأكراد، والأشوريين. اما لبنان واللبنانيون، فلم يؤت على ذكرهم. فقلقت أفكار أركان الاتحاد من هذا الإهمال. وعليه أرسل يوسف

السودا، بتاريخ ٢٦ آب ١٩٢٠، الى الأميرال مورنه، وكان موجوداً في القاهرة، رسالة، احتج فيها على «إغفال ذكر لبنان واللبنانيين»، في هذه المعاهدة(٨٠).

اما اوغست باشا اديب، فقد اصدر عام ١٩١٩ كتاباً بالفرنسية، عنوانه: Le Liban après la guerre (لبنان بعد الحرب)، تكلم فيه على تاريخ لبنان، وطموحاته الاستقلالية، وما قاساه في هذا السبيل، وعلى أمانيه حيال وصوله الى استقلاله التام وحدوده الطبيعية(٨١).

بعيد انتهاء الحرب، رأى الاتحاد اللبناني نفسه مسوقاً الى حصر اتصالاته بوزيري إيطاليا وأميركا المفوضين(٨٢)، لأنهما تجاوبا مع مطالبه.

خيمت أجواء العداوة على علاقة الاتحاد اللبناني بفرنسا، رغم الصلات الوثيقة التي قامت بين هذه الدولة واللبنانيين.

تعود هذه العداوة الى سببين: نظرة كل من الطرفين الى الوجود اللبناني، وطبيعة الرعاية الخارجية لهذا الوجود.

كان الغرض من تأسيس الاتحاد اللبناني، الدفاع عن «استقلال لبنان، ضمن حدوده الطبيعية، بضمانة الدول الكبرى»(٨٣).

وكانت فرنسا تبغي، لا سيما بعد إبرام اتفاقية سايكس-بيكو، فرض سيطرتها على معظم بلاد الشام، المؤلفة أساساً من سوريا ولبنان. وبما ان طلب «ضمانة الدول الكبرى»، لا رعاية دولة فرنسا وحدها، صوناً لاستقلال لبنان، يعارض طموحاتها، استاءت هذه الدولة من طرح الاتحاد وناصبته العداء. وارتأت حكومة باريس، تسهيلاً لتحقيق غرضها هذا، ان تباشر مساعيها لإنشاء سوريا الكبرى، مستقبلاً، ومن ضمنها لبنان، وتكون تحت رعايتها. فشكل هذا المشروع خطراً جسيماً على استقلال لبنان، مما دفع الاتحاد الى محاربته بقوة، فتواجه الطرفان في جوّ من العداء.

ظهر هذ العداء الى العلن في عدة مناسبات، وبأشكال مختلفة.

برز موقف الاتحاد على صفحات جريدة «الأمة»، لسان حاله، فغدت وسيلته الفضلى لمهاجمة سياسة حكومة باريس حيال لبنان. في شهر تشرين اول ١٩١٨، قابل امين صندوق الاتحاد في القاهرة، انطون الجميل، الكابتين كولوندر Coulondre، المفوض السامي الفرنسي بالنيابة في الشرق، أثناء وجوده

في مصر، عارضاً عليه تقديم هدية من السجائر الى الفرقة السورية المتطوعة في الجيش الفرنسي، باسم الاتحاد. رفض كولوندر الهدية، كما طلب من السيد الجميل عدم الاتصال به مجدداً[٨٤].

لكنّ مسؤولي الوكالة الفرنسية العاملة في مصر أقروا ان الاتحاد يسعى الى حلّ القضية اللبنانية من منطلق قومي[٨٥].

ويجب الا نغفل أهمية موقف السلطات البريطانية في وادي النيل. قدمت السلطات البريطانية في مصر بعض التسهيلات للاتحاد للقيام بنشاطاته. ويعود هذا الموقف الى المنافسة التي كانت قائمة بين فرنسا وبريطانيا، على الرغم من كونهما حليفتين[٨٦]. نذكر على سبيل المثال السماح له بإرسال مندوب عنه الى أوروبا ليعرض امام حكومات الحلفاء تصوره بالنسبة لحل القضية اللبنانية[٨٧]. وكان قد سبق لهذه السلطات ان أذنت له، خلال شهر كانون الاول ١٩١٨ بإرسال وفد من أعضائه الى لبنان. كما كانت تأذن بإقامة المهرجانات والحفلات الخطابية[٨٨]. ولم يخف هذا الامر على السلطات الفرنسية، فعلّقت عليه بما يدفع الى الاستنتاج ان هذا الموقف ينم عن قصر نظر لدى البريطانيين لانه سيرتد عليهم سلباً حيال ما يجري في مصر: «يبدو ان السلطات الإنكليزية قد تركت هذه الجمعية تعمل بحرية، غير مدركة ان موقفها هذا يشجع القومية المصرية التي تمرّ بمرحلة غليان»[٨٩].

في اواسط سنة ١٩٢٠ طرأ تحوّل هام على برنامج الاتحاد اللبناني. فبعد ان كان يسعى بحماس، الى إنالة لبنان الاستقلال التام، رافضاً أي انتداب عليه، بات الكثيرون من أعضائه البارزين مقتنعين بفكرة وضعه تحت النفوذ الفرنسي، أمثال اوغست باشا اديب، الأمير خليل ابي اللمع وداود بركات[٩٠]. قد يكون هذا التطور عائداً الى امرين: تسليم هؤلاء الأعضاء بالأمر الواقع، وأثر الدعاية الفرنسية عليهم.

بعد ان وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها، جلا الأتراك عن لبنان مهزومين، فأخذ النفوذ الفرنسي يتغلغل شيئاً فشيئاً فيه. في السادس من تشرين الاول ١٩١٨، رسا في مرفأ بيروت اسطولان، إنكليزي وفرنسي، نزلت من الاول جيوش بريطانية، ثم هبطت من الثاني جيوش فرنسية. وأدى تدبير موقت

اتفقت عليه كل من بريطانيا وفرنسا الى قسمة الاراضي العربية المحررة من السيطرة التركية، الى ثلاث مناطق: غربية، شرقية[٩١] وجنوبية[٩٢]. وضعت الاولى، التي تألفت من متصرفية جبل لبنان، وولاية بيروت (ما عدا القسم الفلسطيني منها) وكيليكيا، تحت النفوذ الفرنسي. وفي ١٥ ايلول ١٩١٩ أبرم اتفاق بين حكومتي لندن وباريس، عرف باتفاق «الإحلال»[٩٣] ونصّ على احلال الجيوش الفرنسية مكان الجيوش البريطانية[٩٤] في المنطقة التي خصّ بها النفوذ الفرنسي. وفي نيسان ١٩٢٠ (١٩-٢٦ منه) وضع مؤتمر سان ريمو لبنان وسوريا تحت الانتداب الفرنسي[٩٥].

وتبين ان فرنسا، بعد ان اخذت تثبت أقدامها في لبنان، راحت تسعى الى استمالة أخصامها والبعيدين عنها. ومن هؤلاء كان أقطاب الاتحاد اللبناني في مصر، وجلهم من الموارنة.

من المرجح جداً اذن، ان يكون تطور برنامج الاتحاد، لجهة القبول بدخول النفوذ الفرنسي لبنان، عائداً الى هذين السببين: مؤتمر سان ريمو، واستمالة الفرنسيين لأقطاب الإتحاد.

ونتيجة لهذا التحول، وبعد إعلان دولة لبنان الكبير، في اول ايلول ١٩٢٠، عاد اوغست باشا اديب، الذي كان قد استقال من رئاسة الاتحاد في ١/١٢/١٩١٩، الى لبنان. فعين في مطلع تشرين اول سكرتيراً عاماً لحكومة لبنان، بعد ان «ضمنه» على ما يبدو، الأب كاتان اليسوعي، سياسياً. وترأس، بعد اعلان الجمهورية اللبنانية، الوزارة[٩٦].

أسس الاتحاد فروعاً له في بلدان الاغتراب. كان ابرزها فرعا الأرجنتين والشيلي.

تأسس فرع الأرجنتين في العاصمة بيونس آيرس، في اول آذار ١٩١٥. تولى رئاسته يوسف سلامه، ثم موسى بو صادر. اما أمانة سره فقد أسندت الى م. أبو سليمان.

أتخذ هذا الاتحاد لنفسه رمزاً، هو عبارة عن خاتم، تألف من دائرتين متداخلتين، رسمت في قلب الصغرى منهما مجموعة جبال، تحتضن ارزة، وتطل عليها الشمس.

تبنت هذه الجمعية برنامج الاتحاد اللبناني في مصر[٩٧]. امتد نشاطها الى مختلف المدن الأرجنتينية التي كان يقيم فيها لبنانيون. ابرز ما قامت به توجيهها مذكرتين الى وفد فرنسا في مؤتمر الصلح، ضمنتهما أمانيها بالنسبة لحل القضية اللبنانية. كما أرسلت الى السيد ميلّران Millerand رئيس وزراء فرنسا، ووزير خارجيتها، كتاباً تعلمه فيه بإرسال المذكرتين، وتطلب منه دعم هذه الأماني، المرتكزة على الاستقلال[٩٨].

أنشأت الجمعية، سنة تأسيسها، جريدة، سمتها الاتحاد اللبناني، غايتها الدفاع عن مطالبها، مركزة على توسيع حدود لبنان بإعادة الأراضي التي سلخها عنه العثمانيون، على إثر حوادث ١٨٦٠. وظلت تصدر الى ما بعد ١٩٢٩[٩٩].

أسس فرع الشيلي، في العاصمة سنتياغو. لم نتمكن من قراءة اسم رئيسه. اما امين سره، فكان قسطنطين فياض. ارتكز برنامجه على مطالب الوفد اللبناني الاول الى مؤتمر الصلح ومحورها: استقلال لبنان الإداري، في حدوده الطبيعية، بمساعدة فرنسا[١٠٠].

ليس بالإمكان اعتبار هذه الجمعية من فروع الاتحاد اللبناني في مصر، لانها استبدلت «الضمانة الدولية» للاستقلال اللبناني، بـ«المساعدة الفرنسية»، وهذا الامر شكل فارقاً أساسياً بين البرنامجين. يمكن ربط هذا التبدل بأثر دعاية الدبلوماسية الفرنسية، في أوساط الجالية اللبنانية.

من مظاهر نشاطه محاربة التيار السوري، الرامي الى إدخال لبنان في إطار دولة سورية كبرى؛ ميله عن العمل مع الجمعيات السورية وحصره بالجمعيات اللبنانية الصرفة[١٠١].

٢ - جمعية ارزة لبنان Comité des cèdres du Liban

تأسست سنة ١٩١٠[١٠٢] لسببين: محلّي واقليمي.

يعود الاول الى خلاف معظم مؤسسيها وغيرهم، مع المتصرف يوسف فرنكو باشا، لسياسته الاعتباطية. وأدى تطور الخلاف بين الطرفين الى امعان المتصرف في اتخاذ التدابير الماسة بامتيازات جبل لبنان. رأى الحريصون على هذه

الامتيازات ان يتصدوا له سلمياً، فعمدوا الى تأليف هذه الجمعية، اولاً لمنعه من ممارسة هذه التدابير، وثانياً للحؤول دون تجديد تعيينه في حاكمية المتصرفية[١٠٣].

اما السبب الثاني، فمرتبط بسياسة التتريك التي سعى حزب الاتحاد والترقي الى تطبيقها في لبنان[١٠٤]. سنة ١٩٠٩ بدأت نخبة من اللبنانيين تلمس الخطر الذي اخذ يحدق بامتيازات لبنان، من جراء محاولات تطبيق هذا البرنامج، فرأت ان تسعى الى الدفاع عنها لاهميتها القومية، مستندة الى ما لها من رصيد معنوي، مستمد من وضعها الاجتماعي المرتكز على مكانتها، او على ماضي اسرتها، او على ثقافتها، او على الثلاثة معاً. وادركت هذه الجماعة، بفضل معرفتها بالامور، ان الاحزاب هي الوسيلة الفضلى للقيام بهذه المهمة الدقيقة، فقرّ رايها على انشاء حزب اطلقت عليه اسم «جمعية ارزة لبنان»، التي اصبحت لها لاحقاً «فروع في مختلف انحاء لبنان». اما الذين جسدوا هذه الفكرة، فكانوا كثيرين، نذكر منهم: حبيب باشا السعد، الاميرين الشقيقين شكيب وعادل ارسلان، عبدالله بك تلحوق، الشيخ كنعان الضاهر، نعوم بك اللبكي، ابراهيم بك ابو خاطر، الدكتور نخله الاشقر، الاستاذ بشاره عبدالله الخوري (الاخطل الصغير)، وسليم بك المعوشي. وقد اختار مؤسسو الجمعية، سليم المعوشي رئيساً[١٠٥]. وكان ذلك عام ١٩١٠[١٠٦].

لم يكن للجمعية مقر رسمي، انما كانت تعقد اجتماعاتها في نزل مرسيليا، الذي كان قائماً في حي التينة ببيروت، القريب من ساحة الدباس. واذ كان احد اعضائها المؤسسين، بشاره عبدالله الخوري، مالكاً لجريدة «البرق»، غدت هذه الصحيفة ناطقة باسمها[١٠٧].

استوحي برنامجها من مبدأ حرص الجمعية على ذاتية لبنان المستقلة، فدارت محتوياته على نقاط توخت المحافظة على كيان لبنان المستقل ادارياً، وعلى تعزيز مقومات هذا الاستقلال، التي تعرّضت للمساس، بسبب السياسة التي انتهجها المتصرف انطلاقاً من سياسة التتريك. تضمن البرنامج تسع نقاط:

- «وضع حدّ لسلطة المتصرف ضمن دائرة القانون».
- «اقرار الطريقة الشعبية في انتخاب اعضاء المجلس الاداري».

- «حماية هذا المجلس من أي ضغط وتوسيع سلطته واجبار المتصرف على تنفيذ مقرراته».
- «إلغاء الضرائب التي استأثر المتصرفون بوضعها دون موافقة المجلس».
- «تأمين الحرية للقضاة وحماية وظائفهم من تحكم المتصرف».
- «إنشاء محكمة تجارية في لبنان تصدر أحكامها بداية واستئنافاً».
- «منع المتصرف من السكن خارج لبنان صيفاً وشتاء».
- «إصلاح الجندية ومنع الجنود من الاستخدام في منازل المأمورين جميعاً».
- «تفويض الجمعية في اجراء كل ما تراه موافقاً للاصلاح في لبنان»(١٠٨).

ويبدو ان هذا البرنامج قد حظي بموافقة لبنانية لان شيوخ القرى ومختاريها بعثوا الى ممثلي الجمعية «بتفويضات رسمية» مصدقة، مما جعل اغراض الجمعية مطلباً قومياً، عهد بتحقيقه الى نخبة من رجالات البلاد. ويدعم هذا القول ما ذكره رشيد نخله (١٨٧٣-١٩٣٩)، ذو المكانة الادبية والادارية والسياسية في المجتمع اللبناني، في معرض كلامه على الاماني القومية في تلك الفترة: «وكان ابن لبنان يتطلب التوسع في «الامتيازات»، وبسط الخريطة اللبنانية على سهل البقاع، وشواطئ بيروت»(١٠٩).

تركز نشاط الجمعية على المحافظة على «الامتيازات اللبنانية» المستندة الى «الاستقلال الذاتي»، في عناصره الاساسية، والتي اوجزها برنامجها في معظم بنوده. وعليه كانت الجمعية تتصدى اولاً، لكل خطر، كبيراً كان ام صغيراً، تعرضت له هذه «الامتيازات»؛ وتسعى، ثانياً، الى تعزيزها باضافة عوامل جديدة اليها.

حاول المتصرف يوسف فرنكو باشا، من خلال مماشاته سياسة حزب الاتحاد والترقي، ادخال نظام المطبوعات العثماني الى لبنان، مما كان سيمس بامتيازات الجبل، لانه كان يفرض على منشئي الصحف الحصول على ترخيص من الحكومة العثمانية، والا تعرضت للتعطيل. فما كان من جمعية ارزة لبنان الا ان عارضت هذا المشروع بكل قواها. وعندما تمرد خليل باخوس، صاحب جريدة «الروضة»، على القانون الجديد، فظل يصدر جريدته دون الحصول على الاجازة، احيل على محكمة المتن البدائية بتهمة عصيان القانون. وتطوع للدفاع

عنه نفر من مشاهير محامي ذلك العهد، كان بينهم سليم المعوشي رئيس الجمعية، الذي رافع بقول بليغ وحجة قانونية استرعتا الانتباه(١١٠).

وقضى بروتوكول سنة ١٨٩٢(١١١)، الذي اقر بمناسبة تعيين المتصرف نعوم باشا، بالتشديد على التقيد بالضمانات التي أحيط بها القضاة، بموجب المادة الحادية عشرة من النظام الاساسي، واهمها عدم عزلهم من وظائفهم، ونقلهم من وظيفة الى اخرى، الا بعد اجراء تحقيق يقوم به المجلس الاداري. لكن حكام لبنان لم يراعوا حرمة «امتياز» القضاة(١١٢)، فكانوا يعينونهم ويعزلونهم بملء ارادتهم دون الرجوع الى مجلس الادارة. وبعد عدة تدخلات، تم انشاء مفتشية العدلية العامة، سنة ١٩٠٧، واسندت رئاستها الى سليم المعوشي(١١٣)؛ لكن هذه الوظيفة الهامة ألغيت عام ١٩٠٩، بعد اعلان الدستور. وخشيت الجمعية ان يعود حق التفتيش الى مجلس الادارة الذي كان خاضعاً لتأثير سلطة المتصرف، فيخضع القضاء مجدداً لهيمنته، ويخسر مكسبه الاستقلالي، فاقترحت على المسؤولين ان تسند صلاحية التفتيش الى السلطة القضائية نفسها فينتدب للقيام بها، عندما تدعو الحاجة، المدعي العام الاستئنافي، او قاض آخر. لاقى هذا المطلب قبولاً، فظل القضاء متحرراً من تدخل الادارة في شؤونه، وحافظ على مكسبه الاستقلالي(١١٤)؛ لكن العمل به لم يدم طويلاً. ذلك ان المتصرف يوسف فرنكو باشا لم يلبث ان ضرب بهذا «الامتياز» عرض الحائط، فأعاد الى سلك القضاء نفراً ممن سبق لمجلس الادارة ان ادانهم في مسلكيتهم، اضافة الى تعيينه في هذا السلك جماعة رصيدها الأوحد، على ما يبدو، مقدرتها على الدس وماضيها الحافل بالشبهات. كما انه، بدافع من حقده، واستناداً الى تحقيق ناقص، عمد الى حل المحكمة المدنية، المؤلفة من قضاة اشتهروا بعملهم وعدلهم ونزاهتهم(١١٥).

وفرض نظام متصرفية جبل لبنان على حكومة الآستانة، اذا ما حصل عجز في ماليته، ان تسدّه من خزينتها، فلم تفعل(١١٦). فكان على المتصرفين ان يسعوا الى سد هذا العجز بوسائلهم الخاصة، فارضين على المكلفين ضرائب ورسوم طفيفة، تمكنوا من تحملها. لكن يوسف فرنكو باشا اجاز لنفسه تخطي حدود المقبول، ففرض على البلاد ضرائب باهظة كانت آخرها ضريبة التبغ اللبناني،

التي اثرت سلباً على زراعته، وبالتالي على تجارته. وكان لا بد للجمعية من ان تعترض على هذا التدبير، فاقترحت ربط زيادة الضرائب ببروتوكول خاص[١١٧].

وكانت للبنان، في عهد المتصرفية، قوة امنية عرفت باسم «الضابطة»، تألفت من اللبنانيين دون سواهم[١١٨]. انحصرت مهمتها بحفظ الامن وبتحصيل الضرائب والرسوم. واذ ادركت الجمعية اهميتها في الذاتية اللبنانية المستقلة، اولتها اهتمامها، لا سيما بعد ان ضعف شأنها، بسبب موقف الحاكم، وبعض كبار المسؤولين، منها، اذ استعملوا بعض عناصرها لقضاء حاجاتهم الخاصة. فصل المتصرف مجموعة من افرادها، عن مراكزهم، وانتدبهم للاهتمام بمطبخه وبغرفة طعامه، اضافة الى جنينة منزله واسطبله. اما كبار الموظفين فكان في منزل كل منهم، نفر من «الضابطة»[١١٩] او اكثر، مولج بالأعمال نفسها.

واذا ما أُخذ بعين الاعتبار، الوضع الإنحلالي الذي وصلت اليه «الضابطة»، اضافة الى لا مبالاة الحاكم حيال ادارة شؤون البلاد، يُدرك سبب تفشي الفوضى في لبنان، وحصول كثير من أعمال السطو والقتل، في كثير من المناطق، ولا سيما في الشمال.

اما معالجة هذا الوضع المقلق، فلا يمكن ان تتم، حسب رأي الجمعية، الا بإبدال المتصرف بآخر، يكون قادراً على اصلاح وضع الضابطة، وبالتالي وضع حدّ لمثل هذه الأعمال الشاذة.

واستنسب بعض المتصرفين، لا سيما يوسف فرنكو باشا، الإقامة في بيروت، الواقعة خارج نطاق المتصرفية. رأى اللبنانيون، وخصوصاً جمعية ارزة لبنان، التي كانت قد غدت حاملة لواء الدفاع عن «الامتيازات» اللبنانية، داخل لبنان. فرأت ان هذا الامر يتنافى والمصلحة اللبنانية. ذلك ان وجود الحاكم في بيئة لا تتوفر فيها الأجواء المتلائمة مع الاتجاهات القومية اللبنانية، لان بيروت كانت مركزاً للحكم العثماني المباشر، قد يسيء الى المصلحة اللبنانية، بفعل تأثر تدابيره بايحاءات او إرشادات عثمانية[١٢٠].

وكانت هذه الاقامة ترتب على خزينة المتصرفية، وعلى اللبنانيين، نفقات كانوا بغنى عنها. كان على الحكومة ان تؤمن نفقات استئجار مسكن المتصرف وما يتبعها؛ وكان على الاهالي ان يقصدوا بيروت باستمرار لان الحاكم مقيم

فيها، وذلك لإجراء المعاملات التي كانت تحتاج الى موافقته.

هذا، وليس منطقياً ان يقيم حاكم منطقة خارج نطاق مركز حكمه. وبناء على كل ما ورد، فان الجمعية قد طالبت بمنع المتصرف من الإقامة خارج نطاق لبنان[١٢١].

ونجم عن استقرار الأوضاع اللبنانية في عهد المتصرفية، وتنبه الأوروبيين الى أهمية موقع لبنان الجغرافي، ان ازدهرت التجارة فيه، مما وسع نطاق عمل اللبنانيين، وشجع الغربيين على التقاطر اليه، جنياً للأرباح، فازداد عددهم فيه. وولّد هذا التطور بين اللبنانيين والأجانب، وبين اللبنانيين وسكان المناطق المجاورة اشكالات قانونية. وكانت النزاعات التجارية تعرض على محكمة بيروت التجارية لبتها، لان نظام لبنان الأساسي لم يلحظ إنشاء مثل هذه المحكمة. وبما ان هذا الوضع يرتب على التجار اللبنانيين نفقات ومشقات يمكن تجنيبهم اياها، طالبت الجمعية بتوسيع صلاحية محاكم الدرجة الاولى المدنية، لتصبح قادرة على معالجة النزاعات التجارية؛ وبإنشاء محكمة استئناف تجارية، يكون مركزها جونيه او بعبدا، ويمكن تحويلها فيما بعد، الى محكمة مختلطة تبت نزاعات اللبنانيين والأجانب، وتربط مباشرة بمحكمة اسطنبول التجارية الأولى[١٢٢].

وضمت الجمعية صوتها الى اصوات الذين اعتبروا ان تخطيط حدود لبنان، بالشكل الذي اقره نظام المتصرفية، سلخ عنه مناطق هي جزء منه. فكان عليها ان تسعى الى توسيع الحدود اللبنانية، بتقديم عريضة الى الباب العالي، والى سفراء الدول الموقعة على البروتوكول، مطالبة فيها بإعادة اقضية بعلبك والبقاع الغربي وحاصبيا وراشيا الى لبنان. وقد دعمت مطلبها هذا بالحجج التاريخية التي استمدتها من عهد الامارة، بنوع خاص[١٢٣].

ودفعت الضرورة اللبنانيين الى المطالبة بإنشاء مرفأين في المتصرفية، واحد جنوبي، يقام في النبي يونس (جنوب الجيه)، وآخر شمالي، يقام في جونيه. ويعود هذا الامر الى سوء المعاملة التي كان يلقاها اللبنانيون في مرفأ بيروت، حيث كان الموظفون العثمانيون يعرقلون سفرهم الى بلدان الاغتراب، فيرغمونهم على دفع «البرطيل»؛ كما كان عليهم ان يدفعوا الخوّة الى عمال

البحر، عن اشخاصهم وعن بضائعهم. فكانت جمعية ارزة لبنان من بين الذين سعوا الى تحقيق هذا المطلب، عن طريق المراجعات التي قامت بها لدى المسؤولين العثمانيين وقناصل الدول، والذي كاد ان يتحقق لولا نشوب الحرب العالمية الاولى[١٢٤].

وقد افادت الجمعية، في صراعها مع المتصرف، من عامل شخصي، هو خلافه مع ناظم باشا، والي بيروت، الذي ساندها نكاية بخصمه، فأرسل الى حكومته التقارير المؤيدة لها، مما حال دون المساعي التي قام بها المتصرف لحلها والانتقام من أعضائها[١٢٥].

وفي ٢٣ كانون اول ١٩١٢ تم الاتفاق في الآستانة، بين وزير الخارجية العثماني، وبين سفراء الدول الأوروبية الضامنة نظام لبنان الأساسي، على تعيين اوهانس باشا قيومجيان، خلفاً له، وعلى بروتوكول تضمن ادخال تعديل على نظام لبنان الأساسي[١٢٦]. ثم استدعى السلطان المتصرف الجديد لمقابلته، «فمنحه رتبة الوزارة ولقب باشا، وزوده ببعض التوصيات، منها الا يرهق اللبنانيين بالرسوم لانهم فقراء»[١٢٧].

اما تعديل النظام الأساسي، فيمكن اعتباره تلبية للمطالب التي وظفت جمعية ارزة لبنان وغيرها، جهودها لتحقيقها. تناول التعديل الامور التالية:

أ. انتخاب أعضاء مجلس الإدارة: تناول هذا التعديل الهيئة المنتخبة. فبدلاً من ان يبقى حق انتخاب اعضاء مجلس الإدارة، منوطاً بشيوخ الصلح، وسعت دائرته، بحيث اضيف الى هؤلاء عدد من المندوبين عن الأهالي، على اساس مندوب واحد لكل مئة مكلف. اما في زحله، حيث كان يجري الانتخاب بواسطة المندوبين، فبقيت النسبة على حالها، أي مندوب عن كل خمسين مكلف.

ب. إضافة عضو ماروني الى اعضاء مجلس الإدارة تنتخبه مديرية دير القمر.

ج. نزع حق انتخاب العضو الدرزي من قضاء جزين، واعطاؤه الى قضاء الشوف.

د. إعطاء اعضاء مجلس الإدارة حصانة، بحيث يحظر على الحاكم عزلهم من منصبهم، لذنب اقترفوه، او لتقصيرهم، او لخطأ ناجم عن سوء الاستعمال، الا بعد اجراء تحقيق، ترفع نتائجه الى المجلس للموافقة.

هـ. جعل عدد افراد الضابطة ١٢٠، واسناد امر تدريبهم الى ضابط من الذين يهتمون بتدريب الجندرمة التركية.

و. اقرار بنود الموازنة بالتفاهم بين الحاكم والمجلس، قبل ثلاثة اشهر من بدء السنة المالية.

ز. على المتصرف الجديد اعادة تنظيم شؤون المساحة والاحصاء والضرائب والاراضي الاميرية.

ح. تزويد المحاكم اللبنانية بصلاحية النظر في الامور التجارية، بداية واستئنافاً[١٢٨].

ط. انشاء مرافئ جديدة على شاطئ المتصرفية[١٢٩].

وظلت هذه الجمعية تعمل في خدمة الكيان اللبناني بالمحافظة على استقلاله الذاتي وتطويره، وذلك انطلاقاً من صون امتيازاته التي كرسها نظامه الاساسي، حتى نشوب الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤، اذ استحال عليها متابعة نشاطها، لان العثمانيين وضعوا يدهم مباشرة على لبنان، وفرضوا عليه سيطرة جمدت فيه كل نزعة حرة ومستقلة[١٣٠].

٣- عصبة النهضة اللبنانية (الولايات المتحدة الأميركية)

تاسست في مدينة نيويورك، صيف عام ١٩١١[١٣١]، بمبادرة ابراهيم سليم النجار وبدعوة من نعوم المكرزل، صاحب جريدة «الهدى» النيويوركية[١٣٢]، تحت اسم: Lebanon League of Progress[١٣٣]. توالى على رئاستها ثلاثة: المؤسس، ثم نعوم المكرزل، فنعوم حاتم.

اتخذت لنفسها رمزاً بشكل خاتم، كان عبارة عن دائرتين متداخلتين، لهما نقطة ارتكاز واحدة، الامر الذي ولّد دائرة تحيط بها حاشية. رسمت في الدائرة ارزة، ظهرت فوقها الشمس، مطلّة من بين الغيوم. اما الحاشية فاحتوت اسم الجمعية، وتاريخ تأسيسها، باللغتين، العربية والإنكليزية[١٣٤].

لم يختلف برنامجها، اساساً، عن برنامج الجمعيات المنتسبة الى نزعة القومية اللبنانية، التي سعى الى انشائها لبنانيون واعون ميزات وطنهم، وبالتالي

مدركون اهمية بقاء كيانه مستقلاً، ليتمكنوا من ممارسة الحياة الحرة الكريمة.

ارست هذه الجمعية برنامجها على المبادئ التي تتآلف مع الكيان اللبناني المستقل، القادر على الحياة، استناداً الى مقومات اقتصادية اساسية، والى ضمانة دولية فاعلة. لكنّ هذا البرنامج تعدّل، بعد الحرب العالمية الاولى، بالنسبة للعلاقة الدولية، اضافة الى امور اخرى، مما يجيز تمييز فترتين في عملية ظهوره: قبل الحرب، وبعدها.

ارتكز البرنامج الى الامور التالية: الكيان اللبناني، سلطته، حدوده، العلاقة الدولية، اضافة الى شؤون اخرى...

كان هدف الجمعية الاساسي جعل لبنان دولة متمتعة باستقلال تام ناجز، ضمن حدوده التاريخية والطبيعية، استناداً الى الخريطة التي وضعتها قيادة الحملة الفرنسية الى سوريا، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، (١٨٦٠-١٨٦١). تضمن بقاء هذه الدولة، الدول العظمى. يتخذ الحكم فيها شكل امارة دستورية، يتولى شؤونها امير اجنبي، يختاره اللبنانيون بطريقة الانتخاب[١٣٥].

لكن هذا البرنامج قد تبدّل، بتعديل بعض بنوده، وبإضافة البعض الآخر عليه. جرى هذا الأمر بعد خروج الحلفاء منتصرين من الحرب، وسعي فرنسا الى إدخال لبنان وسوريا تحت سيطرتها، تطبيقاً لإتفاقية سايكس-بيكو Sykes-Picot.

تناول التعديل الرعاية الأجنبية للبنان، ونظام الحكم فيه. تحوّلت الرعاية من «ضمانة دولية» لاستقلاله، تتولاها الدول العظمى، الى «مساعدة فرنسية» دون غيرها. اما نظام الحكم، فبدل ان تتجسد السلطة فيه بشخص «امير»، اصبحت متمثلة بشخص «حاكم»، يمكن ان يكون «اميراً»، تنتقل سلطته الى سلالته، بطريقة الإرث؛ وعوض ان يكون اجنبياً، صار من الضروري ان يكون فرنسياً، يعاونه مستشاران فرنسيان. ويتولى قيادة الجيش، ضابط فرنسي ايضاً. ولإضفاء مسحة «الوطنية» على هؤلاء المسؤولين، نص البرنامج على اعتبارهم «لبنانيين». ويظل الامر هكذا، حتى يصبح اللبنانيون قادرين على حكم انفسهم بأنفسهم.

تسند السلطة التشريعية، التي سينتخب أعضاؤها، الى اللبنانيين دون غيرهم.

يقوم بعملية الانتخاب اللبنانيون، المقيمون والمغتربون، لان الهجرة ملازمة للبنان، لعجزه عن تأمين مجالات العمل لبنيه، ولان المغتربين يشكلون القسم النشيط من الشعب، الامر الذي يربط تقدم البلاد واستقلالها بمبادراتهم، فيتحولون مستقبلاً عن الاغتراب.

تحصر الوظائف العامة باللبنانيين وحدهم. تكون اللغة الفرنسية، كاللغة العربية، لغة رسمية. لا يستعان بالجيش الا للدفاع عن الأرض اللبنانية. يتألف العلم اللبناني من ألوان العلم الفرنسي، على ان تتوسط الأرزة القسم الأبيض منه. يوضع تشريع ينظم املاك مختلف الطوائف اللبنانية، والتي هي بحوزة رجال الدين؛ تخضع هذه الاملاك لنظام الضرائب، وتبقى إدارتها بعهدة رجال الدين، شرط ان ينفق هؤلاء فائض دخلها في مجالي التعليم والإحسان، مراعاة لأهداف واهبي هذه الأراضي. محاكمة ومعاقبة الأتراك والألمان الذين عمدوا الى شنق ونفي الوطنيين اللبنانيين، اضافة الى الذين اعدوا بدقة عملية التجويع التي سببت موت نصف سكان لبنان تقريباً. محاكمة اللبنانيين والسوريين، الذين تواطئوا مع الأتراك، فاستغلوا وضع البلاد، بالاحتكار والربى الفاحش، دون الالتفات الى فقر الشعب، لإرغامهم على اعادة الأموال والأملاك التي اقتنصوها من ضحاياهم بأساليب غير مشروعة؛ واذا كان ضحايا هذه التصرفات قد توفوا، هم وورثتهم، يجب تحويل هذه الأموال الى ميزانية المعارف العامة. تعوّض تركيا وحلفاؤها على اللبنانيين، ما ألحقوه بهم من أضرار، نتيجة المصادرات والضرائب على أنواعها. تدفع تركيا للبنان المتأخرات المتوجبة له عليها، اضافة الى الأموال المترتبة لصالحه، بالنسبة للمناطق التي سلخت عنه، سنة ١٨٦١.

الزام الذين جمعوا تبرعات، باسم اللبنانيين والسوريين، لتوزيعها على المحتاجين، بتقديم بيانات حسابية عن المبالغ التي قبضوها، لان بعض الفضائح قد حصلت في هذا المجال، بسبب السرقات، فامتلأت بعض الجيوب والصناديق، بينما كان ألوف من النساء والأطفال يموتون جوعاً.

وشدد برنامج الجمعية على المطالبة بمساعدة فرنسا وحدها للبنان. ذلك ان اللبنانيين يدركون ان بلادهم ستواجه مشاكل وصعوبات في عملية تحقيق أمانيهم الوطنية، ويعترفون انهم بحاجة الى دولة كبرى، تشارك في تنظيم شؤون

بلادهم، وفي تسديد خطاهم؛ وبما ان لبنان متمسك بتقاليده، وبعاطفة العرفان بالجميل، وجب عليه ان يختار فرنسا لمساندته، وهي التي لم تنقطع ابداً عن مصادقته وحمايته، خلال جميع العهود التي تعاقبت عليه. ان هذه الرغبة قد صدرت عن جميع اللبنانيين، مقيمين ومغتربين[١٣٦].

قامت هذه الجمعية، لوجودها في بلد ترتع الحرية في ربوعه، لا مطامع استعمارية له، وللنفوذ الذي كان يتمتع به احد رؤسائها، نعوم المكرزل، وهو صاحب جريدة «الهدى»، بنشاط مرموق، اثناء الحرب، وبعدها خاصة.

اهتمت، إبان الحرب، بأمرين هامّين ولدتهما سياسة جمال باشا في بلادنا: الاعدامات التي نجمت عن المحاكمات التعسفية التي أجراها، وخطة التجويع التي نفذها. عمدت، حيال هذين الموضوعين، الى الاستنجاد، من جهة، بالرئيس الاميركي، ولسون، الذي وعد ببذل مساعيه، التي تمثلت بالاتصال بسفير اميركا في الآستانة، مستخبراً عن الحالة في لبنان؛ ومن جهة ثانية بادرت الجمعية الى جمع الإعانات، وإرسالها الى المنكوبين اللبنانيين[١٣٧]. وبعد الحرب، وجهت الجمعية نشاطها نحو وضع برنامجها موضع التنفيذ: روّجت له بين المغتربين اللبنانيين، في الولايات المتحدة، وفي سائر بلدان أميركا بتوزيع مناشير عليهم، مطبوعة باللغتين الإنكليزية والعربية، معنونة باسمها، وتتضمن ملخص برنامجها، طالبة اليهم السعي الى تحقيقه.

اثمرت مساعي العصبة، فاستجاب المغتربون لها. نذكر، على سبيل المثال، ان ثلاثة وسبعين مهاجراً لبنانياً، من مدينة بوارتو بادري Puarto Padre الكوبية، وجلّهم من عائلات: عواد، كرم، فرح، رعد، صوما... أرسلوا في تموز ١٩١٩، عريضة الى مؤتمر الصلح، بواسطة نائب قنصل فرنسا في العاصمة سنتياغو، يطالبون فيها «... باسم النهضة اللبنانية، من المؤتمر الدولي في فرساي، استقلال لبنان، بحدوده الأساسية، ورايته الخاصة، تحت وصاية الدولة الفرنسية الحرة والمحبوبة. وكشعب كان مستقلاً، يرجون ان يظل للبنانيين استقلالهم. ويأملون من الدول العظمى، الممثلة في المؤتمر، ان تصغي الى اصواتهم وتستجيب لمطالبهم العادلة».

ومن جهة ثانية، بذلت الجمعية نشاطاً مرموقاً، وفي عدة مجالات، تحقيقاً

لأهدافها. وجهت العرائض والرسائل، الى الهيئات الدولية، والى المسؤولين الدوليين[١٣٨]، مفندة فيها برنامجها، وطالبة تحقيقه، او منتقدة معارضي هذا البرنامج.

في ٣٠ أيار ١٩١٩، بعث نعوم المكرزل، وكان يقيم في اوتيل كونتيننتال 'Continental' بباريس، برسالة الى البطريرك الماروني، هي عبارة عن شكوى ضد لبنانيين تربطهما برأس الكنيسة المارونية، صلات قوية، يحاربان وضع لبنان تحت الرعاية الفرنسية، مما يشكل إحراجاً للبطريرك نفسه، لا بل مناهضة غير مباشرة لسياسته، نظراً لوجود هذه الرابطة بينه وبينهما. ذلك ان المونسنيور عمانوئيل فارس، النائب البطريركي الماروني في باريس، ويوسف الحويك، النحات الشهير، ابن شقيقه سعدالله، قد عملا لإنالة لبنان استقلاله، برعاية عصبة الأمم، رافضين بذلك المساعدة الفرنسية له، مما يعتبر نقضاً لتقاليد لبنان[١٣٩]، وتضحية بمستقبله وبأمنه، المرتبطين بالمساعدة الفرنسية وحدها. ثم ناشد المكرزل البطريرك، باسم العصبة اللبنانية وفروعها، المنتشرة في جميع بلدان الاغتراب، التي انتدبته لتمثيلها في مؤتمر الصلح، والتي يشكل اعضاؤها السواد الأعظم من المغتربين، ان يبادر، قبل فوات الأوان، الى اعلان أمانيه، واماني الإكليروس، واماني الأمة اللبنانية.

وبادر رئيس العصبة، فيما بعد، وكأنه يطلب الى البطريرك ان يتبنى برنامج العصبة، الى القول له: ان جميع اللبنانيين يودون ان يستقل لبنان، في حدوده الطبيعية والتاريخية، وان يحكمه فرنسي، وان يتولى قيادة جيشه فرنسي ايضاً، وذلك تحت رعاية فرنسا. وتنتهي الرسالة، بالطلب الى البطريرك ان يبعث بجوابه عنها، اما الى الحكومة الفرنسية، مما يوحي بانها وراء رسالة المكرزل، او هي على علم بها، واما الى صاحبها شخصياً[١٤٠].

في حزيران ١٩١٩، قدمت العصبة عريضة الى مؤتمر الصلح، ضمنتها امانيها السياسية والقومية، انطلاقاً من برنامجها.

في آذار ١٩٢٠، وجه رئيس العصبة، نعوم المكرزل، الى رئيس جمهورية فرنسا، بول ديشانيل Paul Deschanel، رسالة ناشده فيها، استناداً الى مبدأ تقرير المصير، تحقيق مطالب العصبة الأساسية، وهي استقلال لبنان الكبير، تحت

الانتداب الفرنسي، ورفض أي علاقة قد تربطه بفيصل، الغريب عن لبنان.

وكانت لهذه العصبة فروع في كثير من مدن الولايات المتحدة الاميركية، لم نجد بشأنها مستندات تسمح بسرد شيء هام عنها، وان مقتضباً، باستثناء فرع مدينة بفالو. ولم نستطع ان نذكر بالنسبة لسائر الفروع، سوى اسم المدينة واسماء مسؤوليها.

رأس فرع مدينة بفالو Buffalo امين فارس. من ابرز نشاطاتها توجيهها برقية الى رئيس جمهورية فرنسا، ديشانيل Deschanel، في آذار ١٩٢٠، طالبت فيها، باسم ٥٠٠ الف لبناني، مقيمين في اميركا بانشاء لبنان الكبير، وضعه تحت الانتداب الفرنسي وحده واعطائه حق تقرير المصير.

- كلارسبورغ Clarsburg الرئيس: بشاره المندلق.
- اوتيكا N.Y., Utica الرئيس: انطوني ميتشيل.
- لنشبورغ Lynshburg الرئيس: جورج بطرس، امين السر: شارل ورده.
- جنكس Oklahoma, Jenks الرئيس: وديع جورج.
- ديترويت مشيغن Michigan, Detroit الرئيس: الدكتور جورج داود.
- بنغور Maine, Bangor الرئيس: جون سيوفي.
- ادمونستون N.B. Edmonston الرئيس: ميخائيل حبيس.
- تونتون Massachussets, Taunton الرئيس: جون توما.
- غلوبز Arizona, Globez الرئيس: س. ريس.
- بيوريا Illinois, Peoria الرئيس ت. علوان.
- كانتون Ohio, Canton الرئيس: فرح سعيد فرح.
- سان تي Ohio, San Tey الرئيس: جوزف الياس.
- كونسبيسيون Mer, Concepción del oro. الرئيس: جوزف نحول.
- اوك هيلّ Ohio, Oak Hill لم يذكر اسم الرئيس.
- لافاييت Lafayette الرئيس: جوزف غندور، امين السر: جوزف حنه.
- دالس Texas, Dallas الرئيس: ف. قعدان.
- سنسيناتي Ohio, Cincinnati لم يذكر اسم الرئيس.
- بوسطن Massachussets, Boston الرئيس: تامر شهاب، امين السر: ب.

ناصيف.

- سبرنغفيلد Massachussets, Springfield الرئيس: جورج حداد.
- وود لون Woodlawn، الرئيس: ر. حرب.
- كليفلند اوهايو Ohio Cleveland الرئيس: توما عبده طعمه.
- سانت لويس St. Louis كان لها رئيسان: اسعد فرح وح. عساف وكان لها ايضاً فرع في مدينة تورنتو Toronto الكندية، جعلت مركزه في ١٣٩ شارع الملكة اليزابيت ورئيسه ج. م. زاهر.

ابرز ما قامت به هذه الفروع احتجاجها على اعلان فيصل ملكاً وضم لبنان الى مملكته.

٤ - الجمعية اللبنانية-باريس Comité libanais de Paris

مرت حياة هذه الجمعية بفترتين: قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها.

سنة ١٩١١، تاريخ تأسيس جمعية النهضة اللبنانية في مدينة نيويورك، سعى فريق من اللبنانيين المقيمين في باريس، الى تأسيس جمعية لبنانية؛ لكن محاولتهم باءت بالفشل. وفي اول حزيران ١٩١٢ اعادوا الكرة، فنجحوا في مسعاهم، اذ اجتمعوا في ١٠ من بولفار ستراسبورغ، واتفقوا على تأسيس الجمعية اللبنانية، بعد ان تلا على مسامعهم الصحافي خيرالله خيرالله[١٤١] مذكرة عرض فيها الوضع القائم في لبنان[١٤٢]. وقد عهد برئاستها الى الشاعر باللغة الفرنسية، شكري غانم[١٤٣].

حصرت معظم نشاطها خلال هذه الفترة، باطلاع الأوساط السياسية الأوروبية على القضية اللبنانية[١٤٤].

وفي سنة ١٩١٥ توقف نشاط الجمعية اذ حلّها أعضاؤها بسبب نشوب الحرب[١٤٥].

ما ان انتهت الحرب العالمية الاولى، وبدأ الحلفاء المنتصرون التحضير لحل مشاكل ما بعد الحرب، في اطار ما عرف بمؤتمر الصلح، حتى ادرك لبنانيو باريس ان مصير بلادهم سيبحث من جديد، فقرروا التحرك دفاعاً عن امتيازاته

وحقوقه، الامر الذي دفعهم الى إحياء جمعيتهم، للعمل في اطارها. والمرجح ان تكون هذه العملية قد جرت بمبادرة من خيرالله خيرالله. تم هذا الأمر في ٥ كانون الثاني ١٩١٩[١٤٦]. اسندت رئاستها الى عباس بجاني، وأمانة سرّها، الى هيكل هيكل. اما سائر أعضائها، فكانوا: الدكتور قيصر بسيم، حبيب الزغبي، الياس منسى، انطوان زوين، فارس حنا، الدكتور الياس عاد، سعد نجيم، خيرالله خيرالله، يوسف سعدالله الحويك[١٤٧]، السيد قزي[١٤٨]، ميغيل ابو حمد، فرح فرح، المونسنيور فارس[١٤٩]، نسيب نجيم، جوزف فرح[١٥٠].

جعلت الجمعية مقرها في منزل رئيسها، ١٣ شارع شابرول 13, Rue de Chabrol، كما اتخذت من كلمة «لبناني» Libanais عنوانها التلغرافي[١٥١]. اما خاتمها فكان بيضاوي الشكل نقش عليه اسمها، بأحرف كبيرة، وعنوانها، بأحرف صغيرة.

إثر عملية التأسيس هذه، وجهت الى وزير الخارجية الفرنسية، بتاريخ ٨ شباط ١٩١٩، رسالة اطلعته فيها على تاريخ تأسيسها وبرنامجها وعلى كونها الممثلة الوحيدة للبنانيين المقيمين في باريس[١٥٢] كما قالت الجمعية.

ارتكز برنامجها على مطلبين اساسيين: اولاً، جعل لبنان دولة متمتعة باستقلال تام، مطلق، لا تدعمه رعاية فرنسية، ولا تحميه حتى ضمانة دولية؛ وقد ركزت الجمعية نشاطها الأهم، على حل القضية اللبنانية، انطلاقاً من هذا المبدأ. ثانياً، اعادة بنائه استناداً الى وحدته الطبيعية، في اطار حدوده التاريخية والاقتصادية[١٥٣].

ما ان انعقد مؤتمر الصلح في باريس، لحل مشاكل ما بعد الحرب، حتى نشط اللبنانيون، سعياً وراء ايجاد صيغة تضمن مستقبل بلادهم. وقد برزت عدة طروحات في هذا المجال، اعتمدت كل منها صيغة حلّ للقضية اللبنانية. وسعت جمعية باريس اللبنانية الى حلّ قضية بلادها انطلاقاً من برنامجها. فوجهت الى الأمين العام للمؤتمر، كتاباً، تمنت عليه فيه، مراعاة للعدالة والإنصاف، بان يعطيها حقّ عرض وجهة نظرها، الرامية الى إنالة لبنان استقلاله التام، لا سيما وان مؤتمر الصلح قد استمع الى وجهات نظر متعددة، لا تخدم كلها هذا المطلب القومي. فالأمير فيصل، مندوب الحجاز، تتطرق لموضوع لبنان، من خلال

عرضه القضية العربية، وفي اطار القضية السورية بنوع خاص. والسيد شكري غانم، رئيس الجمعية السورية المركزية، وهو لبناني اكتسب الجنسية الفرنسية[١٥٤]، عرض وجهة النظر الفرنسية. واستمع المؤتمر ايضاً، الى وجهة نظر موضوعية، قدمها السيد بلسّ Bliss[١٥٥] رئيس الجامعة الأميركية في بيروت. وستعرض على المؤتمر، وجهة نظر الوفد الذي انتدبه مجلس ادارة جبل لبنان، وهو يمثل ايضاً وجهة النظر الفرنسية[١٥٦].

وتخلص الجمعية، في نهاية رسالتها، الى سؤال امين عام المؤتمر: «اوليس من العدل، ان يفسح امام وجهة النظر القومية، مجال عرض رأيها، حيال قضية لبنان، بلسان لبناني؟»[١٥٧].

وابلغت الجمعية وزير الخارجية الفرنسية نسخة عن كتابها هذا[١٥٨].

ناصبت السلطات الفرنسية، واعوانها، هذه الجمعية العداء، لان برنامجها لم يتضمن وضع لبنان تحت الرعاية الفرنسية، خاصة وان نشاطها انطلق من العاصمة الفرنسية نفسها.

اتخذ هذا العداء عدة مظاهر. منها، انكاره على الجمعية حق التدخل في المساعي الرامية الى حلّ القضية اللبنانية، لان لبنان ارسل الى باريس وفداً[١٥٩] خوّله صلاحية البحث بشأنها، مع الحكومة الفرنسية. ومنها رصد نشاطات أعضائها؛ فاستكتب جان غو Jean Gout، مساعد مدير الشؤون السياسية والاقتصادية، في وزارة الخارجية، والمسؤول عن شؤون آسيا واوقيانيا فيها، شكري غانم، رسالة تطلب من وزارة الداخلية (مديرية الامن العام، ومديرية الشرطة) مراقبة نشاطات اعضاء الجمعية اللبنانية، ملقبة إياهم «بالسوريين المنشقين»[١٦٠]. ولتتمكن وزارة الداخلية من تلبية مطلب وزارة الخارجية، وجهت الى السيد غو مدوّنة، طلبت اليه فيها تزويدها بأسماء وعناوين هؤلاء الأعضاء؛ استجيب طلبها[١٦١]، اضافة الى ابلاغها جملة امور أخرى، ذات صلة بالجمعية: تأسيسها على يد خيرالله خيرالله، مركزها في باريس، عنوانها التلغرافي («لبناني»، Libanais)، الحملة التي يقوم بها خيرالله، والمضرة بالمصالح الفرنسية. وعليه، طلبت الرسالة، ان تعمد اجهزة وزارة الداخلية الى تحويل جميع المراسلات، الصادرة عن أعضاء الجمعية، او الواردة اليهم، الى

وزارة الخارجية، لتتفحصها، مما يمكنها من الكشف عن سعاياتهم. ويبدو ان خيرالله خيرالله، مؤسس الجمعية، قد ضايق الفرنسيين اكثر من سائر اعضاء الجمعية؛ ذلك ان ابن جران، القرية البترونية، كان مناضلاً قوي الشكيمة، وعلى ثقافة عالية، استمد عناصرها من الحضارتين، العربية والفرنسية، مما افسح له مجال الانتساب الى هيئة التحرير في جريدة «الطان» الباريسية[١٦٢]، كبرى الصحف الفرنسية حينذاك. فراح هذا الصحافي اللبناني ينشر في الجريدة الباريسية مقالاته التي تخدم اماني جمعيته القومية، اضافة الى الأخبار المتعلقة بها. لكنّ نشاط خيرالله لم يكن ليرضي الفرنسيين الذين اصبحوا على قاب قوسين من رعايتهم شؤون لبنان وسوريا. فجعلت السلطات الفرنسية تلاحقه بتدابيرها المسيئة اليه، كرفضها منحه بطاقة الهوية. لكنّ محررّ «الطان»، كان من النفوذ، في الأوساط الباريسية، بحيث امكنه ان يجعل اكثر هذه التدابير دون جدوى، مما دفع احد ملاحقيه الى الشك في الحصول على المساندة اللازمة للقيام بمهمته. واذا به يعبر في احدى رسائله الى رؤسائه، عن خشيته، حيال هذا الأمر بقوله: «هل سنلقى دعماً لننفذ المطلوب منا بشأن هذا الصحافي الفاشل؟»[١٦٣].

اما بالنسبة للمطلب المتعلق بسائر أعضاء الجمعية، فقد لبته وزارة الداخلية، اذ استطاعت تحديد اماكن اقامتهم، ومراقبة مراسلاتهم، فضبطت برقية بعث بها اوغست اديب، رئيس الاتحاد اللبناني في القاهرة، ينتدب بموجبها الجمعية للتكلم باسم السوريين واللبنانيين المقيمين في مصر[١٦٤].

يبقى ان نأتي على ذكر موقف الشاعر شكري غانم[١٦٥] من الجمعية. وقف السيد غانم حيال الجمعية، وكان رئيسها في فترة ما قبل الحرب، موقفاً اشد عداءاً مما اظهرته السلطات الفرنسية نحوها. وقد عبرّ عن وجهة نظره برسالة وجهها الى وزير خارجية فرنسا، ستيفن بيشون Stephen Pichon، احتج فيها «بكل قواه» على غض النظر عن تأليف هذه الجمعية، وعلى تركها تعمل بحرية في باريس، مستفيدة من التساهل الفرنسي نحوها، الذي اعتبره غانم اكثر من تسامح. ذلك ان مآتيها تشكل خيانة إزاء فرنسا وسوريا، اضافة الى انها تضعف موقف الوفد اللبناني[١٦٦] امام ممثلي الدول في مؤتمر الصلح. ان الضرورة توجب، كما يقول غانم، اتخاذ بعض التدابير إزاءها، لا سيما وان فيصلاً موجود

في باريس، حيث يحتفي به كثير من اللبنانيين، ومن بينهم الجمعية، التي تهتم بإقامة مأدبة على شرفه[١٦٧].

هذا، وكانت جمعية باريس اللبنانية، على علاقة حسنة بجمعية الاتحاد اللبناني في مصر، لتوافق هدفيهما الاساسيين، الا وهو استقلال لبنان التام، برغم الفارق الذي ميزّ برنامج الاتحاد، المتمثل بطلب الضمانة الدولية للاستقلال اللبناني، والتي لم يتطرق لها برنامج جمعية باريس. وحين أعيد تأسيس هذه الجمعية، أبلغت الاتحاد الأمر، فرحب به. ولم يلبث الاتحاد ان اعلم فروعه في البرازيل والأرجنتين وكندا بهذا التأسيس، متمنياً عليها ان تنتدب الجمعية للعمل باسمها في باريس، مركز مؤتمر الصلح[١٦٨].

٥- جمعية نهضة البرازيل

أسست في البرازيل في مدينة ساو باولو سنة ١٩١٣. تولى امانة سرها وديع ابي سمرا. استمد برنامجها من ركيزة برنامج الجمعية الام (جمعية نهضة نيويورك): دعم استقلال لبنان في حدوده الطبيعية، وتوسيع هذه الحدود براً وبحراً ليتمكن سكانه من الاكتفاء المعيشي، ووضعه تحت الحماية الفرنسية[١٦٩].

٦- جمعية بيروت اللبنانية

أسست في بيروت، قبل نشوب الحرب العالمية الاولى، سنة ١٩١٣ على الأرجح.

انتسب اليها عدد من الشخصيات التي كانت تهتم بالشأن اللبناني. أبرزهم: الشيخ يوسف الجميل. الدكتور ألفرد خوري، اميل اده، الدكتور سليم الجلخ، جورج فيليب تابت وبشاره خليل الخوري. كان هؤلاء يجتمعون في مكانين: صيدلية الشيخ يوسف الجميل بساحة البرج، وقاعة كنيسة مار مارون.

يبدو ان برنامجها لم يختلف عن برنامج جمعية ارزة لبنان، لانها اهتمت

«بتوسيع حدود لبنان واستقلاله». فركزت نشاطها على هذين المطلبين الأساسيين، مستندة في ذلك الى الدعم الفرنسي؛ فرفع اعضاؤها الى وزارة الخارجية الفرنسية، بواسطة القنصل الفرنسي في بيروت جورج بيكو، جملة تقارير بينوا فيها بالتفصيل، مفهومهم إزاء هذين المطلبين اللبنانيين[١٧٠].

٧- الجمعية الكندية-اللبنانية

تأسست سنة ١٩١٣ وجعلت مركزها في مدينة فانكوفير Vancouver؛ اهتمت بمساعدة اللبنانيين الذين استوطنوا مقاطعة كولومبيا البريطانية ومد يد العون الى ذويهم في الوطن. في ٤ ايلول ١٩١٩ وجهت، الى سفير فرنسا في الولايات المتحدة، بواسطة نائب القنصل الفرنسي في فانكوفير، برقية احتجت بها على نية المملكة العربية في ضمّ بعض مقاطعات الامبراطورية العثمانية اليها، وذلك استناداً الى بعض الأنباء التي اوردتها صحف المدينة[١٧١].

٨- الجمعية اللبنانية المركزية

تأسست في مدينة سنتياغو، عاصمة الشيلي.

ارتكز برنامجها على المطالبة باستقلال لبنان الذاتي التام، تحت الحماية الفرنسية.

قامت بعدة نشاطات، كان ابرزها الدعوة الى اجتماع عقد في العاشر من ايار ١٩١٩، أكدت فيه حرصها على التمسك بأساس برنامجها، كما وافقت على ما يلي:

- ضم أمانيها واماني اللبنانيين الوطنيين في اميركا الجنوبية، الى مطالب وفد مجلس ادارة جبل لبنان برئاسة داود بك عمون[١٧٢]، اضافة الى الاعراب عن محبتهم لفرنسا وتعلقهم بها.
- الاحتجاج على المواقف المعادية لفرنسا، حامية اللبنانيين، والتي اعلنتها الاحزاب العربية، وعلى البرقيات التي ارسلت من مختلف عواصم اميركا

الجنوبية.

نشير هنا الى ان هذا الموقف قد سجل، بناء على تدخل سفير فرنسا في سنتياغو، وذلك لان الاحزاب المعادية للوجود الفرنسي في لبنان وسوريا، قد قامت بنشاط في عاصمة التشيلي، ادى الى التحضير لعقد مؤتمر سوري مناهض للنفوذ الفرنسي، يقام في بيونس آيرس حيث الاجواء اكثر ملاءمة له. لكن تدخل السفير الفرنسي، وتجاوب الجمعية اللبنانية المركزية، ولبنانيين آخرين، معه، اديا الى افشال المؤتمر، والى اقرار التوصية السابق ذكرها، على يد هذه الجمعية اللبنانية، الفرنسية الميول.

٩- جمعية النهضة اللبنانية

أسست في مدينة ميريدا Merida المكسيكية، وتولى رئاستها يوسف ضو. قامت بعدة نشاطات، كان ابرزها البرقية التي وجهتها، في ٨ ايلول ١٩١٩، الى رئيس الجمهورية الفرنسية، ريمون بوانكاره R. Poincaré، ذكرت فيها ان فرنسا منحت اللبنانيين مساعدات لا تزال محفورة في قلوبهم، ورجته دعم البطريرك الماروني[١٧٣] وممثل الجمعية في باريس، نعوم المكرزل، لان ما يطالبان به يتفق وبرنامج الجمعية، المرتكز اساساً على استقلال لبنان، المنفصل عن سوريا، ضمن حدوده التاريخية، وتحت حماية فرنسا[١٧٤].

١٠- نادي جبل لبنان

تأسس في مدينة بوسطن، عاصمة ولاية ماساتشوستس، من الولايات المتحدة.

كان رئيسه الفخري الاب يوسف يزبك، ورئيسه الفعلي اليان شلالا، وامين سره يوسف قمر، وامين صندوقه جان لطفي.

وجه في ٢٤ آب ١٩٢٠ برقية الى السيد ميلّران[١٧٥] طالب فيها بضم بيروت وطرابلس الى لبنان[١٧٦] مما يعني ان النادي سعى الى الحفاظ على استقلال لبنان وتوسيع حدوده. وقد يكون سعى الى وضعه تحت الرعاية الفرنسية.

١١ - لجنة وكلاء شعب كسروان

تأسست في لبنان، بعد نهاية الحرب العالمية الاولى. من اعضائها، سجعان عارج[١٧٧]، نعوم باخوس[١٧٨]، وبولس نجيم[١٧٩].

من ابرز نشاطاتها، اصدارها، في ٩ تموز ١٩١٩، بياناً، نشرته في جريدة «صدى لبنان»، في ملحق للعدد ٣-٢٢٥٣، دعت فيه ابناء الوطن الى اعتبار ١٤ تموز، وهو عيد الثورة الفرنسية، «... عيداً وطنياً رسمياً في كامل انحاء جبل لبنان». مما يقتضي اقفال المؤسسات العامة، وتقبل المأمورين المعايدات، وتبادل السكان عبارات المعايدة الوطنية، وانارة المنازل والاديار والكنائس ليلة العيد. ذلك ان فرنسا كانت، ولا تزال، تدعم مطالب اللبنانيين، ماضياً وحاضراً[١٨٠].

١٢ - جمعية يوسف بك كرم

أسست في الولايات المتحدة، في مدينة سبرنغفلد Springfield من ولاية ماستشوسيتس Massachusetts.

كانت غايتها المحافظة على الكيان اللبناني وتوسيع حدوده.

ارسلت، عام ١٩٢٠، برقية الى المطران عبدالله خوري، رئيس الوفد اللبناني الثالث الى باريس، والذي كان يقيم في ١٥ شارع اولم 15, Rue d'Ulm، عبرت فيها عن رغبتها بتوسيع حدود لبنان وذلك بإعادة ضم المدن والمناطق الى أراضيه[١٨١].

١٣ - جمعية الدفاع عن حقوق لبنان الكبير

تأسست في القاهرة عام ١٩٢٠[١٨٢]، برئاسة عبدالله باشا صفير، وعضوية كل من فريد باشا بابا زوغلي والدكتور امين ابو خاطر واسكندر غريّب واسعد عطية ونعمة غانم وسامي قصيري ويوسف البستاني وتوفيق المطران. وتجدر

الاشارة هنا الى ان رئيس هذه الجمعية كان سابقاً رئيساً لفرع الجمعية المركزية السورية في القاهرة[١٨٣].

لم يختلف برنامج هذه الجمعية عن برنامج مثيلاتها التي انطلقت من قاعدة الحفاظ على الكيان اللبناني، ثم تثبيته وتوسيع رقعته. وعليه ارتكز على النقاط نفسها التي بنيت عليها البرامج السابقة وهي: توسيع رقعة لبنان بإعادته الى حدوده الطبيعية، كما رسمت في خريطة رئاسة أركان الحملة الفرنسية لعام ١٨٦٠؛ الاعتراف بالاستقلال التام للبنان الموسع، وذلك تجاه كل دولة وحكومة مجاورة؛ انتخاب جمعية تأسيسية لبنانية تضع قانوناً اساسياً يرتكز على مبادئ البرلمانية الشعبية، ويؤدي الى تشكيل حكومة وطنية، بالاتفاق مع ممثل السلطة الفرنسية؛ تحدد مساعدة فرنسا للبنان بموجب اتفاق يحصل بين الحكومة اللبنانية الجديدة وممثل الحكومة الفرنسية[١٨٤].

احدث انشاء هذه الجمعية ردة فعل ايجابية لدى جمعية الاتحاد اللبناني. ذلك ان برنامجها، اذا ما استثنينا نقطة المساعدة الفرنسية للبنان، مطابق لبرنامج الاتحاد. زد على ذلك ان رئيسها وبعض أعضائها، كانوا من أركان جمعية قامت لتدعو الى ضم لبنان الى سوريا، بحجة ان «امتيازات لبنان توارت الى الابد ولن تنشر من رمادها».

اما ما صدر عن الاتحاد بالنسبة لهذا الحدث، فكان ترحيباً، لانه اعتبر ان انفصال رئيس الجمعية عن الفكرة السورية وارتداده الى الفكرة اللبنانية، عائد الى دور الاتحاد اللبناني في هذا المجال، والذي تمثل بتمسكه «بتقرير الكيان والاستقلال منذ الساعة الاولى»، مما سيدفع الكثيرين، فيما بعد، الى اعتماد هذه المبادئ اللبنانية. وفي هذا السياق كتب يوسف السودا الى انطون الجميل، يطلب منه التعليق على برنامج الجمعية الجديدة، من زاوية اثر الاتحاد في مجال اقناع اللبنانيين بالمبادئ التي اعلنها هو. اما يوسف السودا نفسه، فقد نشر في جريدة «البصير» مقالاً اثنى فيه على برنامج الجمعية، بقوله انه يغني عن «أن ندعم القضية اللبنانية بحرف واحد»، وقد استغله ليدعم «ثبات حقوق ... وعدالة مطالب ...» يسعى الى تحقيقها اناس لم نألف قراءة اسمائهم الى جانب مثل هذا المذهب»، والمرتكز على: «لبنان الكبير، استقلال لبنان، انفصال لبنان عن

سوريا، حصول لبنان على بقاعه وموانيه المسلوخة عنه، استرجاعه حقوقه المغتصبة»[١٨٥].

من ابرز ما قامت به هذه الجمعية توجيهها، بتاريخ ١٠ آذار ١٩٢٠، برقية الى رئيس الجمهورية الفرنسية، بول ديشانيل Paul Deschanel، احتجت بها على اعلان فيصل نفسه ملكاً[١٨٦]، رافضة الاعتراف به، لان المؤتمر الذي بايعه يتألف من اعضاء كلهم من صنعه؛ وشددت ايضاً على ان لبنان الكبير متمسك بمطالبه، واهمها الاستقلال والعون الفرنسي.

وانشىء لاحقاً في القاهرة حزبان جديدان: «الحزب الوطني» برئاسة يوسف البستاني، وحزب «لبنان الفتى» برئاسة فريد حبيش.

١٤ - الجمعية السورية-الأميركية Syrian-American Society

أسست في مدينة لوس انجلوس من ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة. جعلت مركزها في لودج روم ٦٤٢. ١/ ٢ ن. شارع مين (LODGE ROOM 642 1/2 N. MAIN ST.).

تولى رئاستها السيد فارس وأمانة سرها نعوم نهرا.

في التاسع من كانون اول ١٩١٨، عقدت جمعية عمومية قررت فيها: توجيه عميق شكرها وامتنانها الى المنتصرين على الأتراك؛ المطالبة باستقلال لبنان تحت الحماية الفرنسية؛ لفت انتباه الحلفاء الى ضرورة توسيع حدوده الى ما كانت عليه سنة ١٨٤٨، بإعادة المدن والمرافئ التي سلبه إياها الأتراك. وعليه بعثت الجمعية بنسخ عن قرارها الى مؤتمر الصلح والحكومة الفرنسية وحاكم سوريا العام[١٨٧].

هوامش الفصل الثالث

١. ابرز الشيخ بشاره الخوري هذا الحدث كالآتي: «من المفروض ان لا يتأثر لبنان بالانقلاب المشار اليه (انقلاب حزب الاتحاد والترقي على السلطان عبد الحميد)، لانه بلد يتمتع بنظام دولي خاص لا يمسه الدستور العثماني الجديد. هذه هي الحقيقة النظرية ولكن الواقع جاء يخالفها، اذ انتهز بعض اللبنانيين الفرصة السانحة ليجعلوا من الحدث الدستوري العثماني اداة لتحقيق رغباتهم السياسية او الحزبية، حتى ان بعض هؤلاء فكروا بوجوب التخلي عن الامتيازات الخاصة التي يتمتع بها لبنان، والتي تجعل له طابعاً خاصاً فريداً في بابه، ورغبوا في الالتحاق بالدولة العثمانية بدون قيد ولا شرط بعد ان اعلنت على زعمهم مبادئ الحرية والمساواة والاخاء بين جميع العثمانيين، كما هدف هؤلاء المطالبون بالالتحاق الى ترشيح انفسهم لمجلس «المبعوثان» المقبل ...». بشاره الخوري، **حقائق لبنانية**، الجزء الاول، ص.ص. ٥٣-٥٤.

٢. يوسف السودا، **في سبيل الاستقلال**، ص ٢٢.

٣. يوسف السودا، المرجع ذاته ص ٢٣.

٤. يوسف السودا، المرجع ذاته ص ٢٢؛ بشاره الخوري، **حقائق لبنانية الجزء الاول**، ص.ص ٥٣-, ٥٥

٥. بشاره الخوري، المرجع ذاته، ص ٥٤.

٦. بشاره الخوري، المرجع ذاته، ص ٥٩.

٧. يوسف السودا، المرجع ذاته، ص ٢٣.

٨. يوسف السودا، المرجع ذاته، ص ٢٤.

٩. يوسف السودا، المرجع ذاته، ص ٢٥؛ فؤاد عمون، الاتحاد اللبناني، في **دائرة المعارف**، الجزء السادس، ص ٢٠٠, تعتبر هذه الأفكار، الركيزة الأساسية التي قام عليها برنامج الجمعية.

١٠. فؤاد عمون، المرجع ذاته، ص ٢٠٠.

١١. يوسف السودا، المرجع ذاته، ص ٢٥؛ فؤاد عمون، المرجع ذاته، ص ٢٠٠.

١٢. يوسف السودا، المرجع ذاته، ص ٢٥؛ فؤاد عمون، المرجع ذاته، ص ٢٠٠.

١٣. اورد فؤاد عمون ان الاتحاد اسس في ٢١ تشرين الثاني ١٩٠٩.

١٤. يوسف السودا، المرجع ذاته، ص ٢٥.

١٥. فؤاد عمون، المرجع ذاته، ص ٢٠٠. تجدر الاشارة هنا، الى ان اسكندر عمون اضطر الى الاستقالة لما بدأ يتأثر بالدعاية العربية التي اطلقها الحسين بن علي ملك الحجاز، والذي اخذ يفكر بإقامة مملكة عربية يتولى عرشها. وبرز تبدل موقف عمون جلياً، عندما التحق بالأمير فيصل ابن الملك الحسين، الذي استقرّ في دمشق، بعد جلاء الاتراك، بغية التربع على عرش سوريا الكبرى. فكان رئيس الاتحاد سابقاً، من أقرب معاوني الامير العربي، مما اوصله الى تولّي وزارة العدلية، في احدى حكومات دمشق. واهتمت السلطات الفرنسية بالظاهرة «االعمونية» هذه، مما دفعها الى محاولة تحليل مواقفها السياسية، بما ورد في احد التقارير التي ارسلت الى وزارة الخارجية الفرنسية: «يبدو ان مواقف اسكندر عمون، في ميدان السياسة القومية اللبنانية، كانت متقلبة، لا بل متناقضة. ان ترؤسه الاتحاد اللبناني، يعني اقتناعه بالمبدأ الرئيسي لهذا الحزب، وهو المحافظة على الوجود اللبناني وتطويره. لكن مواقفه اللاحقة تدل على ان قناعته السياسية لم تثبت في هذا المجال،

فتحولت الى موقف مناقض لما قبله، بدليل انه روّج لتخلي لبنان عن امتيازاته الاستقلالية، في مناسبتين: اولاً عندما دعا الى ضمّه الى الامبراطورية العثمانية (طبعاً بعد انقلاب حزب الاتحاد والترقي، على عبد الحميد، وتبنّيه سياسة التتريك)؛ وثانياً عندما اقتنع بفكرة ضمّه الى فرنسا، فبث الدعوة لها. ويعزو بعض معاصري هذه الفترة تناقض مواقف اسكندر عمون الى حرصه على تأمين مصلحته الشخصية من خلال كل ذلك، مما جعله يقتنع تقريباً بكل صيغة تطرح لحل قضية بلاده، اذا كانت تخدم هذه المصلحة، دون الالتفات الى المصلحة القومية اللبنانية. ففي رأي هؤلاء العارفين ان اسكندر عمون قبل بالصيغتين، التركية والفرنسية، لحل مسألة الوجود اللبناني، لانهما تيسّران له الحصول على مقعد سواءً في مجلس المبعوثان، او في مجلس النواب الفرنسي. ومما يعزز هذا الاعتقاد موقف عمون في اواخر الحرب، من الشريف حسين، ملك الحجاز. فقد قبل ان يكون سفيره في لندن، رغم طموحات الملك العربي، التي كانت ترمي الى انشاء مملكة عربية كبرى، تشمل لبنان، فيقضى على امتيازاته الاستقلالية. ويبدو ان سفارة لندن العربية هي اهم، في نظر اسكندر عمون، من رئاسة الاتحاد اللبناني. وازاء هذا الموقف «العموني» الجديد، كان على اركان الاتحاد اللبناني ان يقوموا بردة فعل مناسبة، فدفعوا رئيسهم الى الاستقالة».

A.M.A.E / E- Levant... dos 1, F. 12-14 ويوسف السودا، المرجع ذاته ص. ص ٨٨-٩١.

١٦. يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ص ٢٥-٢٦؛ فؤاد عمون، المرجع ذاته، ص ٢٠٠.

١٧. يوسف السودا، المرجع ذاته، ص ٢٦.

١٨. اورد تقرير فرنسي ما يلي: «عندما قرّرت هذه الجمعية ارسال مندوب عنها الى اوروبا، لعرض وجهة نظرها، حيال استقلال لبنان، لم يكن لديها المال لتأمين نفقات سفره، فراحت تفتش عن وسيلة تؤمن بواسطتها هذه النفقات. وفي اواخر سنة ١٩١٨، لم يكن في صندوق فرع المنصورة سوى ١٤٠ ليرة مصرية. وعندما أبرق فرع القاهرة الى رؤساء دول الحلفاء، مهنئاً بالنصر، استعان بجيوب بعض أعضائه لتأمين نفقات هذه البرقيات.

A.M.A.E. / E - Levant... Dos 7, F 144.

١٩. A.M.A.E. / E - *Levant*... Dos 9, F. 123-125

٢٠. يوسف السودا، المرجع ذاته، ص ٢٦؛ فؤاد عمون، المرجع ذاته، ص ٢٠٠-٢٠١.

٢١. يوسف السودا، المرجع ذاته، ص ٥٠.

٢٢. **دائرة المعارف**، الجزء السادس، ص ٢٠١.

٢٣. **دائرة المعارف**، الجزء السادس، ص. ص ٢٠٠-٢٠١.

٢٤. يوسف السودا، المرجع ذاته، ص ٥٠؛ فؤاد عمون، المرجع ذاته، ص ٢٠٠.

٢٥. كان انتخاب أعضاء مجلس الإدارة محصوراً بشيوخ الصلح. وبعد إجراء الإصلاح اضيف الى شيوخ الصلح المندوبون، الذين كانوا بنسبة مندوب واحد لكل مئة مكلف.

٢٦. فؤاد عمون، المرجع ذاته، ص ٢٠٠.

٢٧. يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ص ٧٩-٨٢.

٢٨. يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ص ٨٣-٨٤.

٢٩. يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ص ٨٥-٨٦.

٣٠. يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ص٨٥-٨٦. ان هذا التعليل عائد للاستاذ السودا.

٣١. يوسف السودا، المرجع ذاته، ص ٨٥.

٣٢. فؤاد عمون، المرجع ذاته، ص٢٠٠. احدثت المذكرة صدى قوياً، نال تأييد معظم الدول

الست.

٣٣. انظر احزاب القومية السورية.

٣٤. يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ص ١١٦-١١٧، حضر الاجتماع: اوغست باشا اديب، انطون الجميل، جبرائيل تقلا، داود بركات ويوسف السودا، اضافة الى داود عمون الذي لم يكن من اعضاء الجمعية.

٣٥. يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ص ١٢٠-١٢١.

٣٦. نشرها في هذه الصحيفة الهامة، خيرالله خيرالله، اللبناني، ابن بلدة جران من بلاد البترون، وكان محرراً لامعاً فيها، وعضواً بارزاً في «اللجنة اللبنانية» بباريس.

٣٧. يوسف السودا، المرجع ذاته، ص ١٢٨.

٣٨. يوسف السودا، المرجع ذاته، ص ١٣٠.

٣٩. كانت السلطات الفرنسية تعتقد ان الوسيلة الفضلى التي تمكنها من بسط نفوذها في الشرق هي انشاء سوريا الكبرى، فسارت في هذا السبيل. لكن اللبنانيين قاوموا هذا المفهوم، فلم يتحقق. راجع كتاب المؤلف:

"L'Opinion publique libanaise et la Question du Liban., p.p. 269-274".

٤٠. يوسف السودا، المرجع ذاته، ص ١٠٦.

٤١. يوسف السودا، المرجع ذاته، ص ١٠٦.

٤٢. رئيس الاتحاد في الإسكندرية.

٤٣. **الاهرام** عدد ١٧/ ١٢/ ١٩١٧.

٤٤. يوسف السودا، المرجع ذاته، ص ١٢٤.

٤٥. للبرهنة على فكرته، اورد عباس المصفي ما يلي: «قال لويس الرابع عشر لوزيره كولبير: كيف اكون ملك فرنسا ولا استطيع ان افتح بلاداً صغيرة كهولندا. فقال له الوزير: لان عظمة الامة، يا مولاي، لا تتوقف على اتساع ارضها بل على اخلاق بنيها. الهولندي حي، مجتهد، مقتصد، لذلك تجد إخضاعه عسيراً». راجع: يوسف السودا، **في سبيل الاستقلال**، ص ١٢٥-١٢٦؛ وجريدة **البصير**، عدد ٥/ ٣/ ١٩١٨.

٤٦. يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ص. ١٣٥-١٣٦.

٤٧. سبق للبنان ان حصل على «الضمانة الدولية» بإنشاء نظام المتصرفية (١٨٦١-١٨٦٤) الذي اقرّ استقلال لبنان الذاتي بضمانة الدول الكبرى التي ابرمته بموجب بروتوكول خاص، وهي: فرنسا، بريطانيا، النمسا، روسيا، بروسيا، وإيطاليا التي انضمت اليها بعد توحدها، اضافة الى الدولة العثمانية طبعاً. راجع بهذا الشأن: اسد رستم، **لبنان في عهد المتصرفية** و Antoine A. Khair, *Le Moutaçarrifat du Mont-Liban.*

٤٨. مما لا شك فيه ان تمسك الاتحاد اللبناني بالضمانة الدولية للبنان تعود الى المخاطر التي كانت - ولا تزال - تحيط بالكيان اللبناني المستقلّ، لعدم قدرته على ردّ التعديات عنه، بسبب ضآلة امكانياته العسكرية بالدرجة الاولى، لا سيما وان هذه الضمانة قد فعلت فعلها لصالح لبنان، خلال عهد المتصرفية.

٤٩. يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ص. ١٣٧-١٣٩.

٥٠. يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ١٣٧.

٥١. يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ١٠٦.

٥٢ . تجدر الاشارة الى ان عباس المصفي هو من ابناء الطائفة الدرزية .

٥٣ . A.M.A.E / E-*Levant*... Dos 1, F. 181-182.

٥٤ . يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ص. ٨٨-٩١ .

٥٥ . يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ص ٩٣-٩٤ .

٥٦ . يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ص ٩٧-٩٨ .

٥٧ . يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ٩٨ .

٥٨ . يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ص ٨٨-٩١ .

٥٩ . يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ص ٨٧-٩١ .

٦٠ . يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ص ١٤١-١٤٢ .

٦١ . يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ١٤٣ .

٦٢ . بلدة فرنسية، تقع شرقي مدينة كومبيين Compiègne، في مقاطعة الواز Oise، من شمال فرنسا. قرب هذه البلدة، وفي فرجة (clairière) من غابة المنطقة، جرى التوقيع على الهدنة داخل مقصورة حديدية، (مكتب فوش) في تمام الساعة الخامسة والربع، من صباح ١١/١١/١٩١٨ . ترأس وفد الحلفاء، المارشال الفرنسي فوش Foch، ووفد المانيا، السياسي ماتياس انزبرجر Matthias Enzberger.

٦٣ . مدينة في جزيرة لمنوس Lemnos اليونانية، الواقعة في بحر إيجه.

٦٤ . صدق القرار بإجماع اصوات أعضاء المجلس وهم: سعدالله الحويك، خليل عقل، سليمان كنعان، محمود جنبلاط، فؤاد عبد الملك، الياس الشويري، محمد محسن، داود عمون، يوسف البريدي، نقولا غصن، محمد صبرا الأعور، اضافة الى رئيسه. حبيب السعد.

٦٥ . تألف الوفد على الوجه التالي: داود عمون (رئيس الوفد) واميل اده، عن الموارنة، عبدالله الخوري سعاده عن الروم الأرثوذكس؛ محمود جنبلاط عن الدروز (وقد ابدل بنجيب عبد الملك لانه اعتذر عن قبول المهمة)، ابراهيم ابو خاطر (وقد تخلف) عن الروم الكاثوليك؛ عبد الحليم الحجار عن السنة، وتامر حماده (تخلف) عن الشيعة.

٦٦ . ارتأى الحلفاء المنتصرون السعي الى حلّ مشاكل ما بعد الحرب، في اطار ما عرف دبلوماسياً «بمؤتمر الصلح». نُظم هذا المؤتمر الدولي انطلاقاً من مبادئ الرئيس ولسون، ومن اعتماد بعض الأسس الموجّهة من سياسية ومالية واقتصادية، واستناداً الى انشاء عصبة الامم. رأسه جورج كليمنصو، وعمل في اطار لجان متخصصة. اما القرارات فكانت تتم على يد ممثلي الخمسة الكبار، وهم: فرنسا، بريطانيا، إيطاليا، الولايات المتحدة واليابان. افتتحت اعماله في ١٨ كانون الثاني ١٩١٩ في وزارة الخارجية الفرنسية صالون الساعة Salon de l'Horloge.

٦٧ . يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ص ١٦٦-١٦٨ .

٦٨ . اوردت الرسالة ان اشخاصاً راحوا يستغلون وضع اللبنانيين السيئ، مادياً ومعنوياً، فجعلوا ينتزعون تواقيعهم بالموافقة على مبادئ هذه السياسة.

٦٩ . نذكّر بأن نظام المتصرفية قضى بان تكون لمجلس الإدارة صلاحيات مالية وإدارية: «مجلس الإدارة هذا يكون مأموراً بتوزيع التكاليف والبحث في إدارة واردات الجبل ومصاريفه وبيان آرائه بوجه المشورة فيما يعرضه عليه المتصرف من المسائل». المادة الثانية من نظام ١٨٦٤ راجع: اسد رستم، **لبنان في عهد المتصرفية**، الصفحتين ٣٥-٥٧.

٧٠ . يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ص ١٦٥-١٦٩ .

٧١ . يوسف الحكيم، **سوريا والعهد الفيصلي**، ص. ص ١٣٥-١٤٣ .

٧٢ . يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ص ٢٤١-٢٤٢ .

٧٣ . هم: سعدالله الحويك، خليل عقل، سليمان كنعان، محمود جنبلاط، فؤاد عبد الملك، الياس الشويري، محمد محسن. اوقفوا وحوكموا لانهم اصدروا قراراً طالبوا فيه باستقلال لبنان التام، واسقطوا ذكر مساعدة فرنسا له؛ ولانهم كانوا، على ما يبدو، على اتصال بأعوان فيصل في دمشق. وقد قصدوا هذه الحاضرة الشامية ليسهل عليهم ايصال مطالبهم الى مؤتمر الصلح.

٧٤ . يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ص ٢٨٣-٢٨٤؛ بشاره الخوري، **حقائق لبنانية**، الجزء الاول، ص. ص. ١٠٥-١٠٧، المؤلف **قضية لبنان اصول تاريخية**، ... الجزء الاول، ص. ص ٣٥١-٤٨٤ .

٧٥ . يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ٢٤٣ .

٧٦ . يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ص ٣١٢-٣١٣ .

٧٧ . انظر الكتاب المذكور.

٧٨ . يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ص ١٨٧ .

٧٩ . يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ص ٣٦٥-٣٦٦ .

٨٠ . يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ص ٢٥٧-٢٥٨ .

٨١ . انظر الكتاب المذكور.

٨٢ . يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ص ١٥٠-١٥١ .

٨٣ . فؤاد عمون، المرجع ذاته، ص. ص ٢٠٠-٢٠١ .

٨٤ . A.M.A.E. / E-*Levant*.. Dos 1, F. 252 + Verso

٨٥ . A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 7, F. 160.

٨٦ . لمزيد من التفاصيل حول المنافسة بين الدولتين، راجع كتاب المؤلف، الصادر في منشورات الجامعة اللبنانية، بعنوان:

L'Opinion publique libanaise et la Question du Liban (1918-1920), pp. 221-228.

٨٧ . A.M.A.E. / E-*Levant*, Dos 7 F. 144.

٨٨ . A.M.A.E. / E-*Levant*, Dos 7, F. 160.

٨٩ . A.M.A.E. / E-*Levant*, Dos 7, F. 160.

٩٠ . A.M.A.E. / E-*Levant*, Dos 30, F. 111.

٩١ . تكونت المنطقة الشرقية من ولايتي دمشق وحلب، واسندت إدارتها الى الأمير فيصل بن الحسين.

٩٢ . تألفت من العراق وفلسطين ووضعت تحت نفوذ بريطانيا.

٩٣ . Accord de la relève.

٩٤ . كانت الجيوش البريطانية في بداية الاحتلال موجودة في المناطق الثلاث: الغربية، الشرقية والجنوبية.

٩٥ . جورج كرم، **قضية لبنان**، المجلد الاول. ص ص. ١٣-١٦ .

٩٦ . يوسف السودا، المرجع ذاته، ص ٢٨٧.

٩٧ . لم نقع على مستند يفصّل برنامج هذه الجمعية. من المرجح ان يكون برنامج الاتحاد اللبناني، في مصر.

٩٨ . A.M.A.E. / E-*Levant*, Dos 24, F. 164.

٩٩ . فؤاد عمون، المرجع ذاته، ص ٢٠١ .

١٠٠ . A.M.A.E. / E-*Levant*, Dos 13, F. 116

١٠١ . يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ص ٩٧-٩٩ .

١٠٢ . بدري المعوشي، مقال مخطوط عن «جمعية ارزة لبنان» .

١٠٣ . اخذت المعارضة تتكون عندما بادر المتصرف الى عزل الموظفين وابدالهم بغيرهم، والى فرض رسوم جديدة. فما كان من الناقمين الا ان تحزبوا ليعارضوه، مهيجين الرأي العام عليه، بأحاديثم وكتاباتهم الصحفية، والنشرات التي كانوا يوزعونها، اضافة الى التشكي منه امام القناصل. وفي مطلع سنة ١٩٠٨ انتقلت المعارضة من طور القول الى طور العمل، فحركت مظاهرة في غزير خطب فيها سليم بك عمون قائمقام كسروان، وبلغ حماس المتظاهرين حد المناداة بعمون اميراً «فأجلس على دكة بمثابة عرش ملكي وتلوا بين يديه الخطب والقصائد والازجال النارية». وادت هذه الانتفاضة الى عزل قائمقام كسروان وسجن الكثيرين من المتظاهرين.

وبلغت معارضة اللبنانيين لسياسة يوسف فرنكو باشا ذروتها، بعيد انقلاب حزب الاتحاد والترقي على السلطان عبد الحميد، في ٢٣ تموز ١٩٠٨، وارغامه على اعلان الدستور؛ فرآها زعماء المعارضة فرصة ذهبية استغلوها للحدّ من طغيان المتصرف، فقاموا بحركة رجحت كفتهم، فضعف موقف الحاكم، الامر الذي جعله يرضخ لارادتهم، فعزل الموظفين الذين طلبوا ابعادهم، كما عين سليم بك عمون رئيساً لمجلس الإدارة بدلاً من صديقه الامير قبلان ابي اللمع. وهاكم تفصيل ما جرى:

«في ٢٣ تموز من السنة السابقة الذكر ثارت جمعية الاتحاد والترقي في الآستانة على السلطان عبد الحميد واجبرته على اعلان الدستور والحرية، فهلل الناس في جميع ارجاء المملكة لافلاتهم من ربقة الاستبداد. وكان في مقدمة من هللوا في لبنان الحزب المعارض ليوسف باشا، فتكتل افرادهم وفي مقدمتهم حبيب باشا السعد ونسيب بك جنبلاط والامير مصطفى ارسلان وكنعان بك الضاهر وسليم بك عمون وغيرهم من الشخصيات، وعقدوا الاجتماعات وقرروا الاتصال بالاتحاديين في بيروت للاستعانة بهم على يوسف باشا، وحملهم على الزامه بنشر الدستور في لبنان اسوة بجميع البلدان العثمانية. فتوسم هؤلاء بتلك الحركة خيراً ربما لما جال في فكرهم من ان تحسين علاقاتهم مع اصحاب المقاطعات الممتازة كلبنان قد يؤدي يوماً الى جعل المملكة قطعة واحدة غير مفككة الاوصال فأشاروا الى سعد الدين بك قائد فرقة العسكر النظامي (الدراكون) المقيمة في بتدين بوجوب مساعدتهم فيما اذا طلبوا من المتصرف اعلان الدستور وحلف اليمين على احترامه، فان ابى امكنه اسقاطه على شرط الاحتراز من احداث أي خلل قد يؤدي الى تدخل الدول الحامية لنظام لبنان.

وفي يوم السبت ٣١ آب انهال وفد المعارضين على بتدين من كل جهة ترافقه جماهير غفيرة وقابل كباره المتصرف وطالبوه باعلان الدستور الا في ما يمس نظام لبنان وامتيازاته. فتلقاهم بوجه مكفهر واجابهم: ومن وكلكم في ذلك؟ ونهض مغضباً يريد الدخول الى غرفته فسدوا عليه الطريق وامسكه الامير شكيب بذيل سترته وجذبه الى الوراء فانتفض لتلك الاهانة وتملص من يده ومضى. عندئذ استعانوا عليه بقائد العسكر النظامي (الدراكون) سعد الدين بك فبادر الى اجابتهم وجاء معهم الى حيث المتصرف واضطره باسم الجمعية التي كان يحيطها الجميع بالتقديس الى الانصياع لارادتهم. ولكنهم ابوا التحدث اليه قبل ان يعتذر عن تصرفه معهم. فاعتذر بالتركية. وزيادة في اعناته ابوا الا ان يعتذر تكراراً بالعربية ففعل. وكان الليل قد ارخى سدوله فأجلوا الاجتماع الى اليوم

التالي اول ايلول. وكان ذلك اليوم من الايام المشهورة في بتدين بمن حضره الى جانب الوفد من جماهير بلغ عددها بضعة آلاف. وأجاب المتصرف الوفد الى كل ما اراد فأقسم يمين الامانة للدستور في ما لا يمس امتيازات لبنان، وعزل كل من طلبوا عزله. وكان اسم المعزول يعلن على المجموع من على شرفة القصر فتقابله بضجيج السخط مرددة عبارة «فليسقط». وعاد الوفد ظهيرة النهار ومن معه في بتدين ينشدون اهازيج النصر على يوسف باشا».

لحد خاطر، **عهد المتصرفين في لبنان**، ص. ص. ١٧٨-١٧٩، راجع بهذا الشأن ايضاً: بشاره خليل الخوري، **حقائق لبنانية**، الجزء الاول، ص. ص. ٥٣-٥٩.

١٠٤ . بدري المعوش، المرجع ذاته؛ لحد خاطر، المرجع ذاته، ص ١٨٠؛ رشيد نخله، **كتاب المنفى** ص. ٢٣٤.

١٠٥ . لحد خاطر، المرجع ذاته، ص. ١٨٦؛ بدري المعوشي، المرجع ذاته.

١٠٦ . بدري المعوشي، المرجع ذاته.

١٠٧ . لحد خاطر، المرجع ذاته ص. ص. ١٨٦-١٨٧.

١٠٨ . رشيد نخله المرجع ذاته، ص. ١٠١. ويوجز المؤلف في حاشية الصفحة نفسها وفي تاليتها هذه الأماني، بقوله:

«كانت المطاليب اللبنانية ملخصة، يومئذ، في ما يأتي:

- انتخاب مجلس الادارة الكبير بواسطة الشعب.
- توسيع سلطة المجلس في مراقبة اعمال المتصرف.
- استقلال القضاة في وظائفهم.
- فتح المرافئ
- اعتبار اللبناني لبنانياً، لا تركياً، حيثما وجد، (ان حكومة الولايات المتحدة، في زمن الحرب العظمى، عدت اللبناني [ممتازاً] واكتفت بان يكتب في تذكرة الجنسية: [لبناني تدعي تركيا انه من رعاياها]، لتكون هذه العبارة شهادة. بجنسيته [الممتازة] من الوجهة الدولية - راجع الصفحة ٤ من [التقرير الثاني من اعمال جمعية الاتحاد اللبناني في مصر، من نوفمبر ١٩١٣ الى ديسمبر سنة ١٩١٧]، المطبوع سنة ١٩١٧.
- تصحيح حدود الجبل.
- انتخاب حاكم وطني ليرأس المجلس.
- تحديد اموال الجبل.
- اجبار حاكم لبنان على الاقامة به مدة توليه الحاكمية - أي عدم اقامته ببيروت - ... (نعم! هذا كان مطلباً، بل انه كان مطلباً خطيراً، بعيد الغاية)».

١٠٩ . مقال الاستاذ بدري المعوشي.

١١٠ . Nagib Dahdah, ***L'Evolution Historique du Liban***, p.p. 324-325

١١١ . مذكرة «جمعية ارزة لبنان»، الى قناصل الدول، ص. ٥.

١١٢ . بدري المعوشي، المرجع ذاته.

١١٣ . بدري المعوشي، المرجع ذاته.

١١٤ . مذكرة «جمعية ارزة لبنان»، ص. ص. ٥-٦.

١١٥ . اسد رستم، **لبنان في عهد المتصرفية**، ص. ص. ٣٨-٣٩.

١١٦ . مذكرة جمعية ارزة لبنان، ص. ٦.

١١٧ . انشئت الضابطة بموجب المادة الخامسة عشرة من النظام الاساسي من نظام ١٩٦١ ، والمادة الرابعة عشرة من نظام ١٩٦٤ . وقضت بان تؤلف على اساس سبعة انفار لكل الف نسمة ، مما جعل عددها ثمان مئة وتسعين عنصراً تألفوا على الوجه التالي : ٧٤٠ نفراً ، ١٥٠ رقيباً وضابطاً ، وزعوا على ثلاثة اطر : ٦٣٥ مشاة ، ٧٥ فارساً ، ٣٠ موسيقياً . راجع اسد رستم ، المرجع ذاته ، ص . ٣٨-٤٤-٤٥ ، لحد خاطر المرجع ذاته ، ص ٢٠ .

١١٨ . الجندرمة اللبنانية .

١١٩ . مذكرة «جمعية ارزة لبنان» ، ص . ٧ .

١٢٠ . مذكرة «جمعية ارزة لبنان» ، ص . ص . ٧-٨ .

١٢١ . مذكرة «جمعية ارزة لبنان» ص . ٨ .

١٢٢ . اسد رستم ، المرجع ذاته ، ص . ص . ٣٨-٣٩ .

١٢٣ . مذكرة الجمعية ، بدري المعوشي المصدر ذاته .

١٢٤ . لحد خاطر ، المرجع ذاته ، ص ١٨٧ ، مقال الاستاذ بدري المعوشي .

١٢٥ . يوسف الحكيم ، **بيروت ولبنان في عهد بني عثمان** ، ص . ص . ٢٤-٢٥ ؛ لحد خاطر ، المرجع ذاته ، ص . ١٨٧ ، بشاره خليل الخوري ، **حقائق لبنانية** ، ص ٦٩ .

١٢٦ . لحد خاطر ، المرجع ذاته ، ص . ١٩٠ .

١٢٧ . يوسف الحكيم ، **بيروت ولبنان في عهد بني عثمان** ، ص . ص . ٢٤-٢٥ .
Nagib Dahdah, op.cit, p.p. 327-329.
راجع ايضاً ، بشاره خليل الخوري ، المرجع ذاته ، ص . ٦٩ ، لحد خاطر ، المرجع ذاته ، ص . ١٩١ .

١٢٨ . اورد بشاره خليل الخوري ، ولحد خاطر ، في كتابيهما المذكورين اعلاه ان بروتوكول تعيين اوهانس باشا وافق على انشاء مرفأي جونيه والنبي يونس ، لكن نص البروتوكول ، المنشور في كتاب نجيب الدحداح ، المذكور اعلاه ، ص . ٣٢٧ ، وفي كتاب يوسف الحكيم المذكور اعلاه ايضاً ، ص . ص . ٢٤-٢٥ ، لم يأتيا على ذكر هذا الامر .

١٢٩ . تجدر الاشارة هنا الى ان سجلات الجمعية ومحاضرها قد اتلفت عند نشوب الحرب العالمية الاولى ، كي لا تقع في أيدي الأتراك ، فيتخذونها مستنداً لمحاكمة اعضائها امام المجلس العرفي .

ملاحظة : من المفيد ايضاً مراجعة مقال الاستاذ بدري المعوشي المنشور في العدد الاول من مجلة «الفصول» ، وموضوعه : «جمعية ارزة لبنان» .

١٣٠ . K.T.Khairallah, *Les Régions arabes libérées*, p. 65; A.M.A.E. / *E-Levant*... Dos 12, F. 288.

١٣١ . صحافي لبناني . كان يقيم في الولايات المتحدة . عاد الى لبنان لينشئ جريدة «اللواء» .

١٣٢ . K.T.Khairallah, op.cit. p. 656 A.M.A.E / *E-Levant*... Dos 12, F. 287,288.
كانت هذه الجمعية ، على ما يبدو ، اثناء الحرب ، وبعدها ، على تعاون وثيق مع وزارة الخارجية الفرنسية ، فعرفت في الأوساط الفرنسية ، باسم : "Ligue de la Renaissance Libanaise"

١٣٣ . راجع ايضاً : جريدة «الهدى» ، عدد ٦ شباط ١٩١٩ ، A.M.A.E. / *E-Levant*... Dos. 14, F. 15.

١٣٤ . نشرت هذه المبادئ في جريدة «الطان» الباريسية ، عدد ٢٢ حزيران ١٩١٥ ، على يد

خيرالله خيرالله ، الذي كان من محرريها . راجع : K.T.Khairallah, op. cit. p. 72.

١٣٥ . A.M.A.E / *E-Levant*... Dos 12, F. 288-290 et Dos 14, F. 15,16

١٣٦ . يوسف السودا ، المرجع ذاته ، ص ٨٠ ؛ Nagib Dahdah, op. cit., p. 228.

١٣٧ . A.M.A.E. / *E-Levant*... Dos 14, F. 100

١٣٨ . كان الاثنان عضوين في الجمعية اللبنانية في باريس ، والتي سعت الى ابعاد الرعاية الفرنسية ، المنفردة عن لبنان .

١٣٩ . A.M.A.E. / *E-Levant*... Dos 13, F. 113, 114

١٤٠ . كان يحرر في جريدة «الطان» الباريسية ، من مواليد قرية جران (بلاد البترون) .

١٤١ . K.T. Khairallah, op. cit., p. 65

١٤٢ . Jean Pichon, "Les Origines Orientales de la Guerre Mondiale", p. 90

١٤٣ . K.T. Khairallah, op.cit., p. 65

١٤٤ . K.T. Khairallah, op.cit., p. 65

١٤٥ . A.M.A.E./ *E-Levant*.. Dos 9, F. 123-125
نشير هنا الى ان اعادة تأسيس الجمعية قد كرس في الجريدة الرسمية للجمهورية الفرنسية ، فنشر السماح بتأسيسها في الصفحة ٥٨٤ ، من عددها الصادر بتاريخ ١٥ كانون الثاني ١٩١٩ ، مع ملخص لبرنامجها السياسي . - راجع بهذا الشأن :
K.H.T. Khairallah, *Les Régions arabes libérées*, op.cit., p. 71.

١٤٦ . النحات الشهير ، وابن سعدالله الحويك ، شقيق البطريرك الياس الحويك .

١٤٧ . لم يذكر اسمه واكتفي بذكر شهرته .

١٤٨ . عمانوئيل فارس ، النائب البطريركي الماروني .

١٤٩ . A.M.A.E. / *E-Levant*... Dos 9, F. 132, 133

١٥٠ . A.M.A.E. / *E-Levant*... Dos 9, F. 132, 133

١٥١ . A.M.A.E. / *E-Levant*... Dos 9, F. 148

١٥٢ . K.T.Khairallah, op. cit., p. 71, A.M.A.E/ *E-Levant*... Dos 9, F. 123-125.

١٥٣ . كان شكري غانم ، لبناني الأصل ، ومن بلدة بسكنتا على الارجح ، لا سورياً ، كما زعمت الجمعية .

١٥٤ . في ١٣ شباط ١٩١٩ جرى بحث بشأن سوريا في مكتب وزير خارجية فرنسا ، في الكي دورسه ، استدعي اليه هوارد بلس Bliss ، رئيس الكلية الانجيلية في بيروت (الجامعة الاميركية اليوم) بناءاً على دعوة ، وجهتها اليه وزارة الخارجية الاميركية ، لخبرته بشؤون سوريا ولبنان ، وللاهتمام الذي ابداه حيال البلدين . فقرأ بياناً اقترح فيه ارسال لجنة حيادية الى لبنان وسوريا تستطلع وجهة نظر الاهلين بالنسبة لشكل الحكم الذي يرغبون فيه ، وبالنسبة للدولة الحامية او المنتدبة اذا شاؤوا ذلك .

١٥٥ . A.M.A.E. / *E-Levant*... Dos 9, F. 229.

١٥٦ . A.M.A.E / E- *Levant*... Dos 9, F. 228

١٥٧ . الوفد الاول ، الذي ذكر آنفاً ، وترأسه داود عمون .

١٥٨ . A.M.A.E. / *E-Levant* Dos 8 F. 187-188.

١٥٩ . A.M.A.E. / *E-Levant* Dos 8 F. 132-133.

١٦٠ . A.M.A.E. / *E-Levant* Dos 9 F. 132-133.

١٦١ . نورد هنا النص الفرنسي، كما ورد في المدونة، مع ما تبعه، لانه يعبر بوضوح، عن مدى انزعاج وزارة الخارجية من نشاطات خيرالله.

"Serons-nous soutenus pour sévir contre ce fillinulaire? La question me parait devoir, dès à present, retenir notre attention, car il est essentiel de déterminer jusqu'où nous sommes décidés à aller pour montrer à ce Syrien que notre patience a des bornes. Il est évident que si celui-ci, se trouvant en Angleterre, il aurait poursuivi une politique contraire aux intérêts et à la cause anglaise à l'étranger, il aurait été interné ou expulsé sans égard; mais nous ne sommes pas en Angleterre".

A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 8 F. 187-188.

١٦٢ . ندرج هنا لائحة بأسماء اعضاء الجمعية وعناوينهم، كما اوردها كتاب وزارة الداخلية: ميجيل ابو حمد: ٤٠ شارع كوندورسه Condorcet؛ فرح فرح: ٨٣ شارع لا فاييت La Fayette؛ المونسينيور فارس: ٩٢، شارع دنفير-روشيرو Denfert-Rochereau؛ نسيب نجيم: ٢ ساحة غامبيتا Gambetta؛ جوزف فرح: ٨٣ شارع لا فاييت La Fayette؛ عباس بجاني: ١٣ شارع شابرول Chab-rol؛ الدكتور قيصر بسيم: ١٥ شارع الكوليزه Colisée؛ حبيب زغبي: ٨٥ شارع لا فاييت La Fay-ette؛ هيكل هيكل: ٢٤ شارع كوندورسه Condorcet؛ الياس منسى: ١١ شارع سان دوني Saint-Denis؛ انطوان زوين: ٨٣ فوبور سان دوني Faubourg Saint-Denis؛ فارس حنا: باساج دي بوتيت ايكوري Passage des Petites Ecuries؛ الدكتور الياس عاد: ٢٠ ساحة ايطاليا، Place d'Italie؛ سعد نجيم: ٦ شارع سوربيه Sorbier؛ خيرالله خيرالله: ٩ شارع الغراند شامبير Grande Chamière؛ يوسف سعدالله الحويك: ٩ شارع فروادوفو Froideveaux؛ السيد قزي: ٤٧ بولفار فولتير Vol-taire.

١٦٣ . في تلك الفترة، كان شكري غانم رئيس الجمعية المركزية السورية، التي كانت وراء تأسيسها، وزارة الخارجية الفرنسية.

١٦٤ . هو الوفد الاول، الذي رأسه داود عمون.

١٦٥ . A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 8, F. 188, 189, et Dos 9, F. 295-296.

١٦٦ . A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 9, F. 148.

١٦٧ . A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 1, F. 56.

١٦٨ . بشاره خليل الخوري، **حقائق لبنانية**، الجزء الاول، ص. ٧٠, لم نتمكن من ضبط تاريخ تأسيس «الجمعية»، ولا من معرفة أي شيء عن هيئتها الادارية، لان ما ورد عنها في المصدر المذكور اعلاه، وهو الاصل الوحيد الذي أمكننا الحصول عليه، لم يورد عنها اكثر مما ذكرنا.

١٦٩ . A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 17, F. 198.

١٧٠ . في ٩ كانون الاول ١٩١٨، وافق مجلس ادارة جبل لبنان على قرار نص على انتداب وفد يقصد باريس، ليعرض على مؤتمر الصلح المطالب اللبنانية. مثل الوفد طوائف لبنان الكبرى، وتشكل برئاسة داود عمون وعضوية كل من السادة: اميل اده، عبدالله خوري سعاده، محمود جنبلاط، الذي ابدل بنجيب عبد الملك، عبد الحليم الحجار، تامر حماده، وابراهيم ابو خاطر، اللذين انسحبا من الوفد، اما المطالب، فقد حددت بما يلي:

اولاً: «توسيع نطاق جبل لبنان الى ما كان معروفاً به من التخوم تاريخياً وجغرافياً وما تقتضيه منافعه الاقتصادية بحيث يكون بلاداً قادرة على القيام بحياة شعوبها ومنافعهم وثروتهم وبحكومة راقية

ومنظمة».

ثانياً: «تأييد استقلال هذا البلد اللبناني بإدارة شؤونه الإدارية والقضائية بواسطة رجال من أهله».

ثالثاً: «يكون لهذه البلاد اللبنانية مجلس نيابي مؤلف على مبدأ التمثيل النسبي حفظاً لحقوق الاقلية وينتخب من الشعب ويكون لهذا المجلس حق التشريع ووضع القوانين الملائمة للبلاد وسائر ما للمجالس النيابية في البلدان الديمقراطية».

رابعاً: «مساعدة دولة فرنسا للحصول على التمنيات المقدم ذكرها ومعاونتها الإدارة المحلية في تسهيل نشر العلوم والمعارف وتقدم البلاد ورقيها وازالة اسباب التفرق والخلاف وتطبيق الاعمال على محور العدالة والحرية والمساواة وضمان الدولة المشار اليها للاستقلال المذكور منعاً لكل مساس به».

لمزيد من التفاصيل، راجع كتاب المؤلف: **قضية لبنان اصول تاريخية**، المجلد الاول، ص ٢٦-٩٠، ٣٢٦ و٣١٠-٣٢٦؛ A.M.A.E. / E-*Levant* Dos. 13, F. 415.

١٧١ . من المعروف ان البطريرك الماروني، الياس الحويك، رأس الوفد الثاني الى مؤتمر الصلح، المنعقد في باريس. تألف الوفد، اضافة الى رئيسه، من ثلاثة مطارنة موارنة هم: شكرالله خوري، اغناطيوس مبارك وبطرس فغالي؛ من مطرانين من الروم الكاثوليك، هما كيرللس مغبغب وتيودوثيوس معلوف؛ ومن مدني واحد، هو لاوون الحويك، شقيق البطريرك. سافر الوفد من جونيه، في ١٥ تموز ١٩١٩، ووصل باريس في ٢٢ آب، بعد ان عرج على روما، حيث قابل البابا، وطلب اليه التدخل لمصلحة لبنان. وفي باريس قام الوفد بنشاط بارز، تمثل بمقابلة كبار الرسميين الفرنسيين، بالاحاديث الصحفية، وبتقديم المطالب اللبنانية الى مؤتمر الصلح. تركزت مطالب الوفد على اربعة امور:

اولاً: «المناداة باستقلال لبنان السياسي والاداري بحدوده الجغرافية والتاريخية واعتبار البلاد المغصوبة منه بلاداً لبنانية كما كانت قبل سلخها عنه».

ثانياً: «جعل حكومة لبنان هذه ديمقراطية مؤسسة على الحرية والاخاء والمساواة مع حفظ حقوق الاقلية وحرية الاديان».

ثالثاً: «ان الحكومة اللبنانية والحكومة الفرنساوية المساعدة تتفقان على تقرير العلائق الاقتصادية».

رابعاً: «مباشرة درس وتنظيم القانون الاساسي بطرقه الاصولية».

وفي كانون الاول، من السنة نفسها، عاد الوفد الى لبنان، حاملاً معه وعداً باعطاء لبنان كياناً خاصاً.

لمزيد من التفاصيل بهذا الشأن، راجع كتاب المؤلف: **قضية لبنان، ١٩١٨-١٩٢٠، اصول تاريخية**، المجلد الاول، ص. ص ٩٢-٢٤٨ و٣٢٧-٣٣٨.

١٧٢ . A.M.A.E / E-*Levant*... Dos 17, F. 227.

١٧٣ . الكسندر ميلران Alexandre Millerand، رئيس الحكومة الفرنسية ووزير الخارجية.

١٧٤ . A.A.E. Dos 32, Fol 231.

١٧٥ . صاحب امتياز جريدة «صدى لبنان». من مواليد قرية الكفور (١٨٨٠-١٩٤٨) في فتوح كسروان. دخل مجلس ادارة جبل لبنان مرتين: ١٩١١ و١٩١٣.

١٧٦ . من اعضاء مجلس الادارة. انتخب نائباً عن جبل لبنان سنة ١٩٢٢.

١٧٧ . دكتور في الحقوق، من جامعة باريس.

١٧٨ . A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 15, F. 71-72.

١٧٩ . A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 32, F. 179

١٨٠ . لم نتمكن من ضبط تاريخ انشاء هذه الجمعية، لجهة تحديد الشهر . وقد يكون شهر تموز .

١٨١ . يوسف السودا، المرجع ذاته، ص ص . ٢٦٦-٢٧٠ . قد يكون هذا الفرع اتخذ اسماً آخر له، وهو «الجمعية اللبنانية-السورية» . انظر : يوسف السودا، المرجع ذاته، ص . ٢٦٨ .

١٨٢ . لم نتمكن من ضبط تاريخ انشاء هذه الجمعية لجهة تعيين الشهر . قد يكون شهر تموز .

١٨٣ . يوسف السودا، المرجع ذاته، ص ص . ٩٦- ٢٦٦ .

١٨٤ . يوسف السودا، المرجع ذاته، ص ص . ٢٦٦-٢٦٧ .

١٨٥ . يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ص . ٢٦٧-٢٦٩ .

١٨٦ . في ٦ آذار ١٩٢٠ انعقد المؤتمر السوري في دمشق واعلن استقلال سورية ومبايعة الامير فيصل بن الحسين ملكاً عليها . والمؤتمر السوري هو مجلس سياسي تمثلت فيه المناطق التي سميت آنذاك سوريا . وهذه المناطق هي : دمشق واقضيتها، حلب واقضيتها، محافظة حماه، محافظة حمص، محافظة دير الزور، محافظة حوران، محافظة جبل الدروز، محافظة الكرك (شرقي الاردن) انطاكية، اللاذقية واقضيتها، بيروت واقضيتها، طرابلس، جبل لبنان، فلسطين .

لمزيد من التفاصيل راجع : يوسف الحكيم، **سورية والعهد الفيصلي** .

١٨٧ . A.M.A.E. / E-*Levant*..., vol. 6, F. 23.

لا ندري لماذا اختارت هذه الجمعية سنة ١٨٤٨ منطلقاً للمطالبة بتوسيع حدود لبنان، لا سيما وان حدود لبنان لم تكن متسعة في ذلك التاريخ . كما لا ندري لماذا اتخذت هذه التسمية، عنواناً لها، وهي الجمعية التي سعت الى «المطالبة باستقلال لبنان ...» .

الفصل الرابع

الأحزاب والجمعيات اللبنانية - السورية التوجه

١ – عصبة تحرير سوريا ولبنان

أسست سنة ١٩١٧ في مدينة نيويورك. جُعل مركزها في ٧٢ ساحة ترينتي 72 Trinity place في مبنى ١١٣٠ وايتهول بولدنغ (R. 1130 Whitehall Building). اما رقم هاتفها فكان: ١٢٢٧ وايتهول Whitehall 1227[١].

تولت شؤون هذه العصبة هيئة ادارية، قوامها نخبة لبنانية وسورية لمع نجمها ثقافياً واجتماعياً بين افراد الجاليتين السورية واللبنانية، مما ساعد برنامجها السياسي على الانتشار بسرعة بينهم.

تألفت هيئتها الإدارية من: الدكتور ايوب تابت رئيساً، امين الريحاني نائباً للرئيس، ن. تادرس اميناً للصندوق، جبران خليل جبران سكرتيراً للتحرير باللغة الإنكليزية، ميخائيل نعيمة سكرتيراً للتحرير باللغة العربية. اما سائر الأعضاء المؤسسين فكانوا: ج. م. خوري رئيس تحرير صحيفة «الشعب»، س. بخاش رئيس تحرير صحيفة «الفتاة»، ندره أ. حداد رئيس تحرير مجلة «السائح»، نسيب عريضه رئيس تحرير مجلة «الفنون»[٢].

وفي آذار ١٩٢٠ طرأ تعديل على هيئتها الإدارية وانضم اعضاء جدد اليها. حل في رئاستها م. ل. جريديني مكان الدكتور ايوب تابت الذي اسندت اليه رئاستها الفخرية. وحلّ في نيابة رئاستها ندره أ. حداد مكان امين الريحاني. اما الأعضاء الجدد الذين انتسبوا اليها فهم: و. ج. باحوط، الدكتور ن. ج.

بربور، وليم كاستفليس، س. ن. ملوك، س. ج. عاقل، أ. عطالله، س. أ. أندريا، م. س. حاوي، أ. ي. برصا، د. ن. حداري، ج. أ. عشي[٣].

اهتمت بترتيب اوضاعها الإدارية، فطبعت اوراقاً خاصة بالإنكليزية لمراسلاتها، اوجزت فيها ابرز ما يجب معرفته عنها. طبعت في رأس الصفحة اسم الجمعية بحرف كبير، وذكرت تحت الاسم تاريخ تأسيسها بحرف صغير، وطبع في شمال الورقة عنوان مكتبها في نيويورك، وفي يمينها رقم هاتف المكتب. ووضع تحت الاسم في الوسط مختصر المادتين الاساسيتين من البرنامج[٤]. ورسم في شمال الورقة مستطيل عامودي (١٤، ٥-٤، ٥ سم)، طبعت فيه اسماء اللجنة الإدارية[٥].

ارتكز برنامجها، اساساً، على نقطتين: جعل سوريا دولة فدرالية تتألف من وحدات مستقلة ذاتياً، تشمل جبل لبنان بحدوده القديمة، دمشق، حلب، وفلسطين، بتوجيه فرنسا وحمايتها؛ فصل المسألة السورية عن الحركة الحجازية، وعن سائر الحركات العربية[٦].

اما النقاط الاخرى التي اهتمت بها، فهي: السعي الى تحرير سوريا من مختلف مظاهر السيطرة التركية، بمساعدة فرنسا وحلفائها، ودعوة اللبنانيين والسوريين الى التطوع في «الفرقة الشرقية» تحت راية فرنسا[٧].

دشنت الجمعية نشاطها بدعوة السوريين واللبنانيين الى عقد اجتماع عام في مقرها بنيويورك، رُكز الاهتمام فيه على بث الشعور بالمسؤولية الفردية والجماعية لديهم، وتوليد فكرة الاستقلال والحس الوطني في نفوسهم. واسفر هذا الاجتماع، الذي حضره مغتربون من دول أخرى، وبفضل المندوبين الذين قصدوا هذه الدول، الى انشاء فروع للجمعية في بريطانيا، كندا، اوستراليا، افريقيا الجنوبية، المكسيك، الأرجنتين، التشيلي... تبنت برنامجها وعملت بإرشاداتها[٨].

وبعد ان فرغت الجمعية من مهمة التأسيس، وإنشاء الفروع، عمدت الى اجراء الاتصالات بمن في يدهم الحل والربط، لبلوغ أهدافها. وعليه وجه رئيسها، الدكتور ايوب تابت، بواسطة سفير فرنسا بواشنطن، بتاريخ ١٠/٥/١٩١٨ عريضة الى كل من رئيس الولايات المتحدة، ولسون، والى وزير

خارجيتها، روبرت لنسنغ Robert Lansing، أعرب فيها عن آمال الجمعية في وضع حدّ لخضوع السوريين لسيطرة الأتراك، أعدائهم التاريخيين، وذلك انسجاماً مع مبادئ الرئيس ولسون؛ كما عبّر فيها عن شعور السوريين بالامتنان من مواقف الحلفاء، وعن رغبتهم بحماية فرنسا لهم، لانها الدولة الوحيدة القادرة على تقديم العون الكفيل بتطوير سوريا[٩].

في مطلع شباط ١٩١٩، بعد ان باشر مؤتمر الصلح أعماله في فرنسا، وجّه مجلس الجمعية التنفيذي، الى رئيس جمهورية الولايات المتحدة، والى رؤساء حكومات فرنسا، بريطانيا وإيطاليا، عريضة احتجوا فيها على مطالب مندوب الحجاز الى المؤتمر، والزاعمة ان السوريين يحبذون وضع سوريا وفلسطين تحت السيطرة العربية؛ واوردت العريضة ان السوريين، على العكس، يعتبرون ان الوجود العربي في سوريا الحق ضرراً كبيراً بالأمن فيها، وان الأضرار لن تقدر مستقبلاً اذا طال هذا الاحتلال. ذلك ان سيطرة حجازية على سوريا المتحضرة، وان اسمية، ستكون مجردة من القيم العلمية، لانها تستمد سلطتها من عروبة تشمل شعوباً متنوعة ومتفاوتة رقياً، ومن صيغ سياسية-دينية، كلها اصطناعية، مما سيوجه ضربة قاسية الى تقدم سوريا مستقبلاً. فالسوريون ليسوا عرباً، واللغة العربية فرضها الفتح العربي على سبعة ملايين مسيحي، ما لبثوا ان امسوا مليوناً، لكثرة ما تعرضوا له من اضطهادات. ان العصبة ترجو، عند اقرار نظام سوريا السياسي، ان تؤخذ بعين الاعتبار درجة رقي عناصر الشعب السوري، لا الكثرة العددية التي يتألف منها الشعب الجاهلي، الذي يسيّره التعصب الديني لا العقل.

وختمت الجمعية عريضتها بقولها ان السوريين يتمنون ان تتألف سوريا من وحدات مستقلة إدارياً، تنتظم في اتحاد فدرالي، ترعاها فرنسا، لما بين البلدين من روابط ثقافية وحضارية وتاريخية[١٠].

في ٢٧ آب ١٩١٩، وجهت العصبة الى رؤساء دول الحلفاء عريضة جددت فيها عرض مطالبها السياسية، وزادت عليها المطالب التالية: نفي جمال باشا وانور باشا، استعادة الاملاك التي سطا عليها الأتراك، تعويض الأضرار، الغاء عمليات البيع والشراء التي حصلت أثناء الحرب، ابعاد المسؤولين السوريين واللبنانيين الذين تواطأوا مع الأتراك، معاقبة محتكري المواد الأساسية[١١].

وفي اطار محاربة مطامع فيصل في سوريا، توسط رئيس العصبة، الدكتور ايوب تابت، سفير فرنسا في واشنطن، جوسران Jusserand، ليرتب له موعداً مع السيد فيلبس Philips، المساعد الاول لوزير خارجية الولايات المتحدة، فكان له ما أراد؛ فقدم الى المسؤول الأميركي مذكرة، عارض فيها محاولات فيصل، الرامية الى السيطرة على سوريا، وطالب بتنفيذ برنامج جمعيته برعاية فرنسا، لان هذه الرعاية، هي وحدها الكفيلة بتطوير سوريا، مستفيداً من انه بروتستانتي وخريج جامعة بروتستانتية[١٢]. وقد تمت المقابلة في ١٩ تشرين الثاني ١٩١٩[١٣].

وفي ١٥ آذار ١٩٢٠ وجه الدكتور تابت ايضاً، وكان قد أمسى رئيس العصبة الفخري، الى السيد وليم فيلبس نفسه، رسالة اورد فيها ان الحوادث الأخيرة التي حصلت في كيليكية، وفي سوريا الواقعة تحت الاحتلال الحجازي، ناجمة عن التفاهم الطوراني- العربي-الإسلامي، الذي يهدد أمن الشرق مستقبلاً. كما أعاد طرح مطالب الجمعية عليه، وهي أساساً، ابعاد النفوذ الحجازي عن سوريا، لانه حكم تيوقراطي إسلامي، لا يلائم تركيبتها المتنوعة في مجموعاتها البشرية، وفي معتقداتها الدينية، ووضعها تحت الرعاية الفرنسية، ما دامت اميركا غير راغبة في هذه الرعاية[١٤].

٢- الجمعية السورية-اللبنانية ميريدا Sociedad Sirio-Lebanes Mérida

كان لها شعار: pro Aliados pro Patria مع الحلفاء مع الوطن.

أسسها في هذه المدينة المكسيكية، امين الريحاني، في النصف الاول من عام ١٩١٨[١٥]، بالتفاهم مع وزارة الخارجية الفرنسية، ودعمها، بغية تقريب اللبنانيين والسوريين من فرنسا. حصر الانتساب اليها بالمخلصين لفرنسا.

تولى امانة سرّها يعقوب سمعان. اما اسم رئيسها فلم نتمكن من قراءته.

في الثاني من آذار ١٩١٨، عقدت جمعية عمومية، قررت في خلالها بالإجماع، توجيه رسالة الى السيد جورج كليمنصو، رئيس الحكومة الفرنسية ووزير الحربية، دارت على اربعة امور: التعبير عن حبّ أعضائها العميق لفرنسا

وعرفانهم بالجميل إزاءها؛ إعجابهم الجمّ بها، لانها حمت سوريا ولبنان في الماضي؛ شكرها على موقفها الدفاعي حيال الشعوب غير التركية في الأمبراطورية العثمانية، لا سيما الشعب السوري؛ التعبير عن فرحتها بتصريح وزير الخارجية، السيد بيشون Pichon، في مجلس النواب، بتاريخ ١٧ كانون اول ١٩١٧، والذي اعلن فيه ان فرنسا لا تفكر بالسيطرة على بعض البلدان، وبابتلاع بعض الشعوب، انما ستساعدها لتنال حريتها ولتدبّر شؤونها بنفسها؛ اغتباطها لإمكان تحقيق اماني بلادها الوطنية، استناداً الى ما أعلنه مارك سايكس Mark-Sikes باسم بريطانيا، وجان غو Gout باسم فرنسا، ان الحكومتين متفاهمتان بصدد قضية الشعوب غير التركية في الامبراطورية العثمانية، وان سوريا ستنال استقلالها برعاية فرنسا.

وختمت الجمعية رسالتها قائلة: «ان تصريحات الوزير الفرنسي الكبير وممثلي فرنسا الصبوحين ولّدت في نفوسنا شجاعة عارمة تدفعنا الى العمل بحماس على تحرير وطننا من النير التركي الذي يرهق كواهلنا منذ عشرة قرون»[١٦].

٣- جمعية بيروت

تأسست بتاريخ ٣ شباط ١٩١٩، في مدينة بروكلين Brooklyn، من الولايات المتحدة. كان برنامجها السياسي برنامج عصبة تحرير لبنان السورية نفسه، التي كان مركزها في مدينة نيويورك، مما يحمل على الاعتقاد بأن هذه الجمعية هي التي سعت الى تأسيسها.

رأسها الدكتور نجيب بربور. اعتمدت السيد ميشال تويني ممثلاً لها في باريس، والذي كان يقيم في ١٤ شارع تيلسيت Tilsitt[١٧].

٤- الجمعية اللبنانية -السورية (البرازيل)

أسست في مدينة ساو باولو. رأسها نعمه يافت. صار لها فروع في خمسين مدينة برازيلية.

تضمن برنامجها النقاط الأساسية التالية: استقلال لبنان وسوريا في ظل

الحماية الفرنسية؛ جعلهما دولة متحدة على مثال الولايات المتحدة الأميركية، مؤلفة من ثلاث ولايات: لبنان، دمشق وحلب؛ تكون بعلبك عاصمة هذه الدولة المتحدة؛ يكون نظام الحكم فيها جمهورياً[١٨].

٥- الحزب الأميركي (مصر)

أنشئ في القاهرة، بتاريخ ٣٠ أيار ١٩٢٠. أسسه الدكتور يعقوب صروف، صاحب جريدة «المقطم»، أقوى جرائد مصر حينذلك، والتي اشتهرت بقوة محاربتها للنفوذ الفرنسي في الشرق. انتسب اليه الدكتور فارس نمر، س. مكاريوس بك، خليل مرشاق، ادوار باشا الياس، مشاقه باشا.

كان هدفه الترويج، على ما يبدو، لفكرة وضع لبنان وسوريا تحت الرعاية الاميركية[١٩].

٦- جمعية التحرير اللبنانية-السورية (هافانا-كوبا)

أسست في ٢٥ تموز ١٩١٨. كان امين صندوقها السيد معلوف[٢٠].

٧- جمعية التضامن السورية-اللبنانية Comité de "Solidarité syro-libanaise"

أسست في مدينة ساو باولو البرازيلية. بتاريخ ١٧ ايلول ١٩١٨[٢١].

هوامش الفصل الرابع

١. A.M.A.E. / E- *Levant*... Dos 28, F. 21.

٢. G. Samné, *La Syrie* pp. 491-492.

٣. A.M.A.E. / E- *Levant*... Dos 28, F. 21.

٤. سيذكر مضمونهما لاحقاً.

٥. A.M.A.E. / E- *Levant*... Dos 27, 28, F. 21.

٦. A.M.A.E. / E- *Levant*...Dos 19, F. 124.

٧. G. SAMNE, *op.cit.*, pp. 491-492.

٨. G. SAMNE, *op.cit.*, p. 492.

٩. A.M.A.E. / E- *Levant*... Dos 1, F. 60-67.

١٠. A.M.A.E. / E- *Levant*... Dos 8, F. 6-7.

١١. A.M.A.E. / E- *Levant*... Dos 18, F. 119.

١٢. الجامعة الأميركية في بيروت.

١٣. A.M.A.E. / E- *Levant*... Dos 19, F. 123-125.

١٤. A.M.A.E. / E- *Levant*...Dos 25, F. 79.

١٥. لم نتمكن من ضبط تاريخ تأسيس الجمعية لجهة تحديد الشهر. والوثيقة المتعلقة بها الموجودة في محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية، والمؤرخة في ٢٢ حزيران ١٩١٨، تقول على لسان سفير فرنسا في واشنطن: «ان السيد امين الريحاني، الذي اوصتني به وزارة الخارجية، ذهب الى المكسيك، كما تعلمون، منذ بضعة اشهر ...»-
A.M.A.E./ E- *Levant*... Dos 1, F. 68.

١٦. A.M.A.E. / E- *Levant*... Dos 1, F. 69-71. تجدر الإشارة هنا الى ان السيطرة العثمانية على لبنان وسوريا لم تتعد الأربعة قرون (١٥١٦-١٩١٨).

١٧. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 8, F. 47.

١٨. ***Correspondance d'Orient***, Dos 3, 1918, p. 311.

١٩. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 10 F. 111.

٢٠. A.M.A.E / E- *Levant* Dos 2. F -11.

٢١. A.M.A.E / E- *Levant* Dos 2 F- 23.

الفصل الخامس

الأحزاب والجمعيات السورية التوجه

١ - الجمعية المركزية السورية Comité Central Syrien

أنشئت سنة ١٩١٧ ، على يد الحكومة الفرنسية ، لتقوم بدور الوسيط بينها وبين السوريين الذين ستحررهم ، حسب قول الجمعية ، من النير التركي[١]. وتحقيقاً لهذه الغاية سعت الجمعية ، اولاً الى تأليف فرقة من المتطوعين السوريين يسهمون في تحرير بلادهم ، تحت الراية الفرنسية ، وثانياً الى توحيد السوريين المنتشرين في العالم حول فكرة الاعتماد على فرنسا في جميع الظروف[٢] . ولتأمين نفقات نشاطها ، اعتمدت الجمعية على المساعدات التي قدمتها لها السلطات الفرنسية ، وعلى اريحية السوريين واللبنانيين المقيمين في فرنسا[٣] . اما مركزها فقد جعل في ٢٤٣ ، بولفار سان جيرمان[٤] .

تولى رئاستها شكري غانم[٥] ، وأمانة سرها الدكتور جورج سمنه . اما ابرز أعضائها فكانوا : انيس شحاده ، جميل مردم ، جميل مكرزل والدكتور توفيق فارحي[٦] .

ارتكز برنامجها ، اساساً ، على «استقلال ووحدة سوريا[٧]» . ولبلوغ هذا الهدف السياسي لا بد ، حسب برنامج الجمعية ، من تحرير سوريا من النير التركي . ولتحقيق هذه الأمنية يقتضي تأمين دعم دولة كبرى ، تتمنى الجمعية ان تكون فرنسا[٨] .

اولت الجمعية موضوع «الوحدة السورية» ، اهتماماً بالغاً ، لان الإطار الذي

حددته كياناً للدولة المزمع بناؤها، يتضمن مجموعات بشرية متباينة، عرقياً، دينياً، ثقافياً وحتى تاريخياً. وعليه وضعت الجمعية، نصب عينيها، السعي الى ضم هذه المجموعات في قومية سورية متماسكة، تمتص النزاعات الإقليمية والفوارق الدينية[٩]. ذلك ان تماسك مختلف الفئات السورية الصادق، وتعاونها المخلص، شرطان اساسيان لقيام مثل هذا الكيان[١٠]، الذي يتطلب ايضاً الاعتماد على عاملين فعالين: الديمقراطية والعلمنة.

ويقتضي نجاح هذا المشروع طلب رعاية خارجية، لان التمسك بالاستقلال التام، في مثل هذا الوضع، سيؤدي الى الوقوع في الفوضى. ولتكون هذه الرعاية فعالة يجب حصرها بدولة واحدة، هي فرنسا. ذلك ان هذه الدولة هي وحدها القادرة على صون الشخصية السورية[١١] من الأخطار المحيطة بها، والتي قد تنجح في تجزئتها. فالإنكليز عازمون على إقامة دولة إسلامية تكون عاصمتها دمشق، ودولة يهودية تكون اورشليم مركزها؛ والفرنسيون، اذا فشلوا في تولي الرعاية السورية، ليسوا بعيدين كثيراً عن مجاراة التيار الرامي الى جعل بيروت عاصمة دولة مسيحية.

وهناك ايضاً خطران آخران: التركي الرابض في الشمال، والإنكليزي-المصري المتمركز في سيناء جنوباً. وليس من قوة قادرة على الوقوف في وجه هذه الأخطار جمعياً، سوى القوة الفرنسية[١٢]. اما الدافع الثاني الذي يتطلب المساعدة الفرنسية، فيتمثل بمعرفة السوريين للغة الفرنسية، الأمر الذي يمهّد امامهم سبيل التعرف الى تاريخ هذه الدولة وتقدير ثقافتها ونبل تقاليدها[١٣]. انها عوامل اساسية لانها تؤدي الى تسديد خطى السوريين على طريق تمرسهم بالحرية والديمقراطية، نظراً لجهلهم هذه الممارسات[١٤].

ورفضت الجمعية اعتناق المبدأ الداعي الى دمج مختلف قوميات سوريا في قومية واحدة، رغم اعتمادها جميعها اللغة العربية اداة للتعبير. كما امتنعت عن الأخذ بمبدأ الدين ركيزة للقومية[١٥]. واستناداً الى هذا التوجه، اقترحت الجمعية إقامة الدولة السورية في إطار الكونفدرالية، المتكونة من مجموعة ولايات تتمتع كل منها باستقلال داخلي متراخٍ[١٦].

وتتطلب هذه البنية تزويد هذه الدولة بدستور يلائم وضعها، يستمد من مفهوم

الحرية الواسعة، فتراعى اوضاع الطوائف الدينية لجهة معتقداتها وممارساتها، وتصان خصوصيات المجموعات الإتنية إزاء عاداتها وتقاليدها[١٧].

اما نظام الحكم في هذه الدولة فيجب ان يكون جمهورياً، لانه يلائم تركيبتها، وتُسيّر خطاه استناداً الى عاملين: إرشادات الدولة المنتدبة وميول النزعات القومية.

ولا بد للسلطة في هذا النظام من ان تستمد مبرر وجودها، تعبيراً عن إرادتها، من مبدأ الاقتراع العام.

ومن الضروري ان تكون هذه الجمهورية ديمقراطية برلمانية، تختار اصولها من النموذجين الفرنسي والإنكليزي، الامر الذي سيوفر على الدولة الجديدة الخضات الخطيرة التي سوف تنجم عن الصراعات العنيفة والمطامع الشخصية، مع الإفادة من النموذج الأميركي المتميز بسلطة رئاسية قوية وواسعة الصلاحيات[١٨]. وتجدر الإشارة هنا الى ان وزارة الخارجية الفرنسية قد وافقت على برنامج الجمعية وسائر طروحاتها[١٩].

وكان من الطبيعي ان تسيّر اللجنة خطاها بتوجيهات السلطات الفرنسية، التي كانت وراء فكرة تأسيسها. فعملت دائماً في إطار التعاون الوثيق مع هذه السلطات من دبلوماسية وعسكرية[٢٠]. وانطلاقاً من هذه الصلة، عقدت اللجنة في ٢٣ ايار ١٩١٨، جمعية عمومية ادت الى تكليف رئيسها شكري غانم إبلاغ الحكومة الفرنسية مدى تعلق السوريين العميق بفرنسا، وعزمهم الثابت على وضع مستقبل سوريا بين يديها[٢١].

بعد ان انتهى مؤسسو الجمعية من عملية إرساء قواعدها، عمدوا الى بث برنامجها بين المغتربين السوريين واللبنانيين المقيمين في فرنسا وفي بلدان أخرى، استناداً الى حملة دعائية واسعة توسلت مختلف الأساليب المعروفة آنذاك، وابرزها: الصحافة التي وزعت عليها بعض الإعانات المالية؛ الكتيبات التي صيغت بأسلوب مناسب للظرف؛ المحاضرات التي «دُوزنت» مضامينها وفق ما يتطلبه الموقف؛ واخيراً البث الشفهي الذي اوكل امره الى أشخاص لهم نفوذهم بين مواطنيهم[٢٢].

ولوضع برنامجها موضع التنفيذ، ركزت الجمعية جهودها، بادئ ذي بدء،

حول ثلاثة امور: السعي الى انشاء الفرقة العسكرية، المؤلفة من سوريين يسهمون في عملية تحرير سوريا؛ انشاء صندوق معونات لسوريا غداة تحريرها؛ توحيد مختلف الجهود العاملة في إطار تحرير سوريا.

أدى نشاطها، بالنسبة للأمرين الأولين، الى تحقيق نجاح محدود، لا سيما إزاء الامر الثاني. اما في ما خص الامر الثالث، فكان نشاطها اوسع واعمق وافضل. عمدت الجمعية، انطلاقاً من مركزها في باريس، الى الاتصال بالجمعيات الاخرى، داعية اياها الى القبول بأفكار برنامجها، فالتعاون معها في هذا الإطار؛ كما بذلت مجهوداً قوياً في سبيل انشاء فروع لها بين المغتربين السوريين واللبنانيين. ولبلوغ هذا الهدف اوفدت الجمعية الى بلدان الاغتراب مندوبين عنها للاتصال بالجمعيات السورية وللتفاهم معها على التعاون. وهكذا توجه الى اميركا الجنوبية اثنان من اعضائها، هما الدكتور لكح وجميل مردم لهذه الغاية. فتمكنا من تحقيق نجاح ملموس، لا سيما في البرازيل، حيث وفقا بين مختلف الجمعيات، وأسّسا فروعاً لجمعية باريس؛ كما تمكنا من جمع ١٠٠ الف فرنك، لتنفق على عملية التطوع في الفرقة الشرقية[٢٣].

ومن جهة ثانية كرست الجمعية قسماً من نشاطها لمحاربة الجهات التي أهملت طلب الرعاية الفرنسية لجزء من الأراضي التي ارتؤي ان تؤلف سوريا الطبيعية. وعليه عقدت اجتماعاً، بتاريخ ٧ آذار ١٩١٨، كرسته للإحتجاج على مذكرة الاتحاد اللبناني، التي طالب فيها «باستقلال لبنان بضمانة الدول الكبرى»، مسقطاً بذلك الرعاية الفرنسية. فردت عليه ان مضمون هذه المذكرة، التي نشرت في احدى الصحف الفرنسية[٢٤]، تمس بسمعة اللبنانيين، برأي الجمعية، لإهمالها طلب رعاية فرنسا، صديقتهم التاريخية، منكرة على الاتحاد صفة التكلم باسم اللبنانيين، وذلك لانه لم يطلب الضمانة الفرنسية للبنان. اما التكلم باسم اللبنانيين فيعود الى «الجمعية»، اكثر منه الى الاتحاد، لانها تتكلم باسم السوريين واللبنانيين المقيمين في باريس ومرسيليا ولوندره ومانشستر وأميركا وأفريقيا الغربية[٢٥].

بعد جلاء الأتراك عن بلاد الشام، تمكن فيصل، بمساعدة الإنكليز، من إقامة حكم عربي في دمشق، رمى الى حكم سوريا الكبرى بما فيها لبنان. عارض هذا

الطرح برنامج الجمعية السورية، الساعية الى بسط النفوذ الفرنسي على هذه البقعة. فكان عليها ان تقاومه. ان هذا الحكم، اذا استقر في سوريا، برأي الجمعية، يعرضها للخطر. ذلك ان حكم فيصل سينقذها من طغيان الحكم التركي، لكنه سيخضعها لحاكم يستمد شرعيته من إرادة شعب لا يزال متخلفاً، لا سيما وان تعاليم الإسلام ستكون منطلقاً لهذا النظام، مما سيلحق ضرراً جسيماً بالسوريين غير المسلمين. وعليه فان سوريا ترفض الخضوع للسيطرة الشريفية، سواء أكانت مباشرة او غير مباشرة، والمتمثلة بشخص الأمير فيصل[٢٦].

لذلك ظلت الجمعية واقفة بالمرصاد لكل ما كان من شأنه ان يخدم قضية فيصل في سوريا، ان إزاء الفرنسيين، وان حيال السوريين.

في خطبة ألقاها في بيروت، امتدح فيصل رئيس الحكومة الفرنسية، جورج كليمنصو. اثار هذا المديح مخاوف الجمعية، لانها خشيت ان يُخدع ممثلو فرنسا بكلامه، فيرسلون الى حكومتهم تقارير تصب في صالحه.

احتاطت الجمعية لهذه الظاهرة الجديدة، فلفتت انتباه المسؤولين الفرنسيين لأمرين: رقيّ سوريا الحضاري، وخطر وقوع السوريين تحت سلطة تيوقراطية. فالسوريون شعب ذو حضارة عريقة، مثقف، ومنفتح على الأفكار العصرية؛ اذا ما حكمهم فيصل سيسير بهم الى الوراء، لانه سيلحقهم بالحجاز، وسكانه قبائل بدوية متخلفة، لم تحرز أي تقدم منذ عهد النبي محمد، إضافة الى انهم يستمدون نظمهم من تعاليم القرآن، والعصر عصر علمنة وابتعاد السياسة عن الدين[٢٧].

وفي نيسان ١٩٢٠ وجه رئيس الجمعية، شكري غانم، باسم جمعية باريس والجمعيات اللبنانية والسورية في مصر وفي أميركا، الى رئيس وزراء فرنسا ووزير الخارجية، الكسندر ميلران رسالة، تضمنت احتجاجاً على مطامع أشراف مكة في سوريا، وضرورة إبعاد سيطرتهم عنها، لانها سببت الفوضى والبلبلة فيها[٢٨].

وكان على الجمعية ان تواجه قضية فلسطين، ومسألة وجود اليهود فيها، خصوصاً بعد اعلان وعد بلفور. ولما كانت فلسطين تشكل جزءاً من سوريا الطبيعية الواحدة، عارضت الجمعية قسمة سوريا بين النفوذين: الإنكليزي في

الجنوب والفرنسي في الشمال، لان مثل هذا التدبير يجعل منها «جسماً بلا روح»[٢٩].

ورأت الجمعية ان من حق اليهود التمتع بوجود ذاتي في فلسطين، يستند الى سلطة حاخاميهم وقوانينهم وميزاتهم. انما عليهم الا يتميزوا عن سائر السوريين، وان يضعوا ثقتهم بفرنسا، فتؤمن لهم قدراً وافراً من الحرية، وتوصلهم الى درجة رفيعة من الرقي القومي[٣٠]. ان الدولة السورية، المنوي إقامتها في إطار الفدرالية، ستحمي اليهود من نقمة سائر السوريين[٣١].

في نيسان (١٨-٢٦ منه) ١٩٢٠ انعقد مؤتمر سان ريمو San Remo[٣٢] بحضور رئيسي حكومتي فرنسا (ميلران)، وانكلترا (لويد جورج). اقر المؤتمر بنود معاهدة سيفر Sèvres التي ستعقد مع تركيا، ووضع سوريا تحت الانتداب الفرنسي.

ارتاحت الجمعية الى هذه المقرارات، لانها حققت البند الاهم من برنامجها، الا وهو وضع مستقبل سوريا بعهدة فرنسا. فوجه رئيسها شكري غانم، بتاريخ ٢٩ نيسان ١٩٢٠، رسالة الى رئيس الوزارة الفرنسية ووزير الخارجية، الكسندر ميلران، باسم جمعية باريس والجمعيات اللبنانية والسورية في مصر، عبّر فيها عن فرحة الجميع بهذا الحدث، لا سيما وان هذا الانتداب سيحقق طموحات سوريا السياسية والثقافية والاجتماعية[٣٣].

ويبدو ان ابرز ما قامت به هذه الجمعية هو عرض مطالبها على مؤتمر الصلح، بفضل تدخل فرنسا[٣٤]. حصل هذا الامر في ١٣ شباط ١٩١٩، في مكتب وزير خارجية فرنسا ستيفن بيشون Stephen Pichon. قام بهذه المهمة الكبرى وفد رأسه شكري غانم، وضم: انيس شحاده (من الروم الارثوذكس)، جميل مردم (مسلم)، الدكتور جورج سمنه (من الروم الكاثوليك)، جميل مكرزل (من الموارنة)، والدكتور توفيق فارحي (يهودي)[٣٥]. حضر هذا الاجتماع العشرة الكبار، رؤساء حكومات الدول المنتصرة في الحرب، مع وزراء خارجيتهم، وهم: ولسون، رئيس الولايات المتحدة، كليمنصو رئيس حكومة فرنسا، لويد جورج رئيس حكومة انكلترا، نيتي، رئيس حكومة إيطاليا، ورئيس حكومة اليابان، اضافة الى مساعدي كل منهم.

أدخل وفد الجمعية على إثر انتهاء الدكتور بلس Bliss [٣٦] من القاء بيانه حول المسألة السورية. بعد ان قدم كليمنصو، رئيس المؤتمر، اعضاء الوفد الى زملائه، اشار على شكري غانم ان يدلي ببيانه. ونترك للدكتور زين نور الدين زين الذي اطلع على محفوظات وزارة خارجية اميركا، ان يعرض ما استخلصه منها:

«بعد ان انتهى الدكتور بلس من قراءة بيانه اجاب على اسئلة وجهها اليه السيد بيشون والسيد بلفور واللورد ملنر. ثم دخل بعد مغادرته المكان «وفد سوري، برئاسة السيد شكري غانم، مؤسس «اللجنة السورية المركزية». «وبعد ان قدم كليمنصو اعضاء الوفد السوري طلب الى السيد شكري غانم ان يدلي ببيانه».

«القى السيد شكري غانم خطبة طويلة منمقة العبارة. قال انه يتكلم «باسم جماعة يقدر عدد اعضائها بأكثر من مليون نسمة. هناك عدد ضئيل من الامم التي عانت ما عاناه الشعب السوري» هذا اذا كان المرء يؤمن بالنظرية القائلة ان قدرة الشعب على تحمل البؤس والشقاء تزداد بنسبة تقدمه وتطوره الخلقي». انه لا يريد ان يكون تحرير سوريا عن يد اهل الحجاز، كما انه عارض على ان يتكلم فيصل «ممثل الحجاز» باسم جميع «الناطقين باللغة العربية» وباسم «سوريا». «ان دمشق تبعد عن مكة بما لا يقل عن الف وخمس مئة كيلومتر. فاية صلات روحية وتقارب ذهني تربط بين طبيعة السوري والحجازي، بين البدو واهل الحضر؟ وهل هناك غالبية من العنصر العربي في سوريا من شأنها ان تعلل او تبرر مثل هذه الفكرة؟ ان ضم سوريا الى الجزيرة العربية هو افتئات صارخ على قدسية الارض التي انبتت هذا الشعب وعلى تاريخه ...» ولكن مهما يكن من امر فان سوريا تشعر بالحاجة الى العون الأجنبي. «فهل بعد ان فصمتم العرى التي تربطنا، ترفضون مد يد العون لنا كي نخطو الخطوات الاولى؟ كلا، انكم تأبون ان تنهضوا بنا الى العلى ثم تتركونا نتهاوى الى ركام قيودنا ... ايها السادة، ان مصلحتنا ومنطقنا يدفعان بنا الى الاعتراف بأننا نحتاج الى تعاون مع جهة أجنبية».

«اما فيما يتعلق بأمر استفتاء الشعب فان السيد شكري غانم لا يوصي به في الظروف الحاضرة. انه من الافضل، منطقياً، ان تعين الدول العظمى. على ما

تتحلى به من حكمة وفطنة، دولة من بينها مؤهلة لتحقيق هذه الرسالة النبيلة، الا وهي معونة بلد صغير لينهض بنفسه ولكي تُعوّد عيون ابنائه على ضوء الحرية؟» فأية دولة من بين الدول هي «هذه الدولة» التي كان يشير اليها؟ قال شكري غانم»:

«حتى وان اختلف رأيي ورأي زملائي عن رأي الناس الذين نمثلهم فاننا نؤمن ان واجبنا هو تأدية الرسالة الواضحة المنوطة بنا، وهي ان نلتمس منكم، يا اصحاب السعادة، بناء على معطيات الوثائق المرفقة التي سنرفعها اليكم، ان تكون دولة فرنسا هي الدولة التي سيوكل اليها امر انشاء دولة سورية فدرالية متكاملة مستقلة ... ان فرنسا، في نظرنا، هي الدولة الوحيدة المؤهلة لانجاز ما نصبو اليه ... انها ستكون المرشدة التي تتكلم لغة نفهمها، والتي ستوحدنا في مصيرنا المشترك. وفرنسا ستكون الحكم الذي اذا تقاضينا عنده فان كل سوء ظن يزول، وكل نزاع يفض».

«ثم ان السيد غانم أنهى خطبته هذه ببيت من الشعر ينم عن عاطفة وعن اسى:

«رب يوم بكيت منه»

ثم قال: «ايها السادة هل ستتركوننا نبكي على ماضينا المفجع وانتم املنا الوحيد، انتم الذين نعتبركم ممثلي العدالة والحق والرحمة الإنسانية؟»».

«يعتقد الاستاذ شوتول Shotwell الذي حضر تلك الجلسة ان خطبة السيد غانم ابطلت مفعولها بنفسها. قبل انعقاد تلك الجلسة، وفي الثامن من شهر كانون الثاني، نشرت جريدة المانشستر غارديان مقالاً بعنوان «مؤتمر سوري» وردت فيه العبارة التالية: «منذ فترة عقد مؤتمر في مرسيليا، برعاية اللجنة السورية في باريس، اتخذ فيه قرار بوضع سوريا تحت الحماية الفرنسية. وكان على رأس هذه الحركة رجل قضى كما قال الأمير فيصل، اربعين سنة من عمره خارج سوريا وهذا الرجل ليس سوى شكري غانم الذي وصفه الاستاذ شوتول بقوله: «انه رجل ذو ملامح عربية وله لحية طويلة وخطها الشيب». وكان هذا الرجل قد قرأ بواسطة نظارات في اجتماع للعشرة الكبار خطاباً طويلاً استغرقت قراءته وترجمته ساعتين ونصف ساعة». ويتابع الاستاذ شوتول كلامه قائلاً: «عندما شرع هذا الرجل بقراءة بيانه دفع الاستاذ وسترمان Westermann بقصاصة ورق الى الرئيس ولسن ليقول له ان شكري غانم عاش السنوات الخمس

والثلاثين الاخيرة خارج سوريا، وانه قضى معظم حياته في فرنسا. وكان هذا وحده كافياً على حمل الرئيس ولسون الا يبالي والا يكترث بما كان يقوله الرجل. ولم يلبث طويلاً حتى نهض عن كرسيه وتمشى الى الجانب الآخر من القاعة واخذ يجول ببصره من النافذة ويداه في جيوب سترته مما ادى الى ارباك الفرنسيين وازعاجهم. وتطاول كليمنصو ليسر في اذن وزير خارجيته، بيشون، شيئاً واذ كنت جالساً وراءهما مباشرة سمعت كليمنصو يقول بخشونة: «لماذا جئت بهذا الرجل الى هنا؟» ورأيت بيشون يمد يديه بصورة احتجاج يائس قائلاً: «لم اكن اعلم انه سيعالج الامر على هذا المنوال»، وكان الامر اشبه بفضيحة مكشوفة[٣٧].

كان للجمعية فرع في ريو دو جانيرو، عاصمة البرازيل آنذاك. وكان من ابرز أعضائها، اللبنانيين، الدكتور اشقر واسعد كحاله[٣٨].

٢- جمعية الشبان السوريين الوطنية Association nationale des jeunes Syriens

أنشئت في بيروت، برئاسة شارل قرم، الشاعر اللبناني بالفرنسية.

قام برنامجها على السعي لتحقيق دولة سوريا الكبرى، المستقلة والفدرالية، برعاية فرنسا.

انتدبتها «الجمعية المركزية السورية» في باريس لتمثلها في بيروت[٣٩].

٣- اللجنة اللبنانية-السورية (مصر)

بوشر تأسيس هذه الجمعية بمبادرة فرنسية، قام بها وزير فرنسا المفوض في القاهرة، تنفيذاً لبرقية تلقاها من وزارة خارجية بلاده، بتاريخ ١٨ آذار ١٩١٨. لم يتكرس انشاؤها الا في تشرين الثاني من السنة نفسها، اثر صدور الاعلان الفرنسي-الإنكليزي المشترك[٤٠]، الذي صيغ لطمأنة العرب عامة، والسوريين وقسماً من اللبنانيين خاصة، حيال مستقبل بلادهم السياسي.

تولى القيام بمهمة التأسيس ادغار الطويل، على ان تكون مرتبطة بـ«الجمعية

المركزية السورية» في باريس. لكن الذين عرضت عليهم فكرة تأسيس الجمعية، وهم عبدالله باشا صفير، بابازوغلي باشا، شكور باشا، وخليل زينية، اشترطوا ابقاءها مستقلة عن جمعية باريس، على ان يكون برنامجها مشابهاً لبرنامج هذه، مع ايجاد مركز ضابط ارتباط بين الاثنتين، يتولاه ادغار الطويل نفسه. وهكذا صار.

وقد أنشئت لهذه الجمعية فروع في بعض المدن المصرية مثل: الإسكندرية، طنطا، المنصورة وبور سعيد.

بلغ عدد أعضائها ١٥٠٠، منهم ٨٠٠ في القاهرة.

تألفت هيئتها الإدارية من: عبدالله صفير باشا رئيس، حقي بك العظم نائب رئيس، الفونس زينية سكرتير، نعمه غانم امين صندوق وقامت الى جانب هؤلاء هيئة مساعدة ضمت: الفرد ليان، هنري مشاقه، شكور باشا، الدكتور عطيه، امين البستاني، الدكتور غريب، ر. ارقش، مختار الجزايري، اضافة الى آخرين.

ارتكز برنامجها على النقاط التالية: تحرير سوريا وانالتها الاستقلال برعاية فرنسا؛ تقام الدولة السورية على بنية فدرالية، تشكل مقاطعاتها اقاليم مستقلة داخلياً؛ يحافظ هذا النظام على استقلال لبنان الداخلي، وعلى ميزاته الخاصة، كما يفسح امامه مجال تطوير امانيه المشروعة؛ تنظم علاقات لبنان مع الدولة السورية لاحقاً، ووفقاً للظروف[٤١].

تمحور نشاطها حول محاربة الوجود العربي في سوريا، والترحيب بالرعاية الفرنسية لها[٤٢].

وجهت الى مؤتمر الصلح، بواسطة «الجمعية المركزية السورية» في باريس، برقية احتجت بها على تصرفات الحكومة العربية في دمشق، حيال السوريين. ذلك ان هذه الحكومة باشرت ارسال جنود سوريين الى الحجاز، مقابل راتب معين، الامر الذي يوحي بأن الحجاز يعتبر سوريا بلاداً محتلة، مستفيداً من الأموال التي يقدمها له الحلفاء[٤٣].

في كانون الثاني ١٩٢٠، اوفدت احد أعضائها الى لبنان، خليل زينيه، ليرحب بالجنرال غورو، المفوض السامي الجديد. في ٦ كانون الثاني ١٩٢٠

وجهت الى شكري غانم، في باريس، رسالة تطلعه فيها على اعمال العنف، من قتل وسلب وتدمير، التي تقوم بها عناصر الشغب، ضد بعض المناطق اللبنانية، حتى تلك التي تقع تحت النفوذ الفرنسي. ويعود هذا الأمر، حسب رأيها، الى عدم دخول الجيش الفرنسي الى المناطق التي ستضم الى لبنان الكبير، والى التأخر في وضع سوريا الكبرى تحت الحماية الفرنسية[٤٤] وفي ١٦ كانون الثاني ١٩٢٠، ابرقت الى شكري غانم ايضاً، مجددة رفضها السيطرة الفيصلية والهيمنة الحجازية على سوريا[٤٥].

٤ - عصبة سوريا الجديدة الوطنية The New Syria National League

أسست عام ١٩١٨[٤٦] في مدينة نيويورك، وكان مركزها في ٣٣ شارع برود واي (33-Broadway, New York City).

تولى رئاستها الدكتور جورج خيرالله، وامانة سرها العامة الدكتور فيليب حتي[٤٧].

ارتكز برنامجها على المبادئ التالية: ابعاد مختلف مظاهر السيطرة التركية عن سوريا، اسمية كانت ام فعلية؛ ضم المقاطعات السورية جمعيها، والممتدة من جبال طوروس الى صحراء سيناء، ومن بحر الروم الى الصحراء والفرات، في دولة واحدة، تكون لكل من مقاطعاتها حكومة ادارية ملائمة لأحوالها؛ انالة هذه الدولة استقلالها وحريتها؛ اقامتها على مبدأ عدم التمييز بين الطوائف والشعوب؛ وضعها تحت رعاية الولايات المتحدة المؤقتة، ريثما تصبح قادرة على تدبير شؤونها بنفسها.

اما الحافز الذي دفعها الى المطالبة بتحقيق هذا البرنامج، فمبادئ الرئيس ولسون، التي افسحت امام «الشعوب الصغيرة المستعبدة» مجال التحرر والسير تدريجياً على طريق تدبير شؤونها بنفسها، دون تدخل اجنبي[٤٨].

برز نشاط هذه الجمعية في مختلف دول القارة الأميركية، حيث سعت الى حمل المغتربين السوريين واللبنانيين الى تبني برنامجها. ووصولاً الى غايتها لجأت الجمعية الى وسيلة عملية قامت على توزيع منشور ضمت اليه بطاقة بريدية

وثيقة انتساب تتضمن مبادءها. وقد وزعتها على افراد الجاليات، مكتوبة باللغتين العربية والإنكليزية. لاقت هذه الدعوة تجاوباً لدى بعض فئات الجاليات السورية واللبنانية، كالمسلمين والدروز واليهود. اما الموارنة فلم يأبهوا لها كثيراً[٤٩].

٥ - اللجنة السورية في برنامبوك Pernambuco (البرازيل)

أنشئت عام ١٩١٨[٥٠]، في هذه المدينة البرازيلية، وبمبادرة من مبعوث قنصلي فرنسي، على ما يبدو.

تبنت فكرة إنالة سوريا استقلالها برعاية فرنسا وحلفائها، وسارت على خطى الجمعية المركزية السورية في باريس.

تألفت هيئتها الإدارية على الوجه التالي: رئيس فخري، السيد بيرو Buraud ممثل القنصلية الفرنسية في برنامبوك؛ رئيس فعلي، الدكتور شارل خوري؛ نائب رئيس، بطرس يوسف؛ سكرتير، اميريكو جورج؛ امين صندوق، الياس راشد؛ خطيب، سعيد عون.

٦ - الجمعية السورية-اللبنانية (المكسيك)

أسست هذه الجمعية في أهم المدن المكسيكية، خلال عام ١٩١٨: مكسيكو، فيرا كروز (Véracruz)، ميريدا (Mérida)، بويبلا (Puebla).

تمت هذه العملية على يد امين الريحاني، وبمساعدة السفارة الفرنسية في هذه البلاد.

تبنت هذه الجمعيات كلها، برنامج «الجمعية المركزية السورية»، مع التشديد على فكرة اتحادية سوريا، واستقلال لبنان الذاتي، في ظل الحماية الفرنسية[٥١].

٧- الاتحاد السوري (مصر)

هناك روايتان تتعلقان بتأسيس هذا الحزب، الذي جعل مركزه في العاصمة

المصرية؛ واحدة تقول ان فكرة تأسيسه انطلقت من النادي السوري في القاهرة. واخرى تذكر ان هذه الفكرة انبثقت من سوريا نفسها، فتولت تنفيذها هيئة ادارية، دعت السوريين المقيمين في مصر، الى الالتفاف حولها[٥٢].

قد تكون الرواية الاولى هي الصحيحة. ذلك ان المصدر المتعلق بهذا الامر يورد ايضاً ان الذي أسس الحزب سراً هو ميشال بك لطف الله[٥٣]، رئيس النادي السوري في الإسكندرية[٥٤]، وان الغاية من تأسيسه هي خدمة مصالح احد الأثرياء، ميشال لطف الله[٥٥] نفسه الذي كانت له، على ما يبدو، طموحات سياسية...

انتمى أعضاؤه الى الطوائف اللبنانية الأساسية: الإسلامية، الدرزية، البروتستانتية والمارونية[٥٦]. كانوا ينتسبون الى ثلاث جمعيات: «العربية الفتاة»، الاتحاد اللبناني، و«نادي الاتحاد السوري»[٥٧].

تألفت هيئة الحزب الإدارية من شخصيات ثرية وصحفيين، من اصل لبناني، يقيمون في مصر. ابرزهم: ميشال بك لطف الله (رئيس النادي السوري في الإسكندرية)، ادوار كرم (ثري وملاك في الإسكندرية)، يعقوب صروف وفارس نمر (خريجا الجامعة الأميركية في بيروت). أسسا وادارا جريدة «المقطم» ومجلة «المقتطف»، سليم تقي الدين، محب الدين الخطيب (مدير جريدة «القبلة» التي تصدر في مكة)، فؤاد الخطيب (الممثل الدبلوماسي للمملكة الحجازية في القاهرة)، الشيخ رشيد رضا (صاحب ومدير مجلة «المنار»)، عباس المصفي[٥٨]؛ وانخرط في صفوفه آخرون، ينتمون الى سائر مناطق بلاد الشام[٥٩].

وضع برنامج الحزب تسعة اشخاص: ستة لبنانيين وثلاثة سوريين وهم: فارس نمر، يعقوب صروف، داود بركات (رئيس تحرير جريدة «الاهرام»)، نعوم شقير (مدير مكتب ساڤوا العربي Arab Bureau of Savoy)، الشيخ رشيد رضا، اسكندر بك عمون (رئيس الاتحاد اللبناني سابقاً)، رفيق بك العظم، الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، الشيخ كامل القصاب[٦٠].

تضمن البرنامج النقاط التالية:

- تؤلف سوريا تجمعاً قومياً عربياً، يمتد من طوروس شمالاً، الى الخابور

والفرات شرقاً، الى الصحراء العربية ومدائن صالح جنوباً، والى البحر الاحمر وخط يصل العقبة برفح، والى البحر المتوسط، غرباً.

– تستقل سوريا استقلالاً تاماً، تضمنه عصبة الأمم، التي ستضمن ايضاً دستورها، دون المساس باستقلالها.

– تستعين حكومة سوريا بعصبة الأمم لاختيار الاختصاصيين الذين سيشكلون فريق كبار المستشارين عند الحاجة، لا سيما لوضع دستور البلاد استناداً الى مبادئ الديمقراطية واللامركزية.

– ترتكز القوانين وانظمة الإدارة على مبادئ علمانية صرفة، باستثناء قوانين الأحوال الشخصية التي ستبقى على حالها.

– تظل القوانين والأنظمة المطبقة في البلاد نافذة، حتى انعقاد الجمعية الوطنية العامة، التي ستعيد النظر فيها او تستبدلها بأنظمة ملائمة لمصلحة البلاد، ومتوافقة مع روح الدستور العلماني الجديد.

– تقسم سوريا إدارياً الى ولايات تربط بينها عوامل المصلحة العامة. يراعي هذا التقسيم التقاليد والجغرافية والاعتبارات المحلية الخاصة، لا سيما في دمشق وفلسطين ودير الزور وجبل حوران وحلب، لجهة تقاليد القبائل البدوية، وفي لبنان خاصة، حيث يجب مراعاة تقاليده وحدوده الطبيعية وامتيازاته التاريخية.

– يكون لكل ولاية مجلس اقليمي ينتخب الشعب أعضاءه بشكل يضمن حقوق الأقليات؛ يجري انتخاب هذا المجلس مرة كل اربع سنوات؛ يهتم هذا المجلس بإدارة شؤون الولاية، وبسن أنظمتها الداخلية، على الا تتناقض وقوانين البلاد العامة.

– تتولى شؤون هذه الولايات، بما فيها لبنان، سلطة مركزية، تكون عاصمتها دمشق صيفاً، وبيروت شتاءاً؛ تنبثق عن هذه السلطة وزارة تكون مسؤولة امام المجلس.

– ينشأ في البلاد مجلس تمثيلي عام، ينبثق أعضاؤه من مجالس ادارة الولايات، بنسبة ممثل لكل ثلاثة اعضاء؛ يجتمع هذا المجلس مرة كل سنة، في مقر الحكومة المركزية، للبحث في شؤون البلاد، والاهتمام بمصالحها المشتركة، اضافة الى سن القوانين العامة.

– تشكل كل ولاية قوة خاصة لحفظ الأمن داخلها، يختار أعضاؤها وفق قانون تسنه السلطة المركزية.

– تسند الوظائف الى اكثر ابناء البلاد كفاءة، مع مراعاة خصوصيات كل ولاية.

– يطبق في جميع الولايات برنامج تعليمي موحد، يتلاءم وأوضاع المواطنين كافة، بصرف النظر عن نحلهم واديانهم.

– تؤمن السلطة الإقليمية نفقات كل ولاية، وذلك باقتطاعها من واردات ضرائبها الخاصة. اما اموال سائر الواردات، امثال الجمارك، البريد والبرق، سكة الحديد، النقل البحري والمعادن، فتتدبر امرها السلطة المركزية، التي تقتطع منها نفقات المصالح العامة.

– اذا شكلت الأمة العربية اتحاداً كونفدرالياً، تنضم سوريا اليه، شرط الا يمس هذا الامر، وحدتها الوطنية وسلطتها[٦١].

– ترعى هذه الدولة المستقلة الحكومة الاميركية موقتاً، وتعنى بتحضير السوريين ليصبحوا قادرين على حكم أنفسهم بأنفسهم[٦٢]. ويبدو ان هذا الحزب لم يلبث ان عدّل موقفه حيال طلب الرعاية الاميركية، فتخلى عنها ليطالب باستقلال سوريا الكبرى وعلى رأسها فيصل.

ليس بعيداً ان يكون هذا الامر قد حصل بتأثير الإنكليز، الذين دعموا الحزب وكانوا يساندون فيصلاً، مما جعله خصماً للنفوذ الفرنسي في سوريا[٦٣].

لاقى هذا الحزب رواجاً بين المغتربين في مصر، بفضل الدعم البريطاني له، مما دفع مراسلي جريدتي «الدايلي ميل» و«التايمس» المقيمين في القاهرة، الى تقصي اخباره ونشرها في هاتين الصحيفتين، الامر الذي ادى الى تزايد عدد المنتسبين اليه، والى نشر مبادئه بين من يعنيهم الأمر[٦٤]. ونذكر في سياق الدعم المعنوي للحزب دور صاحبي جريدة «المقطم»، يعقوب صروف وفارس نمر، وكانا من أعضائه المؤسسين؛ فقد جعلا من صحيفتهما، ابتداءاً من شباط ١٩١٨، منبراً لنشر أفكاره والإعلان عن نشاطاته[٦٥].

قام هذا الحزب بنشاط بارز، ان لنشر مبادئه، وان لمحاربة السياسات التي تعارضت مع توجهاته.

في المجال الاول اتصل بمغتربي اميركا، من لبنانيين وسوريين، عارضاً عليهم برنامجه، وطالباً اليهم تبنيه نذكر على سبيل المثال، الاتصال البرقي بمغتربي الأرجنتين[٦٦]، فلم يلق آذاناً صاغية لديهم.

وفي المجال الثاني قام بنشاطات مختلفة. في مطلع تشرين الاول ١٩١٩، عقدت لجنته الإدارية اجتماعاً استثنائياً، اقرت فيه احتجاجاً على الاتفاق الذي ابرمته بريطانيا وفرنسا، والذي قضى بإحلال الجيش الفرنسي، مكان الجيش البريطاني في المنطقة الشرقية؛ كما طالبت بإلغائه لانه انبثق عن اتفاقية سايكس-بيكو التي لم تعد سارية المفعول، حسب رأي الحزب، بعد انشاء عصبة الأمم، التي خول نظامها مؤتمر الصلح صلاحية تقرير مصير البلدان العربية المحررة من النير التركي، بعد الأخذ بعين الاعتبار مطلبها حيال مستقبلها السياسي، مع العلم ان السوريين متمسكون باستقلال بلادهم التام، وبجلاء جيوش الحلفاء جميعاً عن مختلف مناطق سوريا[٦٧].

وعام ١٩٢٠ اوفد الحزب الى اوروبا الأمير حبيب لطف الله، سعياً وراء تحقيق مطالبه. قصد الموفد لندن اولاً، ثم انتقل الى باريس، حيث وجه الى مجلس الشيوخ رسالة لاقناع أعضائه بجدوى اعطاء سوريا الكبرى، بما فيها بلاد ما بين النهرين وفلسطين، استقلالها التام، تحت حكم ملكية فيصل، استناداً الى الدوافع التالية: تأميل فرنسا السوريين بمساعدتهم لنيل استقلالهم؛ ثورة العرب على الأتراك والوقوف الى جانب الحلفاء ضدهم؛ اعلان الحلفاء انهم يخوضون الحرب دفاعاً عن الحق والعدالة والحرية، واطلاقهم مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها؛ تطور سوريا المتمثل برقي شعبها الذي تقوده نخبة مثقفة، قوامها الشبيبة التي تعلمت في المدارس الفرنسية، وصحافتها المنتشرة في آسيا ومصر وأميركا؛ استعداد سوريا لاستقبال علماء فرنسا ومهندسيها وتجارها وصناعييها، شرط ان يفدوا اليها كأصدقاء وأخوة، لا كمحتلين؛ عزم سوريا على تشكيل مجلس تمثيلي يضمن حقوق جميع المواطنين، اياً كان انتماؤهم الديني، ويحترم حقوق الاقليات؛ رفض سوريا الحماية الفرنسية، باستثناء لبنان، الذي يمكنه القبول بها، اذا رغب في ذلك، على ان يقيم علاقات ودية مع سوريا، لضرورتها، ولان الطبيعة هي التي اوجدتها.

ولحث فرنسا على عدم محاربة تسلم فيصل ملكية سوريا، راح الحزب يسعى الى الدفاع عنه حيالها. قيل خطأ ان فيصلاً عدو فرنسا وعميل إنكلترا؛ انه، على العكس، صديق فرنسا الحميم ومن حلفائها؛ انه يعرف ضخامة مسؤوليته، ويدرك تماماً الخط السياسي الذي يقتضي سلوكه، فوقف بوجه العناصر المتطرفة التي كادت، بفعل حماسها القومي، ان تقود البلاد الى نزاع يضر بالعرب وبأوروبا.

واستعان الحزب بواقع جديد لحمل فرنسا وحلفائها على مساندة سوريا والعرب. انه الخطر البولشفي. يقول الحزب: ان خطر البولشفية يهدد اوروبا والعالم؛ فالحزام الأمني الذي أقامه الحلفاء قد انهار؛ والتيار الثوري يتغلغل في الهند وبلاد فارس؛ عملاء البولشفية ناشطون في العالم الآسيوي، ويسعون الى تحريك ثورة إسلامية عارمة تتجسد بالجهاد المقدس، ولهب الثورة سيمتد الى آسيا بكاملها، فتهدد مصالح اوروبا فيها. على هذه القارة ان تفكر ملياً بالأمر. فهي ان «بلقنت» آسيا، فعددت الإمارات الصغيرة بتفتيت الدول، تكون قد اطلقت العنان للفوضى التي ستولد احتمال نشوب حرب جديدة. هناك، براي الحزب، وسيلة واحدة تساعد على الوقوف بوجه هذه الفوضى التي يتسع مداها: تكوين دولة عربية قوية، او كونفدرالية دول، تتحالف واوروبا، فتؤلف حاجزاً متيناً، يتصدى للهجمة الحمراء، ويبعد خطرها. على فرنسا، التي ما زالت صديقة العرب الدائمة، ان تسبق غيرها لتولي هذه المهمة التي تخدم العرب واوروبا في وقت واحد معاً[٦٨].

في نيسان ١٩٢٠، وجه رئيس الحزب برقية الى مؤتمر الصلح، احتج فيها على مقررات مؤتمر سان ريمو، التي نصت على تقسيم سوريا، فقضى على وحدتها السياسية والجغرافية والإتنية، اضافة الى اعتبار فلسطين وطناً يهودياً[٦٩].

٨- العصبة السورية الجديدة (هايتي)

لا نعرف بالضبط تاريخ تأسيسها. كان شعارها: «سوريا للسوريين، مستقلة،

وغير منقسمة». رأسها الدكتور جورج خيرالله. من المرجح ان يكون مركزها في العاصمة بور-او-برنس Port-au-Prince.

اقر برنامجها، بعد سلسلة اجتماعات. نشر في شهر كانون الثاني ١٩١٩ في جريدة «لماتان» Le Matin. تضمن هذا البرنامج النقاط التالية: تحرير سوريا من السيطرة التركية، فعلية كانت ام اسمية؛ جعل سوريا دولة فدرالية مؤلفة من ولايات مستقلة داخلياً؛ تكون لسوريا حكومة مركزية؛ تمتد سوريا من جبال طوروس حتى شبه جزيرة سينا؛ تتولى الولايات المتحدة تأمين حماية سوريا وادارة شؤونها العامة، حتى يصبح السوريون قادرين على حكم انفسهم بأنفسهم[٧٠].

يرجح ان تكون هذه الجمعية فرعاً «لجمعية سوريا الجديدة الوطنية» التي اسست في نيويورك، لان رئيس الاولى، هو رئيس الثانية نفسه، ولتطابق برنامجي الجمعيتين.

٩- العصبة السورية الوطنية الجديدة New Syrian National League

تقول المحفوظات الفرنسية انها أسست في نيويورك، على يد المرسلين البروتستانت، الذين يمولونها بسخاء، ويدفعون راتباً شهرياً لعميل صحفي (press agent)، كلف تنظيم حملة في الصحف الأميركية، روجت لأمانيهم السورية.

وتقول المصادر الفرنسية، أن افرادها القليلي العدد، ينتمون الى الطوائف البروتستانتية والدرزية والإسلامية. كان قسم منهم متأثراً بالنفوذ الألماني، وقسم آخر خاضعاً للنفوذ التركي.

رمت هذه الجمعية الى جعل سوريا تحت الرعاية الأميركية.

في النصف الأول من شباط ١٩١٩ وجهت برقية الى الرؤساء ولسون، كليمنصو، ولويد جورج، نشرتها الصحف الأميركية كالنيويورك تريبيون (New York Tribune)، طالبت فيها بإلحاح، وباسم ٢٥٠ ألف سوري، ان تتكفل الولايات المتحدة، بحماية سوريا الجديدة والديمقراطية.

هذا واوفدت الجمعية الى باريس مندوباً، هو السيد رحباني، ليعرض مطالبها على مؤتمر الصلح. وقد بعث هذا المندوب ببرقية الى مركز الجمعية، في ١٦ شباط ١٩١٩، نشرتها صحيفة نيويورك تريبيون، قالت، نقلاً عن لسان فيصل: «ان الرئيس ولسون، سيبين، بعد عودته الى الولايات المتحدة، الدوافع التي تحدوه الى انتداب عصبة الامم اميركا، لحماية سوريا»[٧١].

١٠- جمعية السوريين المتحالفين

أنشئت في التشيلي بمدينة كونسبْسيون Conception رأسها ج. مسعد.

قام برنامجها على وضع سوريَا تحت الحماية الفرنسية، مع الإشارة الى ان عدم تلبية هذا المطلب، سيدفع سكان هذه البلاد الى تركها والتوزع على مختلف مناطق العالم[٧٢].

١١- العصبة السورية-اللبنانية (المكسيك)

أنشئت في مكسيكو العاصمة. ارتكز برنامجها على فكرة جعل سوريا دولة فدرالية مستقلة، تضم لبنان، وولايات: اورشليم، بيروت، حلب، دمشق، أضنه وملحقاتها. تتولى فرنسا رعاية هذه الدولة، حتى تغدو قادرة على حكم نفسها بنفسها، دون مساعدة خارجية. كما طالبت ان تسعى فرنسا الى تعويض السكان ما خسروه من جراء الفظائع التي تعرضوا لها[٧٣].

١٢- الجمعية اللبنانية-السورية (الأرجنتين)

أسست في مدينة روزاريو Rosario. تبنت برنامج الجمعية المركزية السورية في باريس. تولى رئاستها جبرائيل حنا Gabriel Juan، وأمانة سرّها حسني عبد الملك[٧٤].

١٣ - الجمعية السورية الوطنية (التشيلي)

أسست في سنتياغو عاصمة التشيلي.

تولى رئاستها توفيق باليش وأمانة سرها السيد شوقي.

قبل ٢٦ ايلول ١٩١٩، اهتمت بتكوين سوريا على أساس فدرالي، برعاية فرنسا. اما بعد هذا التاريخ، فأصبحت تطالب بدولة سورية فدرالية دون رعاية دولة اخرى.

في ١٤ تموز ١٩١٩ وجهت الى رئيس الجمهورية الفرنسية برقية تهنئة بالعيد الوطني.

وبعد تعديل برنامجها سعت الى عقد مؤتمر في سنتياغو، يتمثل فيه لبنانيو وسوريو أميركا الجنوبية، للوقوف بوجه أي تدخل فرنسي في شؤون سوريا. قام بهذا النشاط رئيسها السيد باليش وشخص من آل مجاعص. لكن هذا المؤتمر فشل، لأن عدداً من اللبنانيين والسوريين والفلسطينيين عارضوا هذا الاتجاه[٧٥].

١٤ - جمعية الوحدة السورية-العربية

أسست في القاهرة، عام ١٩١٩، بغية استقطاب اكبر قدر من الجالية اللبنانية. استهدف برنامجها جعل سورية دولة فدرالية تضم لبنان، وتكون معدة للاتحاد مع سائر الاقطار العربية في المستقبل[٧٦].

١٥ - الجمعية الأميركية Comité pro-américain

لم يذكر الأصل التاريخي، الذي أتى على ذكر هذه الجمعية، مكان انشائها وتاريخه[٧٧]. كل ما اورده يفيد ان رئاستها أسندت الى بطرس الخولي، وان برنامجها ارتكز على فكرة تكوين سوريا الموحدة بحماية أميركا[٧٨].

١٦ - الجمعية السورية في مانشستر Association syrienne de Manchester

جعلت مركزها في ٣١ شارع ماجور (31, Major Street) من هذه المدينة الإنكليزية.

وجهت في ٨ تشرين اول ١٩١٨، برقيات الى حكومات بريطانيا العظمى، فرنسا، ايطاليا والولايات المتحدة، طالبة فيها ان ترسل، بالتعاون مع الجمعيات الأرمنية التي جعلت مركزها في فرنسا، برقيات مماثلة، تطالب بوضع ممرات جبال الامانوس ومنافذ كيليكية تحت سيطرة الحلفاء، لان هذا الامر يخدم مصالح سوريا والارمن[٧٩].

هوامش الفصل الخامس

١. G. Samné *op.cit.* p. 491.

٢. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 2, F. 217.

٣. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 2, F. 218.

٤. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 1, F. 6.

٥. قد يكون أصله من بلدة بسكنتا. مقيم في باريس. شاعر مرموق باللغة الفرنسية. من ابرز مؤلفاته مسرحية «عنتر» الشعرية ورواية «دعد».

٦. زين زين، «الصراع الدولي...» ص. ١٠٤-١٠٦.

٧. G. Samné, op.cit., p. 513.

٨. G. Samné, op.cit., p.p. 491, 494, 495.

٩. G. Samné, op.cit., p. 519.

١٠. G. Samné, op.cit., p. 491.

١١. G. Samné, op.cit., p. 592.

١٢. G. Samné, op.cit., p. 588.3

١٣. G. Samné, op.cit., p.p. 591, 592.

١٤. G. Samné, op.cit., p. 593.

١٥. G. Samné, op.cit., p. 593.

١٦. G. Samné, op.cit., p. 590.

١٧. G. Samné, op.cit., p. 593.

١٨. G. Samné, ***La Syrie***, p.p. 593, 600, 601.

١٩. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 2, F. 218.

٢٠. G. Samné, op.cit., p. 491.

٢١. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 1, F. 88.

٢٢. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 2, F. 219.

٢٣. G. Samné, op.cit., p. 491.

٢٤. هي، على الأرجح، جريدة «الطان» الباريسية، التي كان يحرر فيها خيرالله خيرالله، الرافض للرعاية الفرنسية.

٢٥. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 1, F. 4,5,6.

٢٦. G. Samné, op.cit., p. 592.

٢٧. G. Samné, op.cit., p. 552.

٢٨. A.M.A.E. / E-*Levant*. Dos 27, F. 57, 58.

٢٩. G. Samné, op.cit., p. 508.

٣٠. G. Samné, op.cit., pp. 508-509.

٣١. G. Samné, op.cit., p. 591.

٣٢. مدينة ايطالية تقع على شاطىء المتوسط في مقاطعة ليغوريا (Ligurie) من اهم المراكز السياحية في الريفييرا الإيطالية.

٣٣. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 27, F. 57-58.

٣٤. G. Samné, ***La Syrie***, op. cit., p. 543.

٣٥. زين زين «الصراع الدولي ...» ص. ٢٣٢(١٢)، نقلاً عن Papers Relating to the Foreign Relations of the United States. Vol. III, p. 1024.

٣٦. كان رئيس الجامعة الاميركية في بيروت. وقد اتيح له «بتدخل اميركي» عرض وجهة نظره، بالنسبة لمستقبل سوريا.

٣٧. زين زين، «الصراع الدولي ...» ص. ص. ١٠٤-١٠٦.

٣٨. A.M.A.E./ E-*Levant*, Dos 6., F. 92.

٣٩. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 11, F. 141.

٤٠. نشر هذا الاعلان في ٧ تشرين الثاني ١٩١٨. في ٣ تشرين اول ١٩١٨ جاء شكري الايوبي من دمشق الى بيروت، قبل دخول الجيشين البريطاني والفرنسي اليها، حيث اعلن السيادة العربية، فرفع العلم العربي على المباني الرسمية، باسم الملك فيصل. امتعض الفرنسيون من هذا التصرف، وطلبوا من الجنرال اللنبي انزال العلم فأنزل. ولّد هذا التدبير قلقاً شديداً في دمشق، لم يلبث ان تحول الى غليان امتد الى مدن اخرى. سارعت حكومتا باريس ولندره الى اعلان تصريح ٧ تشرين الاول، فتوقف الغليان.

٤١. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 7 F. 163.

٤٢. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 1, F. 117 Dos 4, F. 64; Dos 7, F. 159; Dos 8, F. 54

٤٣. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 16, F. 394.

٤٤. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 21, F. 264, 265, 292.

٤٥. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 21, F. 228.

٤٦. لم تمكننا المصادر من ضبط تاريخ تأسيس الجمعية لجهة الشهر واليوم.

٤٧. المؤرخ المعروف.

٤٨. A.M.A.E./ E-*Levant*, Dos 9, Fol. 204, 205, 206.

٤٩. A.M.A.E. / E-*Levant*., D. 9, Fol. 204, 206. .

٥٠. *Correspondance d'Orient*, 1918, Nu. 189, p. 282.

٥١. *Correspondance d'Orient*, 1918, Nu. 185; A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 18, F.119.

٥٢. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 7, F. 199.

٥٣. A.M.A.E./ E-*Levant* Dos. 7, F. 161.

٥٤. A.M.A.E./ E-*Levant* Dos 7, F. 199.

٥٥. A.M.A.E./ E-*Levant* Dos 1, F. 11.

٥٦. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 7, F. 199

٥٧. A.M.A.E./ E-*Levant* Dos 7, F. 161.

٥٨. A.M.A.E./ E-*Levant* Dos 7, F. 199.

٥٩. نذكر منهم: حبيب لطف الله، خليل باشا خياط، حسن بك خالد، حسن بك حماده، احمد بك مختار الصلح، شبلي جمال، حسن بك الحكيم، خليل مشاقه، وهبه العيسى، سعيد باشا شقير، سليم ايوب ثابت باشا.

٦٠. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 3, F. 161.

٦١. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 7, F. 167-169. Dos. 8, F. 68-70.

٦٢. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 7, F. 199.

٦٣. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 30, F. 112.

٦٤. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 7, F. 161.

٦٥. A.M.A.E. / E-*Levant*...Dos 7, F. 190.

٦٦. A.M.A.E. / E-*Levant*...Dos 9, F. 118.

٦٧. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 18, F. 79.

٦٨. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 26, F. 237-239.

٦٩. A.M.A.E./ E-*Levant* Dos 27, F. 33-39.

٧٠. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 9, F. 215-216.

٧١. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 9, F. 302.

٧٢. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 21, F. 38.

٧٣. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 9, F. 3.

٧٤. *Correspondance d'Orient*, Nu. 203, 1918, p. 311.

٧٥. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 18, F. 45-46.

٧٦. يوسف السودا، المرجع ذاته، ص. ١٧٠.

٧٧. قد يكون القاهرة.

٧٨. A.M.A.E. / E- *Levant*... Dos 78, F. 145.

٧٩. A.M.A.E. / E- *Levant*... Dos 2. F 208.

الفصل السادس

الأحزاب والجمعيات العربية التوجه

١ - المنتدى الأدبي

تأسّس في القسطنطينية، صيف ١٩٠٩، على يد نخبة من رجالات العرب، الذين تمتعوا بنفوذ قوي بين جماعاتهم. ذلك انهم كانوا، اما موظفين كباراً، واما نواباً او ادباء. كما انضمت اليهم فئة من الطلبة.

سعى هؤلاء، بعد حلّ جمعية «الأخاء العربي-العثماني»[١] الى تأسيس «منتداهم» تحت عنوان اجتماعي-ثقافي، ليكون اشبه بناد، يجمع الطلاب العرب الذين ينتمون الى مختلف البلدان العربية[٢]، في مقرّ واحد، يؤمن لهم مكاناً لائقاً للاجتماع، بدل ان يظلوا يتنقلون بين المقاهي، فيقتلون أوقاتهم دون جدوى[٣]. فكان «من فئة النوادي الأدبية، التي ظاهرها ثقافي وباطنها سياسي»[٤]، مما جعله، علناً، مركزاً لالقاء المحاضرات، وإجراء الأبحاث، وتمثيل الروايات[٥]، ليس إلا.

ولاقت فكرة إنشائه قبولاً وترحيباً لدى المسؤولين العثمانيين، فسمحوا بإنشائه وشملوه برعايتهم، لانه لم يعلن ان له أهدافاً سياسية[٦]. ونورد هنا شهادة احد المعاصرين، التي تبرز قدرة «المنتدى» على إخفاء مراميه السياسية، مما أكسبه رعاية «الإتحاديين» الأتراك: «كان الوزراء وزعماء جمعية «الاتحاد والترقي» يظهرون لهذا النادي صداقة عظيمة. فزاره مراراً طلعت بك وانور باشا وجمال باشا وفتحي بك ومدحت شكري بك، وغيرهم. وألقوا فيه الخطب،

وأولموا لأعضائه الولائم، وحضروا معظم احتفالاته الدينية والأدبية، الى غير ذلك، مما يدل على ان هذا النادي كان نادياً عثمانياً بحتاً، وان الاتحاديين انفسهم اعترفوا بذلك بأقوالهم وأفعالهم الماضية. ولا يستطيعون اليوم ان يثبتوا عليه، او على احد أعضائه، عملاً واحداً كانت تشتم منه رائحة كره الترك والرغبة في الانفصال عنهم».

ومن مظاهر تخفيه بكسائه الأدبي، البعيد عن المرامي السياسية[٧]، تجهيزه بمكتبة، وإفراد قسم من بناء النادي ليكون مكاناً يستضيف الوافدين من مختلف المناطق العربية، فيؤمن لهم المنامة.

اما الغاية الخفية لتأسيسه فكانت بث فكرة القومية العربية بين الشبان العرب، لا سيما الطلاب، في الآستانة وخارجها، بمختلف الوسائل المتاحة[٨].

اما الذين تولوا عملية التأسيس، فكانوا لبنانيين: عبد الكريم الخليل (صور) وقد اصبح رئيس المنتدى، صالح حيدر (بعلبك)، يوسف مخيبر (بعلبك)؛ سوريين: رفيق سلوم (حمص) سيف الدين الخطيب (دمشق)؛ وفلسطيني: جميل الحسيني[٩]. وقد ساندتهم شخصيات اخرى، مثل: عبد الحميد الزهراوي، شفيق المؤيد، رضا الصلح، رشيد رضا، حقي العظم، رفيق العظم، حسين حيدر، طالب النقيب، عزيز علي المصري، عزت الجندي، ندره المطران، نخله المطران، ورشيد الشمعة.

ما ان ثبت النادي اقدامه حتى باشر نشاطه، بإشراف هيئته الإدارية، التي تشكلت من بعض مؤسسيه. وهم: عبد الكريم الخليل، يوسف مخيبر، وسيف الدين الخطيب.

قام النادي بنشاط فعال، اذ تمكن من تحقيق هدفه السياسي، من خلال مظهره الأدبي والاجتماعي. لم يتجسد هذا النشاط بابتكار الأفكار، بل بتوضيحها وبلورتها. من هنا تقصيره في الإسهام بحركة نشوء القومية العربية. وفي تنميتها بعناصر جديدة، واكتفاؤه بتوسيع مجال الدعوة لها.

لم يبرز، في نشاط المنتدى، خلال الأسبوع الاول من حياته، أي أثر لاهتماماته القومية، لان الكثيرين من المنتسبين اليه عاشوا حياة الطلبة، كما ان دروساً في اللغة التركية، وبعض اللغات الأجنبية، أعطيت فيه.

وبعد فترة أخذت الاهتمامات القومية المتسترة تعلن عن وجودها على يد المؤسسين والمؤيدين. باشر هذا الامر رئيس «المنتدى»، عبد الكريم الخليل، الذي أخذ يتطرق الى الشؤون السياسية بشكل خفي. ثم تبعه آخرون، امثال: الشيخ رشيد رضا وندره المطران وعبد الحميد الزهراوي وعزيز علي وسليم الجزائري، فأخذوا يلقون الخطب التاريخية بطريقة تحرك الروح الاستقلالية. اما رفيق رزق سلوم فنظم الشعر في تمجيد العرب[١٠].

واستعان «المنتدى»، في عملية بث افكاره القومية هذه، بالصحافة والنشرات. اعتمد في مجال الصحافة على مجلة «المنتدى»، وجريدة «الحضارة» التي كان يصدرها عبد الحميد الزهراوي في الآستانة، ومجلة «المنار» للشيخ رشيد رضا، اضافة الى الجرائد التي كان يصدرها المهاجرون في مصر واميركا، والتي كانت تصل الى «المنتدى» فيقرؤها المنتسبون اليه[١١]. اما النشرات فكانت توزع سراً على المنتسبين الى «المنتدى»، او تقرأ على بعض مجموعاتهم في اماكن اخرى[١٢].

وتعاون «المنتدى» مع الجمعيات التي كانت لها اهداف مماثلة. وعليه قصد عبد الكريم الخليل مصر واتصل بحزب «اللامركزية»، وبجمعية «العهد»، كما أتى سيف الدين الخطيب الى بيروت وباحث الجمعيات الإصلاحية في شؤون المطالب القومية العربية[١٣].

أسست «للمنتدى» فروع في سوريا والعراق ولبنان.

في آذار ١٩١٥، انحل المنتدى[١٤]، نظراً لنشوب الحرب وملاحقة الأتراك لأعضائه البارزين. والقي القبض على بعضهم فحوكموا واعدموا شنقاً، لان نشاطهم القومي هذا اعتبر خيانة، وهم: عبد الكريم الخليل، صالح حيدر، رفيق سلوم، وسيف الدين الخطيب[١٥].

٢- العربية الفتاة

يوجد خلاف حول تحديد سنة تأسيس هذه الجمعية، لان باحثين اهتما بتحري تاريخها، استناداً الى الاصول، هما زين زين وجورج انطونيوس، اللذين

اوردا زمنين مختلفين. الاول، وقد استقى معظم معلوماته، على ما يبدو، من كتاب «الثورة العربية الكبرى»، المجلد الاول، لأمين سعيد، ومن المعلومات التي امده بها توفيق الناطور، احد اعضاء الجمعية البارزين، يذكر انها أسست في باريس عام ١٩٠٩[١٦]. اما الثاني فيقول انها تأسست عام ١٩١١[١٧].

تولى عملية التأسيس سبعة شبان عرب كانوا يتابعون دروسهم العالية في باريس، وهم، من لبنان: محمد ومحمود المحمصاني، توفيق الناطور، عبد الغني العريسي، ورستم حيدر؛ من سوريا: جميل مردم؛ من فلسطين: عوني عبد الهادي، ورفيق التميمي[١٨].

أطلقوا عليها، اول الأمر، اسم، جمعية الناطقين بالضاد؛ ثم بدلوا اسمها، فصار: جمعية «العربية الفتاة»[١٩].

ظل مركز الجمعية في باريس، حتى سنة ١٩١٣، حيث اقتصر عدد أعضائها على المؤسسين. وبعد ان انهى هؤلاء تحصيل دروسهم العالية، عادوا الى اوطانهم في أواخر سنة ١٩١٣، فنقل مقرّها الى بيروت؛ ولم يلبث هذا المقرّ ان نقل الى دمشق، عام ١٩١٤[٢٠].

بعد هذا التاريخ، انخرط في صفوف هذه الجمعية عدد لا بأس به من مثقفي وضباط الديار العربية؛ ويبدو ان الأمير فيصل بن الحسين انتسب الى عضويتها، لما عرّج على دمشق، في أثناء عودته من الآستانة الى الحجاز.

تميزت هذه الجمعية بتنظيمها الدقيق، والحذر في انتقاء أعضائها. كان على الذي يبغي الانتساب اليها ان يقدمه احد أعضائها القدماء؛ ان يخضع لفترة اختبار يبقى خلالها جاهلاً أعضاءها؛ ان يقسم يمين الولاء لأهداف الجمعية، ولو كلفه هذا الأمر التضحية بحياته عند الاقتضاء[٢١]. وكان الأعضاء يتعارفون بمناداة بعضهم لبعض بعبارة: «يا أخي».

يوجد خلاف ايضاً بين زين زين وجورج انطونيوس حول النقطة الأساسية في برنامجها، وهي وضع البلاد العربية بالنسبة للأمبراطورية العثمانية.

يذكر الاول ان «هدف الجمعية السياسي نيل الاستقلال العربي داخل اطار الأمبراطورية العثمانية المزدوجة العرق»، أي العرق التركي والعرق العربي «على نمط يشبه تركيب الأمبراطورية النمساوية-الهنغارية»[٢٢]. وهذا يعني ان البلاد

العربية ستظل جزءاً من أمبراطورية بني عثمان، انما سيكون لها استقلال داخلي.

اما الثاني فيورد ان «اهداف الجمعية كانت السعي لاستقلال البلاد العربية وتحريرها من السيطرة التركية او اية سيطرة اجنبية اخرى»[٢٣]. وهذا يعني وصولها الى استقلالها التام المطلق، وبالتالي انفصالها نهائياً عن أمبراطورية السلاطين. وليبرز هذه النزعة الجديدة في المطالب العربية، ويحدد مكانتها في سياق تطورها، يقارن انطونيوس بين برامج الجمعيات السابقة، التي ارست امانيها على «الحكم الذاتي»، وبين «المثل العليا» التي سعت «العربية الفتاة» الى تحقيقها، وهذا تقدم ملحوظ بالنسبة «للبرامج السابقة التي كانت ترمي الى الحكم الذاتي في نطاق الدولة، وهو رجوع غير «مقصود الى المثل العليا التي كانت تدعو اليها جمعية بيروت السرية»[٢٤].

اما ما اورده سليمان موسى حول هذا الموضوع، استناداً الى اوراق محب الدين الخطيب فمبهم، انما يقرب مما اقرّه انطونيوس: كان مبدأ الجمعية «تحرير الأمة العربية حسب الأحوال والظروف خطوة فخطوة بكل الوسائل الشرعية وغير الشرعية»[٢٥].

اما الأصل الذي استند اليه الدكتور زين، ليورد ما قاله في هذا الموضوع، فهو حديث جرى بينه وبين توفيق الناطور قال له فيه ما يلي: «ان فكرة القومية العربية، او العروبة، لم تكن بعد قد تبلورت وقويت. جلّ ماكنا، نحن العرب، نطلبه، هو ان نتمتع في الأمبراطورية العثمانية بالحقوق والواجبات نفسها التي كان يتمتع بها الأتراك، و ان تقوم الأمبراطورية على ركنين عظيمين، الشعب التركي والشعب العربي»[٢٦].

هذا وقد ظل امر هذه الجمعية سراً مكتوماً على السلطات التركية وغيرها، فلم يعلن عن وجودها، والتعرف الى هويتها، الا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وتحرر المناطق العربية من ثقل النير التركي[٢٧].

لكنّ بعض أعضائها شنقوا، على انهم قاموا بنشاطات قومية، اعتبرت اعمالاً خيانية، وهم: عبد الغني العريسي، محمد ومحمود المحمصاني، سيف الدين الخطيب، رفيق رزق سلوم، توفيق البساط، عارف الشهابي، وعمر حمد[٢٨].

٣- القحطانية

تأسست في الآستانة[٢٩] في أواخر سنة ١٩٠٩[٣٠]. قامت بعملية التأسيس هذه، نخبة من الشبان العرب، تميزوا بالشجاعة وروح الأقدام، نذكر منهم، من لبنان: الأميرين امين وعادل ارسلان، خليل حماده؛ من سوريا: سليم الجزائري، امين كزما، صفوت العوا، شكري العسلي، حقي العظم، وعزت الجندي؛ من فلسطين: علي النشاشيبي؛ من مصر: عزيز علي.

وبما انها أنشئت في إطار السرية، كان على مؤسسيها ان يحتاطوا كثيراً في عملية انتقاء أعضائها، فلا يقبلون بالانتماء اليها الا الذين لا يشك بوطنيتهم ويقدرون على كتمان السر. ويبدو ان المنتسبين اليها كانوا على فئتين: فئة الأركان، المطّلعين على خفايا وأسرار الجمعية، وفئة المنضوين الجدد، غير العارفين بكل ما يتصل بها.

وانسجاماً مع هذا المبدأ كان للجمعية طريقة سرية يتم التعارف بواسطتها بين الأعضاء[٣١]. كان التعارف يتم بالإشارة والكلام. تمثلت الإشارة بضغط احد أصابع المتعارفين على يد الاخر، وبوضع أصبعين، السبابة والوسطى، على الذراع اليسرى، واخفاء سائر الأصابع. اما الكلام فكان يحصل بتهجئة حوارية اثناء التحادث، لكلمتين، تعتبران درجتين، الاولى بواسطة كلمة «هلال»: يلفظ الواحد «هاء»، فيجيبه الثاني «لام»، يقول الاول «أ»، فيقابله الثاني بـ«لام». اما الثانية فكانت تحصل بكلمة «ابو بكر»: يبدأ الاول لافظاً «الألف»، فيجيبه من كان على درجته «باء»، وهكذا دواليك حتى انتهاء تهجئة الكلمة بكاملها. وثمة امر آخر تقيدت به الجمعية لكتمان امرها: الامتناع عن كتابة أي شيء خوفاً من وقوعه يوماً ما في أيدي الأتراك، والاكتفاء بالمداولات الشفهية[٣٢].

قام برنامجها على فكرة اساسية تميزت بالجدة والجرأة، لان الأجواء السياسية في الأمبراطورية العثمانية لم تألفها من قبل، الا وهي صياغة الدولة العثمانية في بنية جديدة تكون مملكة بتاجين، مستوحاة من تركيبة الأمبراطورية النمساوية-المجرية. فكما ان سيد هذه الأمبراطورية النمساوية يضع على رأسه تاجاً ثانياً هو تاج المجر، بإمكان السلطان التركي، في الآستانة، ان يضع على رأسه تاجين: تركياً وعربياً. وعليه دعت هذه الجمعية الى تأليف أمبراطورية

ثنائية، تركية-عربية، شبيهة بالأمبراطورية النمساوية-المجرية، يتكون قسمها العربي من الولايات العربية، التي سيكون لها برلمان وحكومة محليين، وتكون العربية فيها لغة التعليم والمؤسسات.

تحتل هذه الجمعية مرتبة خاصة في تاريخ الحركة العربية، تمثلت في كونها اول جمعية ضمت الى صفوفها عدداً من الضباط العرب[٣٣]، مما اعطاها قوة وتأثيراً بين الشبان العرب[٣٤].

قامت هذه الجمعية بنشاط هام في اول عهدها. ثم اخذ هذا النشاط يتضاءل شيئاً فشيئاً، حتى اضمحلت بسبب الاهمال. ذلك ان احد أعضائها خان الثقة به، فقلق أركانها على مصيرهم، ورأوا انه يستحيل عليهم متابعة نشاطهم في إطارها، فتركوها تتلاشى، دون ان يتخذوا قراراً بحلها.

وأثناء الحرب قبض على بعض أفرادها، فحوكموا وأعدموا، مثل علي النشاشيبي وشكري العسلي[٣٥].

٤- حزب اللامركزية الإدارية العثماني

أنشئ في القاهرة عام ١٩١٢، على يد عشرين شخصية من رجالات المقاطعات العربية، تمرست بالشؤون العامة. كان ابرزهم، من لبنان: اسكندر عمون، داود بركات، شبلي الشميل، سامي جريديني، رشيد رضا، فؤاد الخطيب؛ من سوريا: رفيق العظم وحقي العظم، نايف تلّلو؛ من فلسطين: عبد الحميد الزهراوي، سليم عبد الهادي، حافظ السعيد، علي النشاشيبي.

اما الهيئة الإدارية فتألفت من لجنة سداسية[٣٦] عليا، كان رئيسها رفيق العظم، وسكرتيرها حقي العظم[٣٧].

أُنشئت فروع لهذا الحزب في مختلف المدن العربية الكبرى[٣٨]، اضافة الى وكالات صغيرة اقيمت في مدن اخرى[٣٩].

ركز المؤسسون حزبهم على نظام اساسي، زوّدوه بجهاز دقيق ومحكم، وببرنامج ذي شقين: حاجة الدولة العثمانية الى لامركزية إدارية، وتعبئة الرأي العام العربي تأييداً لهذه اللامركزية. وعليه غدت «افضل منظمة ذات سلطة تتكلم بلسان

العرب وتفصح عن أمانيهم». وتحقيقاً لهذه الغاية، نشر الحزب برنامجه في بيان احتوى ست عشر مادة، دارت، من جهة اولى، على منافع اللامركزية بالنسبة لأمبراطورية يتكون شعبها من قوميات مختلفة؛ ومن جهة ثانية على هدف الحزب، وهو صون الأمبراطورية العثمانية من التفكك، لانها معرضة لاخطار خارجية وداخلية، وذلك بالاعتماد على «الشعور بالولاء لوحدة الأمبراطورية العثمانية ...».

اما الوصول الى هذا الهدف فيتم بتحقيق الأمور التالية: بناء السلطة على اساس دستوري نيابي؛ اعتبار كل ولاية من ولايات السلطنة، جزءاً لا يمكنه الانفصال عن الأمبراطورية، اياً كانت الظروف؛ تنظيم الإدارة في كل من الولايات على مبدإ اللامركزية الإدارية؛ يكون لكل ولاية وال وقاض للقضاة يعينهما السلطان الأعظم، كما يكون لها اربعة مجالس: واحدٌ عمومي، وثان اداري، وثالث للمعارف، ورابع للأوقاف؛ تكون لكل ولاية لغتان رسميتان: التركية والعربية. اما التعليم فيتم بلغة اهل الولاية[٤٠].

واذ كانت غاية هذا الحزب الاساسية الدفاع عن حقوق العرب، قام بنشاط بارز في ميدان التوعية العربية، ساعدته فيه دقة تنظيمه، الامر الذي بوأه مركزاً رفيعاً في تاريخ الحركة العربية، لانها دشنت اولى خطواتها على نحو منظم[٤١]. ذلك ان ما قام به العرب، خلال السنوات الثلاث التي تلت مباشرة سياسة الاتحاديين التتريكية، دفاعاً عن ذاتيتهم، تميز بالتقطع والتشتت.

وما ان دخل حزب اللامركزية ميدان العمل القومي العربي، حتى باشرت هذه الحركة مرحلة العمل المنظم، لانها بدأت تعتمد على نهج التنسيق المتواصل[٤٢]، مما ساعد الوعي القومي العربي على التغلغل في نفوس عدد لا بأس به من شباب العرب.

٥- جمعية العهد

أسسها عزيز المصري، في الآستانة، في ٢٨/ ١٠/ ١٩١٣. تميزت بكونها عسكرية محضة، لان أعضاءها جميعاً كانوا من العسكريين، باستثناء مدنيين، لبنانيين، كان احدهما عادل ارسلان.

من ابرز الضباط العثمانيين الدمشقيين الذين انضموا الى عضويتها ثلاثة: عارف النوام، سليم الحافظ وجميل المدفعي، الامر الذي عزز مركزها في دمشق.

كان هدفها حض العرب على القيام بثورة ضد العثمانيين.

ضمت هذه الجمعية جهودها السرية الى جهود «العربية الفتاة» سنة ١٩١٥، فأتيح لكل واحدة منهما، في هذا العام، ان تعرف بوجود الاخرى[٤٣]، «ولم تكن هاتان الجمعيتان تعرفان بوجود بعضهما البعض حتى العام المذكور».

٦- جمعية الإصلاح العام في بيروت

سيطرت، في مطلع العقد الثاني من القرن العشرين، على بعض مقاطعات الأمبراطورية العثمانية، لا سيما العربية منها، موجة اجتماعية-سياسية عارمة استهدفت إجراء إصلاحات في دولة بني عثمان، اعتبرها المطالبون بها، شأناً اساسياً. وتدليلاً على قوة انتشار هذه الموجة نذكر، ان كلمة «اصلاح»، اضحت تعبيراً تتناقله الألسن، لمناسبة او لغير مناسبة.

وكان سكان بيروت في طليعة الذين غمرتهم هذه الموجة، فساروا في ركابها، مما دفعهم الى التشاور والتباحث، فإقرار بعض الامور والمطالبة بتحقيقها. وقد تم هذا الامر في اجتماع عقدوه بتاريخ ٢١ كانون اول ١٩١٣. وقد اولت جريدة «المقطم» القاهرية هذا الامر اهتماماً خاصاً، فنشرت في العدد ٢٢٧، تاريخ ٤/ ١/ ١٩١٣، مقالاً افتتاحياً أعطى فكرة عن هذه الحركة. ولم تلبث هذه الحركة ان تبلورت، فأدّت الى تأسيس «جمعية الاصلاح العام» في بيروت[٤٤].

كيف تم هذا الأمر؟

كانت لقيام هذه الحركة الإصلاحية عدة اسباب بعيدة وقريبة[٤٥]. اما السبب المباشر فتمثل باحتلال الطليان لليبيا، انطلاقاً من طرابلس الغرب، سنة ١٩١١، وبخروج تركيا منهزمة من حرب البلقان (١٩١٢-١٩١٣)[٤٦].

تجاه هذا الوضع المضطرب، الناجم عن ضعف الدولة العلية، قلقت افكار أعيان بعض الولايات العثمانية، خوفاً على مصيرها. وكان أشدهم قلقاً اعيان ولاية بيروت، لموقعها الجغرافي، الذي جعلها محط أنظار الطامعين في الاستيلاء على ما يمكن الاستيلاء عليه من ارث أمبراطورية بني عثمان، الآخذ بالتفكك.

بادر نفر من اعيان بيروت الى التشاور، بغية ايجاد حلّ يضمن مستقبل ولاية بيروت، فبرزت بعض المقترحات[٤٧]. وبعد التداول قرّ الرأي «قلباً وقالباً على البقاء في حظيرة الدولة». وعليه اتصل سليم سلام، بالوالي الجديد، ادهم بك، وأطلعه على حقيقة الوضع، لافتاً نظره الى ان معالجة المشكلة تتم «بإجراء إصلاحات واسعة النطاق». اقتنع ادهم بك بوجهة نظر الوجيه البيروتي، فسعى الى تحقيقها، بالتفاهم مع الصدر الأعظم، كامل باشا، ففشل. لكنه ألف هيئة برئاسته ضمت كامل الصلح، احمد مختار بيهم، ابراهيم ثابت وبترو طراد، غايتها «تنظيم لائحة إصلاحية» ترفع الى السلطات العثمانية. واذ تحفظ سلام على تأليف هذه الهيئة، التي لن تضع الا لائحة حكومية، اشار عليه الوالي بوضع لائحة اخرى، تترجم رغبات ابناء الولاية[٤٨]. فشكل هذا الامر البادرة التي ادت الى تأليف الجمعية على اساس لا طائفي، لان مؤسسيها مثلوا جميع طوائف المدينة.

ولوضع هذا التوجه موضع التنفيذ، انتدبت طوائف بيروت اربعة وثمانين مندوباً عنها انتخبوا انتخاباً: اثنين واربعين مثلوا المسلمين[٤٩]، واثنين واربعين مثلوا سائر الطوائف[٥٠].

ويوم الاحد، في الرابع والعشرين من كانون الثاني ١٩١٣، الساعة الثالثة بعد الظهر، اجتمع المندوبون في دار البلدية. ترأس الجلسة الافتتاحية الشيخ احمد عباس الأزهري. وبعد تبادل الآراء أتفق على انتخاب «لجنة عاملة»، تعمد الى وضع لائحة بالإصلاحات التي تحتاج اليها ولاية بيروت، والسعي الى تنفيذها. تألفت اللجنة من خمسة وعشرين عضواً انتخبوا بالاقتراع السرّي، ومثلوا طوائف المدينة كافة: اثنا عشر مثلوا المسلمين، واثنا عشر مثلوا المسيحيين، وواحد مثل الطائفة الإسرائيلية.

فاز بعضوية اللجنة: احمد مختار بيهم، سليم علي سلام، الدكتور ايوب ثابت، خليل زينية، جان تويني، كامل الصلح، بترو طراد، محمد ابراهيم الطيارة، ابراهيم الحكيم، احمد حسن طبارة، محمد الفاخوري، جان نقاش، رزق الله أرقش، الحاج سليم البواب، حسن الناطور، جميل الحسامي، جرجي رزق الله، البر بسول، حبيب فرعون، عبدالحميد الغندور، البر يوسف سرسق، عبد الباسط فتح الله، يوسف الهاني، فؤاد حنتس، جان بسترس[٥١].

واختير كل من بترو طراد وسليم علي سلام «ليكونا مديرين مسؤولين عن أعمال الجمعية واستحصالها على رخصة رسمية». كما انتخب محمد بيهم ويوسف سرسق ليكونا رئيسي شرف لها.

وبعد الانتهاء من عملية التأسيس، سعت اللجنة العاملة الى تحقيق برنامجها الإصلاحي، فعقدت لهذه الغاية عدة جلسات، في «اليقظة»، «النادي الإصلاحي»[٥٢]، كما أصدرت نشرة اطلقت عليها اسم Réveil. وادت جلسات اللجنة العاملة الى صياغة برنامج إصلاحي تضمن خمس عشرة مادة دارت على الامور التالية: اعتبار «الحكومة العثمانية حكومة دستورية نيابية»؛ الادارة؛ الوالي وحقوقه ووظائفه؛ المجلس العمومي، حقوقه ووظائفه، الوالي والمجلس العمومي؛ لجنة المجلس العمومي؛ الموظفون: تعيينهم وعزلهم؛ المستشارون والمفتشون؛ مالية الولاية؛ مضمون مالية الولاية؛ الأراضي المحصولة والأملاك الأميرية؛ الأوقاف؛ البلديات؛ مجلس المفتشين؛ اللغة المحلية (مساواة اللغة العربية باللغة التركية)، الخدمة العسكرية.

وفي ٣١ كانون الثاني ١٩١٣، عقدت هيئة الجمعية الإصلاحية جلسة عامة، قرئت في أثنائها بنود البرنامج بنداً بنداً، فصدق عليها بالإجماع.

من اهم ما ورد في هذا البرنامج: شكل الحكومة العثمانية، الذي يجب ان يكون دستورياً تمثيلياً، تخويل الإدارة المركزية (في اسطمبول) صلاحية الاهتمام بالشؤون الخارجية، والجيش، والجمارك، والبريد، والتلغراف، والتشريع، والضرائب؛ إعطاء المجلس الأعلى للولاية حق الاهتمام بالقضايا الداخلية، اضافة الى صلاحية عزل الوالي التركي الذي يحكمها، بأغلبية ثلثي الأصوات؛ اعتبار اللغة العربية لغة الولاية الرسمية، واحدى اللغتين الرسميتين، (الى جانب

التركية)، في المبعوثان والأعيان[٥٣].

وقبل اقرار برنامج الجمعية بأسبوع، هاجم الاتحاديون الباب العالي، فقتلوا ناظر الحربية وآخرين، الامر الذي ادى الى إسقاط حكومة كامل باشا وتأليف حكومة جديدة برئاسة محمود شوكت باشا. وعمدت الحكومة الجديدة الى عزل والي بيروت، ادهم بك، والى تعيين أبا بكر حازم بك مكانه[٥٤].

وصل الوالي الجديد الى بيروت في ٧ آذار ١٩١٣. وفي ١٢ منه استقبل اللجنة الإصلاحية برئاسة سليم علي سلام، التي قدمت اليه اللائحة الإصلاحية.

وبعد ان اطلع الوالي على اللائحة وضع لجنة الجمعية امام خيارين: انتظار تبلغ قانون الولايات الجديد، الذي صدرت بشأن تنفيذه ارادة سنية، والمتضمن بعض مطالب الجمعية، او ارسال لائحة المطالب الى المراجع المختصة في الآستانة. ففضلت اللجنة الخيار الثاني. وارسل الوالي لائحة الجمعية الإصلاحية الى السلطات العثمانية في الآستانة.

هذا وابرقت لجنة الجمعية الى الصدارة العظمى والى نظارة الداخلية، طالبة «استصدار الارادة السنية بتنفيذها».

اعتبر ما قامت به هذه الجمعية، في المجال السياسي، «نشاطاً غير مألوف في البلاد لا سيما وانها قد اظهرت، خلال الفترة القصيرة التي امتدت عليها حياتها، «شجاعة في حملتها الإصلاحية لاعهد للناس بها من قبل»[٥٥].

دفع الجو المسيطر على سياسة حزب الاتحاد والترقي الحاكم، السلطة الى التصدي بسرعة لمثل هذا البرنامج الإصلاحي العلني، والهادف الى تحقيق نوع من المساواة بين الأتراك والعرب. فما ان مضت بضعة شهور على اعلان هذه المبادئ الإصلاحية، حتى اصدر والي بيروت التركي، ابو بكر حازم، في ٨ نيسان ١٩١٣، قراراً حل بموجبه جمعية الإصلاح البيروتية، معتبراً اياها غير قانونية، مما ادى الى اقفال ناديها ومنعها من ممارسة نشاطها[٥٦].

واستدعى الوالي، في اليوم نفسه، سليم علي سلام وبترو طراد، ليبلغهما قرار حل الجمعية واقفال ناديها. وحاول ممثلا الجمعية ان يقنعا الوالي بالتخلي عن القرار، استناداً الى قانونيتها، والى استيحاء مبادئها من «سياسة جمعية الاتحاد والترقي وجمعية الحرية والائتلاف ...»، ففشلا. وتحسبت سلطات

بيروت لردات الفعل التي قد يحدثها هذا الامر، فاحتاطت لها بتكثيف دورياتها الأمنية في شوارع المدينة، تساندها القوى العسكرية.

أحدث هذا التدبير الجذري ردود فعل معارضة، ترجمتها ثلاث جهات: الصحف، الجمعية، والرأي العام.

اجمعت الصحف، ما عدا واحدة، على شجب هذا التدبير، بالصدور على نحو غير مألوف، اذ نشرت، في صفحتها الاولى، نص قرار الإلغاء، داخل إطار اسود، علامة الحداد، تاركة سائر صفحاتها بيضاء.

اما الجمعية فاحتجت على هذا التدبير امام الوالي، ولدى قنصليتي بريطانيا وفرنسا. اجتمعت هيئة الجمعية فأقرت برقية احتجاج وجهتها الى الوالي اوردت فيها ان حل الجمعية، على يده، يتنافى مع احكام الدستور، ويخالف نوايا السلطان، لان برنامج الجمعية منسجم مع توجهات الحكم الذي تبنى سياسة الإصلاح حفاظاً على عظمة العرش، الذي تضرر كثيراً من سوء الإدارة؛ وادى هذا التدبير، ايضاً، الى الضغط على «الاستقلال الشخصي وحرية الفكر»، الامر الذي يرفضه العالم المتمدن[٥٧].

واحتجت الجمعية على تدبير الحل، لدى قنصليتي فرنسا وبريطانيا اللتين دعمتا الجمعية في موقفها وشجّعتاها على القيام بشبه تمرد على قرار السلطة. ذلك انه قيل للذين قصدوا القنصلية البريطانية ان بإمكانهم عقد اجتماعاتهم في مبنى الكلية السورية الإنجيلية (جامعة بيروت الأميركية اليوم)، التي كانت تعتبر، آنذاك، على ما يظهر، ارضاً اجنبية ذات حصانة، تؤمن لهم حرية الاجتماع. وعندما اطلع القنصل الفرنسي على هذا الموقف البريطاني، وافق عليه ونصح ممثلي الجمعية بالعمل بمقتضاه[٥٨].

اما الرأي العام، فقد عبّر عن رفضه الحل بإرسال برقية احتجاج، وبإقفال المدينة. ارسلت برقية الإحتجاج الى الصدارة العظمى، ونظارة الداخلية، والوالي، والى جريدتي «اقدام» و«صباح»؛ وقد وقعها ١٣٠٠ من أعيان المدينة، انتمى معظمهم الى الفئات الراقية ومختلف طبقات الشعب، اضافة الى جميع الطوائف؛ دارت البرقية على ان الحجج التي دفعت الحكومة المحلية الى اصدار امر اداري بحل الجمعية الإصلاحية البيروتية، لانها مغايرة لقانون الجمعيات،

ولان بعض ما طالبت به من إصلاحات يتعارض مع مضمون القانون الأساسي، هي باطلة. ذلك ان الجمعية تألفت بعد الترخيص لها بذلك، وان مطالبها تعبر عن رغبات الأهالي. وعليه يحتج موقعو هذه البرقية على امر الحلّ، ويطالبون بإلغائه.

ولم تكتف بيروت بهذه الوسيلة، تعبيراً عن احتجاجها، بل لجأت في ١٢ نيسان ١٩١٣ الى الاقفال العام. واذ شاع ان المدينة عازمة على الإقفال يوماً آخر، ارسل الوالي الى الأسواق منادياً هدّد الأهالي بالعقاب، إزاء ما يجري. كما عمد الى الصاق اعلان رسمي على جدران المنازل والمحال، دعا فيه السكان الى عدم الإنسياق وراء أضاليل البعض، والا تعرضوا للعقوبات.

ووقفت السلطات العثمانية العليا من ردود فعل الأهالي موقفاً معتدلاً، مرناً وحازماً في آن معاً. اجاب الصدر الأعظم، سعيد باشا، عن برقية الأهالي ببرقية، وافق فيها على قرار الوالي بحل الجمعية، اذ اعتبر تأسيسها مخالفاً للقانون، واشار على سكان بيروت بتوجيه مطالبهم الإصلاحية الى مجلس المبعوثان، فيرى ما يمكن تطبيقه منها، واوصت البرقية السلطات بإحالة مخالفي تدابير الحكومة على الديوان الحربي، فيصدر حكمه بحقهم خلال «ساعة او ساعتين».

وزادت البرقية وتدابير الوالي، الوضع تأزماً. ذلك ان مضمون البرقية ولا سيما «عبارة إصدار الحكم في ساعة او ساعتين» أهاجتا الأهالي كثيراً. وكان الوالي قد امر بالقبض على بعض الأفراد، وهم: زكريا طبارة، اسكندر العازار، رزق الله ارقش، سليم الطيارة، ومختار ناصر، وارسلهم الى الديوان العرفي لمحاكمتهم. لكن محمد بيهم ويوسف سرسق اتفقا مع حاكم الولاية على اطلاق سراح الموقوفين، مقابل دفع الأهالي الى فتح المدينة، الذي دام إقفالها اربعة ايام. وعقد ديوان الحرب العرفي جلسة اصدر بنتيجتها قراراً قضى بتبرئة الموقوفين. وانتهى الأمر عند هذا الحدّ.

٧- جمعية العرب السبعة Comité des Sept Arabes

أسست هذه الجمعية في القاهرة، في ربيع سنة ١٩١٨[٥٩]، على يد سبعة من الشبان السوريين واللبنانيين، تمتعوا بمكانة ونفوذ قويين، هم: مختار الصلح، حسن حماده، رفيق العظم، الشيخ كامل القصاب، عبد الرحمن شهبندر، خالد الحكيم، فوزي البكرى[٦٠].

ظلت اسماء هؤلاء طي الكتمان فترة طويلة من الزمن، وذلك بناء على رغبتهم الشديدة، لانهم حرصوا على تجنب استياء الحسين منهم، بسبب المقارنة التي اوردوها في مذكرتهم التي سيرد ذكرها، والتي بينوا فيها ان الحجاز هو دون المقاطعات العربية الشمالية، رقياً[٦١]. اما السبب الذي دفع هذه النخبة الى انشاء الجمعية فهو خوفها على مصير القضية العربية التي دعمتها اتفاقية الحسين-مكماهون، من الخطر الذي بدأ يتهددها، اثر ابرام اتفاقية سايكس-بيكو، واعلان وعد بلفور[٦٢].

أبرز ما قامت به هذه الجمعية من نشاط، المذكرة التي وجهتها الى الحكومة البريطانية، والتي ضمنتها الامور التالية:

- نظرتها حيال وضع البلدان العربية، من وجهيه الداخلي والخارجي.
- الطلب من الحكومة البريطانية تزويدها بمعلومات اجمالية وواضحة عن السياسة التي ترغب هذه الحكومة تطبيقها في البلدان العربية.
- اشكال الحكم التي ستقام في كل من سوريا والعراق وفلسطين[٦٣].

سلمت هذه المذكرة الى الحكومة البريطانية، بواسطة المكتب العربي في القاهرة[٦٤]، في السادس عشر من حزيران سنة ١٩١٨. اجابت وزارة الخارجية البريطانية عن مذكرة السبعة برد خطي عرف باسم «التصريح الموجه للسبعة». سلم الجواب الى أعضاء الجمعية موظف كبير في مصلحة الاستخبارات، هو السيد والروند، وذلك اثناء اجتماع عقد لهذه الغاية في مقر قيادة الجيش البريطاني بالقاهرة، كما سلمت نسخة منه الى الملك حسين. وتلي «التصريح» على «السبعة» بنصه الإنكليزي اولاً، ثم عربه احدهم ليتسنى للذين يجهلون الإنكليزية، الاطلاع على مضمونه.

دار التصريح على مستقبل البلدان العربية السياسي كما تصورته الحكومة البريطانية. بدأ بمقدمة اظهرت اهتمام حكومة صاحب الجلالة بمضمون مذكرة «السبعة»، وتقديرها للأسباب التي حدت بمرسليها الى اخفاء أسمائهم، وهو امر لم يقلل من قيمتها في نظر الحكومة البريطانية.

ثم تعرض لأساس الموضوع، فقسم المناطق، موضوع البحث، الى اربعة أقسام، وحدد تصور حكومة بريطانيا لمستقبلها السياسي.

يتألف القسمان، الاول والثاني، من الأراضي التي كانت خارج السيطرة التركية، والتي كانت حرة ومستقلة، ومن الأراضي التي حررها العرب انفسهم اثناء الحرب(٦٥). يضم هذان القسمان شبه الجزيرة العربية، من عدن حتى العقبة(٦٦). تعترف بريطانيا «بالاستقلال التام والسيادة للعرب الذين يقطنون هذه الأراضي وتؤيدهم في جهادهم في سبيل الحرية»(٦٧).

اما القسم الثالث فيتألف من الأراضي التي حررتها جيوش الحلفاء من السيطرة التركية، ويضم قسماً من العراق يقع بين الخليج الفارسي وخط يمتد شمال بغداد، اضافة الى قسم من فلسطين يقع بين مصر وخط يرتسم الى الشمال ويمر بالقدس ويافا(٦٨). اظهرت بريطانيا حيال هذه المناطق موقفاً مبهماً لا يبعث على الارتياح، اذ أحالت «السبعة» على «نصوص التصريحات الصادرة من القواد العامين، عند الاستيلاء على بغداد والقدس». لكنها راعت شعورهم الاستقلالي بذكرها ان «حكومة هذه الاقاليم» ستنبثق من مبدأ حق تقرير المصير، لانها ستقام على «رضى المحكومين»(٦٩).

اما القسم الرابع فيشمل الأراضي التي لا تزال خاضعة للسيطرة التركية، ويضم معظم سورية والموصل(٧٠). وقد تمنت لها حكومة لندن نيل «الحرية والاستقلال»، واستمرارها في العمل «على تحقيق هذه الغاية»(٧١).

اعتبر هذا «التصريح» اهم البيانات التي اصدرتها الحكومة البريطانية، حيال موقفها من المناطق العربية؛ اولاً لانه يؤكد حرصها على التمسك بالعهود التي قطعتها للعرب، وذلك بلغة اكثر وضوحاً؛ وثانياً لانه يبرز المبدأين اللذين ستسير على هديهما في سياستها العربية المستقبلية، وهما: سعيها المتواصل الى إنالة هذه البلدان حريتها واستقلالها، وتعهدها بالا تقيم فيها انظمة حكم لا يرتضيها

السكان(٧٢).

وقد أعار العرب تشديد بريطانيا على هذين التأكيدين اهتماماً بالغاً، لانهما برزا بعد إبرام اتفاقية سايكس-بيكو، مما افسح امامهم مجال الاستنتاج - وذلك على حق - بأنهما منبثقين من فكرة «حق تقرير المصير»، التي اطلقها الرئيس الأميركي ولسون، من ضمن مبادئه الأربعة عشر، وان بريطانيا ستعتمدهما منطلقين لتسوية اوضاع الولايات العربية التي تحررت من السيطرة التركية(٧٣).

ما ان اطلع زعماء العرب وقادتهم على مضمون تصريح وزارة الخارجية البريطانية، حتى غمرتهم موجة من الغبطة، لم تلبث ان مسحت من نفوسهم حالة اليأس التي هيمنت عليهم، مما دفعهم الى التحمس والمشاركة باندفاع في المعارك الأخيرة للحرب.

هوامش الفصل السادس

١. أنشئت هذه الجمعية قبل حصول انقلاب حزب «الاتحاد والترقي»، في تموز ١٨٧٦، واعلان الدستور. انظر جورج انطونيوس: **يقظة العرب**، ص. ص. ١٧٧-١٨٠.

٢. جورج انطونيوس: المرجع ذاته، ص.ص. ١٨٣-١٨٧.

٣. ابراهيم كنعان، **لبنان في الحرب الكبرى**، ص. ٢١٤.

٤. منير مشابك موسى، **الفكر العربي في العصر الحديث**، ص. ١٩٩.

٥. اسكندر لوقا، **الحركة الأدبية في دمشق**، (١٨٠٠-١٩١٨)، ص. ٢٠٢.

٦. **ثورة العرب ضد الأتراك...**، بقلم احد أعضاء الجمعيات السرية العربية، حققه وقدم له الدكتور عصام محمد شبارو.

٧. احمد عزت الأعظمي، **القضية العربية الجزء الثالث**، ص. ٣، بغداد.

٨. جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ١٨٤.

٩. ابراهيم كنعان، المرجع ذاته، ص. ٢١٤.

١٠. ابراهيم كنعان، المرجع ذاته، ص.ص. ٢١٦-٢١٨.

١١. ابراهيم كنعان، المرجع ذاته، ص. ٢٢١.

١٢. ابراهيم كنعان، المرجع ذاته، ص.ص. ٢٢١-٢٢٢.

١٣. ابراهيم كنعان، المرجع ذاته، ص. ٢٢٢.

١٤. ابراهيم كنعان، المرجع ذاته، ص. ٢٢٤.

١٥. جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ١٨٤، الهامش.

١٦. زين زين **نشوء القومية العربية**، ص. ٩١، مع الهامش.

١٧ . جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ١٨٧ .

١٨ . جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ٨٧. لكن سليمان موسى يحصر مهمة تأسيسه بثلاثة: رستم حيدر، احمد قدري وعوني عبد الهادي. **الحركة العربية**، ص. ٣٣.
اما عدد الذين انتسبوا الى الجمعية، فلم يتعد الستين، على ما ذكر سليمان موسى. لكنه زاد على المئتين، حسب ما اورده جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ١٨٨.

١٩ . زين زين، المرجع ذاته، ص. ٩١.

٢٠ . جورج انطونيوس. المرجع ذاته، ص. ١٨٨.

٢١ . جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ١٨٨.

٢٢ . زين زين، المرجع ذاته، ص. ٩١.

٢٣ . جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ١٨٨.

٢٤ . جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ١٨٨.

٢٥ . سليمان موسى، المرجع ذاته، ص. ٣٣.

٢٦ . زين زين، المرجع ذاته، ص. ٩٢، راجع ايضاً مجلة **المنار**، المجلد ١٦، الجزء ٧ (٤ تموز ١٩١٣)، ص. ٥٤٧.

٢٧ . جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ١٨٨.

٢٨ . جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ١٨٧، الهامش؛ سليمان موسى المرجع ذاته، ص. ٣٤، الهامش.

٢٩ . ابراهيم كنعان، المرجع ذاته، ص. ٢٢٥.

٣٠ . جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ١٨٦.

٣١ . جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ١٨٧.

٣٢ . ابراهيم كنعان، المرجع ذاته، ص. ٢٢٦.

٣٣ . ابرزهم: عزيز علي المصري، سليم الجزائري، صفوت العوا، علي النشاشيبي.

٣٤ . جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص.ص. ١٨٦-١٨٧.

٣٥ . جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ١٨٧، الهامش.

٣٦ . جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ١٨٥.

٣٧ . ابراهيم كنعان، المرجع ذاته، ص. ٣٠٥.

٣٨ . ابراهيم كنعان، المرجع ذاته، ص. ٣٠٦.

٣٩ . جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ١٨٥.

٤٠ . زين زين، المرجع ذاته، ص. ٩٤، لمزيد من التفاصيل انظر: مجلة **المنار** لاحد ابرز مؤسسي الحزب، رشيد رضا، المجلد ١٦ الجزء ٣، ٨ آذار ١٩١٣، ص.ص. ٢٢٩-٢٣١.

٤١ . جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ١٨٥.

٤٢ . جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ١٨٦.

٤٣ . محمد بديع شريف، **دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة**، ص. ٩١، نقلاً عن اسكندر لوقا، **الحركة الأدبية في دمشق**، ص.ص. ٢٠٤-٢٠٥.

٤٤ . زين زين، المرجع ذاته، ص.ص. ٩٧ و٩٨.

٤٥ . راجع: الفصل الرابع من كتاب زين زين، المذكور اعلاه، ص.ص. ٥٥-١٠٩.

٤٦ . في تلك السنة هاجم الطليان طرابلس الغرب، دون سابق انذار، فاحتلوها بعد مقاومة

عنيفة. واستمر الأهالي في مقاومة الاحتلال الإيطالي، مستفيدين من دعم الباب العالي لهم، الذي امدهم بالضباط وبالعتاد عبر الأراضي المصرية. وترافق هذا الامر مع وجود قطعتين حربيتين عثمانيتين في مرفأ بيروت، ظن الطليان انهما تهربان العتاد الى طرابلس الغرب، فارسلوا اسطولهم الى بيروت في اواخر شباط ١٩١١، الذي قصف مرفأها، فأصابت القنابل عدداً من الابنية، وقتل بعض السكان، الامر الذي ارعب الأهالي. ونهب البعض مستودع اسلحة يخص السلطات، كما عمد آخرون الى سرقة بعض المتاجر. ولتهدئة الأوضاع، بادر الوالي ابو بكر حازم بك الى اعلان «الادارة العرفية».

في تشرين اول ١٩١٢، نشبت الحرب البلقانية الاولى، بين الامبراطورية العثمانية من جهة، صربيا، بلغاريا، واليونان من جهة اخرى، بهدف الاستيلاء على مقدونيا، التي كانت لا تزال جزءاً من هذه الامبراطورية. انتهت الحرب في ايار ١٩١٣، بانتصار المتحالفين على العثمانيين، الذين خسروا المقاطعة البلقانية.

٤٧ . يقول سليم علي سلام في مذكراته، صفحة ١٣٨، «فاتحني بعض الأصدقاء وأبدوا رغبتهم في طلب الانضمام الى مصر تحت الحماية الإنكليزية، وأبدى البعض الآخر رغبتهم في الاحتلال الفرنسي».

٤٨ . سليم علي سلام، **المذكرات**، ص. ص. ١٣٨-١٣٠.

٤٩ . مثل المسلمين: الشيخ احمد عباس الأزهري، الشيخ حسن المدور، الشيخ محمد البربير، الشيخ احمد حسن طبارة، الشيخ محيي الدين الخياط، الشيخ مصطفى الغلاييني، الشيخ عبد الكريم ابو النصر، الشيخ ابراهيم المجذوب، الشيخ عبد القادر القباني، الحاج محمد ابراهيم الطيارة، سليم علي سلام، احمد مختار بيهم، الحاج سليم البواب، محمد عمرني، عبد الحميد الغندور، نجيب القباني، كامل الداعوق، سعد الدين رمضان، كامل الصلح، محمد الفاخوري، حسن قرنفل، حسن النعماني، الدكتور عبد الرؤوف حمادة، طه المدور، فؤاد حنتس، حسن الناطور، عبد الباسط فتح الله، عبد الباسط الأنسي، محمد باشا المخزومي، عبد القادر الدنا، الحاج نصوح زنتوت، رشيد اللادقي، حسن القاضي، سليم ياسين، عثمان النقيب، شريف خرما، جميل الحسامي، الدكتور حليم قدورة، عبد القادر الجارودي، الدكتور بشير القصار، حسن الجندي، عبد الغني العريسي.

٥٠ . ومثل المسيحيين: ستة عشر ارثوذكسياً: امين ابو شعر، جرجي باز، جرجي معماري، حنا الشامي، وديع فياض، بترو طراد، جرجي رزق الله، الياس جرجي طراد، الشيخ اسكندر العازار، سعيد صباغة، وديع ابي رزق، سعيد ابو شهلا، جان تويني، ميخائيل غبريل، سليم ابراهيم طراد، جبران بطرس؛ عشرة موارنة: البر بسول، يوسف الهاني، نجيب التيان، قيصر اده، خليل الخوري، جان نقاش، نصري شنتيري، سليم الحلو، البر قشوع، انطوان شحيبر. ستة روم كاثوليك: حبيب فرعون، رزق الله ارقش، نجيب دهان، عبدالله خير، شكري غلاييني، خليل زينية. انجيليان: الدكتور ايوب تابت، رامز سركيس. سريانيان: فيليب طرازي، نجيب موصلي. اثنان من الارمن الكاثوليك: عوني اسحق، يوسف الخياط. اثنان من اللاتين: موسى فريج، شكري عبود. اثنان من الارمن الارثوذكس (نسي صاحب المذكرات اسميهما). ومثل الطائفة الاسرائيلية اثنان: سليم دانا، ابراهيم روفائيل الحكيم. «مذكرات»، سليم علي سلام، ص.ص. ١٣٣-١٣٧.

٥١ . نال احمد مختار بيهم، في عملية الاقتراع، اكبر عدد من الأصوات: ١٠٦ صوتاً، ونال جان بسترس اقل عدد: ٣١ صوتاً. - سليم علي سلام، المرجع ذاته، ص ١٣٧؛ زين زين، نشوء

القومية العربية، ص. ص. ٩٧-٩٨.

٥٢. كان مقرّ النادي في منطقة باب ادريس تجاه كنيسة الكبوشية.

٥٣. سليم علي سلام، المرجع ذاته ص. ص. ١٣٧-١٤٤؛ زين زين، المرجع ذاته، ص. ٩٨.

٥٤. سليم علي سلام، المرجع ذاته ص. ١٥٢.

٥٥. زين زين، المرجع ذاته، ص. ٩٩، اورد المؤلف هذه الملاحظات نقلاً عن تقرير ارسله قنصل بريطانيا العام في بيروت الى سفير بلاده بالآستانة.

٥٦. نشر القرار في الصفحة الاولى من جريدة **لسان الحال**، العدد الصادر بتاريخ ٩ نيسان ١٩١٣، وهو منشور ايضاً في مذكرات سليم علي سلام، ص. ١٥٧.

٥٧. وقع هذه البرقية السادة: كامل الصلح، اسكندر عازار، محمد ابراهيم الطيارة، جان حبيب بسترس، سليم علي سلام، رزق الله ارقش، احمد مختار بيهم، احمد حسن طبارة، عبد الباسط فتح الله، البير سرسق، خليل زينية، حسن الناطور، يوسف الهاني، محمد فاخوري، بترو طراد، عبد الحميد غندور، جان نقاش، فؤاد حنتس، حبيب فرعون، سليم البواب، ابراهيم حكيم، الدكتور ايوب تابت، جميل حسامي، جرجي رزق الله، - راجع سليم علي سلام، المرجع ذاته ص. ص. ١٥٩-١٦٠.

٥٨. زين زين، المرجع ذاته، ص. ٢١١، حاشية رقم ٤٩. عمل مسؤولو الجمعية بتوجيهات القنصليتين، فعقدوا جلسة في مبنى الكلية، اقروا فيها دعوة البيروتيين الى القيام باضراب عام احتجاجاً على تدبير الحل.

٥٩. جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ٣٧٨.

٦٠. جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ٥٨٧.

٦١. جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ٣٧٩.

٦٢. جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ٣٧٨.

٦٣. جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ص. ٣٧٨-٣٧٩.

٦٤. جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ٣٧٩.

٦٥. جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ٥٨٧.

٦٦. جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ٣٨٠.

٦٧. جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ٥٨٧.

٦٨. جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ٣٨٠.

٦٩. جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ٥٨٨.

٧٠. جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ٣٨١.

٧١. جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ٥٨٨.

٧٢. جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ص. ٣٨٠-٣٨١.

٧٣. جورج انطونيوس، المرجع ذاته، ص. ص. ٣٨١-٣٨٢.

خلاصة

علاقات الأحزاب والجمعيات بعضها ببعض

مرت علاقات أحزاب اللبنانيين وجمعياتهم، في الربع الاول من القرن العشرين، بمرحلتين: مرحلة ما قبل الحرب العالمية الاولى، التي تميّزت بتعاون مختلف الجمعيات والاحزاب، في ما بينها، ومرحلة الحرب وما بعدها، التي عرفت الاختلاف، من جهة، والتعاون، من جهة ثانية.

في المرحلة الاولى، دفعت سياسة الاتحاديين التتريكية، جمعيات واحزاب القوميات الثلاث، اللبنانية والسورية والعربية، الى التعاون فيما بينها، على الرغم من تباين اهدافها الوطنية، لا بل تناقضها، وذلك درءاً لخطر هذه السياسة، لان نجاحها كان سيؤدي الى ذوبان هذه القوميات. فوقف الجميع صفاً واحداً لمقاومة هذا التيار[١]. ولم يلبث هذا التعاون ان ولّد، بفعل تطور الأحداث، مؤتمر باريس، الذي انعقد سنة ١٩١٣[٢]، واتفق بنتيجته، ممثلو معظم الاحزاب والجمعيات على التنسيق، لتجاوز هذا الخطر.

وكان من الطبيعي ان تتعاون، في هذه المرحلة، الجمعيات التي انبثقت عن نزعة القومية اللبنانية، لانها سعت كلها الى الحفاظ على الكيان اللبناني المستقل، وتطويره. كان محور هذا التعاون «الاتحاد اللبناني»، الذي راح ينسق جهود هذه الجمعيات، بواسطة لجنة فوض اليها امر تمثيل كافة الجمعيات والنطق باسمها. ونتيجة لهذا التعاون، غدت جمعية «النهضة اللبنانية» في نيويورك، منذ ١/ ١٢/ ١٩١٧، محور هذه الحركة في الديار الاميركية[٣]. وابرز ما ظهر في هذا المجال، الاجتماع التنسيقي الذي تم في باريس، عام ١٩١٣،

بين اسكندر عمون، رئيس «الاتحاد اللبناني» في مصر، ونعوم مكرزل، رئيس النهضة اللبنانية في نيويورك، وشكري غانم، رئيس «اللجنة اللبنانية» في باريس، وذلك بمناسبة انعقاد المؤتمر العربي الاول[٤].

وتجدر الإشارة هنا، الى ان هذه الجمعيات تجنبت الاتصال بالجمعيات التي سعت الى ضم الكيان اللبناني المستقل، الى كيان اوسع، اعني الجمعيات السورية والجمعيات العربية.

هذا، ومال «الاتحاد اللبناني»، اثناء الحرب، وبعيدها، عن الاتصال بالجمعيات اللبنانية التي طلبت للبنان المساعدة الفرنسية، دون الضمانة الدولية. لكنه غير موقفه هذا، بعد اعلان انشاء لبنان الكبير، فتخلى عن معارضة طلب المساعدة الفرنسية له.

لكنّ الخلاف بين هذه التكتلات، لم يلبث ان ذرّ قرنه في المرحلة الثانية، مستفيداً من بروز احداث جسيمة، كاندلاع الحرب العالمية الاولى، وما رافقها من اتفاقات دولية (سايكس ـ بيكو)، ومن اطلاق مبادئ الولسونية. فجعلت بعض الجمعيات تناهض بعضها بعضاً، لتعارض اهدافها. وقد برز هذا الامر جلياً بين الاحزاب والجمعيات ذات النزعة اللبنانية، من جهة، وبين مثيلاتها المنتمية الى النزعتين السورية والعربية، من جهة اخرى.

ومن جهة ثانية برز تعاون وثيق بين جمعيات متناقضة الاهداف. ذلك ان ظروف ما بعد الحرب دفعت الجمعيات اللبنانية والجمعيات السورية الى التعاون ايضاً، درءاً لخطر توجهات السياسة الحجازية.

أثار برنامج «الجمعية المركزية السورية»، المناهضة لبرنامج «النهضة اللبنانية» في ساو باولو، مخاوف هذه الجمعية، حيال الوجود اللبناني[٥]، فطرحت عليها مجموعة اسئلة، طالبة اليها الاجابة عنها. فقام بالمهمة شكري غانم.

في السؤال الاول، استفسرت النهضة عن مسألة إبدال «الجمعية اللبنانية» في باريس، «بالجمعية المركزية السورية».

الجواب: ان اللجنة المذكورة حُلّت ضمناً، سنة ١٩١٤، نتيجة لمواقف بعض اعضائها. وفي عام ١٩١٧ أنشئت «الجمعية المركزية السورية»، التي لها

برنامج اكثر شمولاً، إذ يتضمن، اضافة الى مطالب جبل لبنان، مطالب سائر مناطق سوريا.

اما السؤال الثاني فيتعلق بنوايا فرنسا حيال لبنان. هل تريد ان تضمه الى سوريا، ام ان تعطيه استقلاله التام بعد ان تعيده الى حدوده القديمة.

الجواب: ان نوايا فرنسا مستوحاة من روح ليبرالية. واما مستقبل سوريا فمرتبط، بالدرجة الأولى، بكيفية انتهاء الحرب، وستؤلف من كافة اجزائها، على مبدأ الفدرالية، بحيث يكون لكل مقاطعة استقلالها الذاتي الخاص. هذه الصيغة هي الحل الوحيد الذي يساعد فرنسا على منح لبنان، وسائر المقاطعات السورية، وسائل بنائها على أسس منطقية. اما اذا قسمت سوريا الى دويلات، كل منها قائمة بذاتها، فسيكون مصيرها جميعاً الفقر والفوضى، لان طاقة كل منها غير كافية لنموها بشكل طبيعي.

وتطرق السؤال الثالث الى مكانة لبنان، في اطار الاتفاقات السرية التي ابرمها الحلفاء فيما بينهم، لان لا ذكر خاصاً للبنان، فيها.

فكان الجواب: ان فرنسا ستدعم بكل مالها من رصيد، المنطقة السورية، بما فيها لبنان.

في آذار ١٩١٨، اطلعت «الجمعية المركزية السورية» على مضمون المذكرة التي قدمتها جمعية الاتحاد اللبناني الى المراجع الدولية، باسم اللبنانيين، والتي طالبت فيها «باستقلال لبنان بضمانة الدول الكبرى». فما كان من الجمعية الا ان تصدت للمذكرة، لانها لم تخص فرنسا بمساعدة لبنان. وقد ركزت معارضتها لموقف «الاتحاد» هذا، على النقاط التالية:

١. إنكارها على الاتحاد «حق» التكلم باسم اللبنانيين، الملتزمين بصداقة فرنسا حتى الموت، لانها حاميتهم التاريخية.

٢. مضمون المذكرة الذي يدفع الى الاعتقاد بان اللبنانيين يميلون، بعد اطلاعهم على الاتفاق المتعلق بمستقبل بلادهم وسائر سوريا، والذي ابرمته كل من فرنسا وبريطانيا، الى طلب مساعدة او رعاية دولة كبرى، هي فرنسا التي يثقون بها ويمحضونها اخلاصهم[٦].

وساندت «الجمعية السورية»، في موقفها هذا، جمعية اخرى، هي عصبة

تحرير سوريا ولبنان، فأرسل رئيسها، ايوب تابت، برقية الى الاولى احتج فيها على مذكرة «الاتحاد»، وختمها بعبارة: «لتحيا فرنسا، الراعية التقليدية، وليحيا الحلفاء»[٧].

لما بدأ مؤتمر الصلح التحضير لمباشرة أعماله في باريس، أخذت الجمعيات اللبنانية تتهيأ للقيام بواجبها حيال القضية اللبنانية، «كالاتحاد اللبناني» في مصر، وجمعيتي ساو باولو وبيونس آيرس اللبنانيتين. واذ كان من الصعب على أعضائها المجيء الى باريس، لعرض مطالبها الوطنية على مؤتمر الصلح، رأت ان تتعاون إزاء هذا الأمر مع الجهة التي كان ميسوراً عليها القيام بالمطلوب. فقررت ان تمد يدها الى «الجمعية اللبنانية» الباريسية، ذات البرنامج المطابق لبرامجها، فكلفتها القيام بمهمة عرض مطالبها على مؤتمر الصلح. وقامت الجمعية بجهد متواصل لدى ممثلي الدول، لتتمكن من عرض مطالبها ومطالب الجمعيات التي انتدبتها، على مؤتمر الصلح. لكن مساعيها باءت بالفشل، لان المؤتمر، اكتفى بالسماح لداود عمون، رئيس الوفد اللبناني الاول بعرض مطالبه[٨]. وكان من شبه المستحيل على «الجمعية اللبنانية»، ان توصل مطالبها الى المؤتمر. ذلك ان الوفد الفرنسي حال بقوة دون تحقيق امنيتها، لان لائحة مطالبها لم تتضمن طلب عون فرنسا للبنان.

وتوصلت الجمعيات السورية واللبنانية، المنطلقة من مصر، الى صيغة تعاون فيما بينها، برزت بعد انتهاء الحرب، ورمت الى محاربة التيار الحجازي الهادف الى وضع يده على سوريا. ولم تكن السلطات الفرنسية، المقيمة في مصر، ببعيدة عن هذا التوجه.

وجهت هذه الجمعيات، بواسطة شكري غانم، رئيس «الجمعية المركزية السورية»، الى كل من: «جمعية تحرير سوريا ولبنان»، (نيويورك، ٧٤ شارع كورتلاند)، «والجمعية الوطنية السورية-اللبنانية» (ساو باولو، ٤٠ شارع فلورنسيو ده أبريو، Rua Florencio de Abreu-40 برقية تحتج فيها على الأنباء الكاذبة، التي تزعم ان اشتباكات دامية وقعت بين السوريين والجيوش الفرنسية. والحقيقة، ان هناك اعمال سطو واغتيالات، يقوم به بعض الحجازيين، الذين يسعون الى فرض الخدمة العسكرية على السوريين.

وعليه، تشجب الجمعيات هذه الأعمال، وتطلب من رؤساء دول الحلفاء التدخل لإيقافها، كما تطالب بإدخال الجيوش الفرنسية الى سوريا، والإسراع في حلّ القضية السورية[٩].

في ١٣ كانون اول ١٩١٩، عقد مندوبو الجمعيات السورية التالية: «الاتحاد السوري»، «الجمعية المركزية اللبنانية-السورية»، «جمعية الحزب السوري المعتدل»، اجتماعاً في القاهرة، كان وراءه الخوف من خطر تجزئة سوريا. ذلك ان هذه الجمعيات لمست ان القضية السورية شارفت على الحل، وان البحث فيها يجري مع الحجازيين دون السوريين.

بعد المداولة، قرر المجتمعون بالإجماع، الاحتجاج بقوة على اتفاقات ١٩١٥، ١٩١٦[١٠]، ١٩١٩[١١]، وعلى كل الاتفاقات والوعود والتدابير الهادفة الى تجزئة سوريا، وانشاء وطن قومي صهيوني في فلسطين، واقتطاع أية مقاطعة منها.

كما اقروا التشديد على موضوعين: وجوب إعادة تكوين سوريا، التي كانت وحدة سياسية غير قابلة للتقسيم، في إطار وحدتها السياسية القومية، ضمن الحدود التالية: طورس من الشمال، مملكة الحجاز من الجنوب، بلاد ما بين النهرين من الشرق، البحر المتوسط وخط رفح-العقبة من الغرب؛ جعل الحكومة فيها دستورية، ديمقراطية، علمانية، ضمن نظام فدرالي، يضمن استقلال ولاياتها ذاتياً، ويستند الى لامركزية إدارية، توضع هذه الدولة تحت الرعاية الفرنسية (A.M.A.E/E- *Levant* Dos 18, F. 92, 93).

اما الأماني القومية التي تهم كل حزب بمفرده، والمتصلة بالاستقلال المطلق، وبالانتدابات، فقد ترك امر معالجتها للجمعيات المعنية بها.

عن «حزب الاتحاد السوري»: الرئيس ميشال لطف الله، امين السر سليم سركيس، امين الصندوق رفيق العظم؛ عن «الجمعية المركزية اللبنانية-السورية»: الرئيس عبدالله صفير، نائب الرئيس حقي العظم، امين السر الفونس زينية، امين الصندوق نعمه غانم؛ عن «الحزب السوري المعتدل»: امين السر الياس برباري، امين الصندوق امين مرشاق[١٢].

في ٦ شباط ١٩٢٠، وجهت الجمعيات السورية-اللبنانية، الى شكري غانم

رئيس «الجمعية المركزية السورية» في باريس، برقية، بواسطة وزير فرنسا المفوض في القاهرة، تعلمه بها ان جرائد مصر نشرت، نقلاً عن ملك الحجاز قوله: انه لا يعترف بأي اتفاق يمس استقلال العرب، حتى ولو قبل به فيصل. هذا يعني، بالنسبة للجمعيات السورية، ان فيصلاً هو مندوب ملك الحجاز في مؤتمر الصلح، وبالتالي يعمل لحساب الملك، لا لصالح سوريا، الامر الذي يحدث بلبلة ويقلق الأفكار. وعليه، ترجو الأحزاب مجتمعة، من مؤتمر الصلح، تحرير سوريا من الاتفاقات والتسويات التي تمس سلامة أراضيها وشخصيتها السورية المتميزة، وانهاء الاحتلال الحجازي لها، اضافة الى وضع حدّ للمفاوضات الجارية مع الأمير الحجازي حيال القضية السورية، التي هي السبب الوحيد، الكامن وراء الإضطرابات والانشقاقات الحاصلة فيها[١٣].

خاتمة

وبعد، ما يمكن الخروج به من هذه المحاولة التي تمت، استناداً الى ما تيسّر، من اصول ومراجع؟

لم تكن هذه الهيئات، التي جسدت نشاط اللبنانيين القومي، على مدى عقد ونيف، أحزاباً سياسية، وفق المفهوم المعروف في البلدان المتطورة، حيث تمارس السياسة في أطر تكتلات منظمة، منطلقة من عقائد مستوحاة من بعض الايديولوجيات والفلسفات، او من مفاهيم مستمدة من الواقع، ومطعمة ببعض المعتقدات الفلسفية، تكون غايتها الوصول الى السلطة، فممارسة الحكم، تطبيقاً لبرامجها، مبدئياً. انما كانت تجمعات ظرفية، دفعت الى نشوئها عوامل خارجية، ناجمة عن احداث إقليمية، كوصول حزب الاتحاد والترقي الى الحكم، في الإمبراطورية العثمانية؛ ودولية، كنشوب الحرب العالمية الاولى، وما رافقها من اتفاقات ومبادئ. اما الغاية من قيامها، فلم تكن لتولي الحكم، انما لايجاد صيغة حلّ للوجود اللبناني، الذي أخذ يتكون، بشكل واضح، ابتداءاً من القرن السابع عشر. ذلك ان لبنان لم يكن قد تجسد بعد، بدولة مستقلة استقلالاً تاماً ناجزاً، بل كان جزءاً من إمبراطورية بني عثمان، متميزاً بكيان

مستقل داخلياً، مضمون دولياً، له حدوده المعترف بها، وسلطته شبه الوطنية.

تألفت هذه الجمعيات والأحزاب من لبنانيين، اضافة الى سوريين، فبعض الفلسطينيين والعراقيين.

شكل اللبنانيون العنصر الوحيد، وهو أمر بديهي، للجمعيات والأحزاب المنبثقة من نزعة القومية اللبنانية، كجمعية «الاتحاد اللبناني»، و«جمعية ارزة لبنان»، و«لجنة باريس اللبنانية».

اما الجمعيات التي تولدت عن نزعة القومية السورية، والتي عملت لضم لبنان الى كيان سياسي اوسع، سوريا الكبرى، فضمت لبنانيين وسوريين، «كالجمعية المركزية السورية» «والاتحاد السوري»...

وهناك جمعيات سعت الى ضم لبنان الى سوريا، تألفت من لبنانيين فقط، «كجمعية الشبان السوريين الوطنية»، «وجمعية سوريا الوطنية الجديدة».

وبرزت جمعيات عملت لتحرير لبنان وسوريا، انتسب اليها لبنانيون وسوريون، دون ان تركز على توحيد البلدين في دولة واحدة، «كالجمعية اللبنانية-السورية» في البرازيل.

واما الجمعيات التي نشطت في اطار نزعة القومية العربية، فضمت، الى اللبنانيين والسوريين، عراقيين وفلسطينيين، وحتى مصريين، «كالمنتدى الأدبي»، «وجمعية القحطانية»؛ وكان غرضها جعل لبنان جزءاً من دولة عربية متسعة.

يقسم عديد اللبنانيين، الذين شكلوا الجمعيات ذات البرنامج الحريص على كيان لبنان المستقل، فريقين: فريق ظل ثابتاً على موقفه، فلم يبدل نظرته حيال هذا الكيان، كالأكثرية الساحقة من أعضاء «الاتحاد اللبناني»، امثال انطون الجميل، اوغست اديب ويوسف السودا، وكثيرون آخرون؛ وأعضاء «لجنة باريس اللبنانية»، مثل: عباس بجاني، خيرالله خيرالله... وفريق بدل موقفه، وهو ضئيل جداً، لم يتعد عدد اصابع اليد، كشكري غانم، الذي غدا رئيساً «للجمعية المركزية السورية»، ومقرها باريس، متأثراً بالسياسة الفرنسية، بعد ان كان رئيس «لجنة باريس اللبنانية»، المتمسكة بالكيان اللبناني المستقل؛ لكنه عاد الى الاقتناع بالصيغة اللبنانية المستقلة، بعد انشاء دولة لبنان لكبير. وهناك من

تخلى عن عقيدته اللبنانية، لينضم الى صفوف من سعوا الى تكوين دولة سوريا الكبرى العربية، بما فيها لبنان، كاسكندر عمون، الذي استقال من رئاسة «الاتحاد اللبناني»، ليصبح من أعوان الملك فيصل في سوريا، متأثراً بضغوط مصالحه الشخصية.

واسترعت جمعيات نزعة القومية اللبنانية انتباه بعض العاملين في الحقل العام، لما قامت به من نشاط فعال، سعياً وراء تحقيق أمانيها الوطنية. قال محمد شريف الفاروقي في كتابه «مقدرات العراق السياسية»، الجزء الثاني، ص ٩١٠، وكان ممثلاً لشريف مكة في مصر، الحسين بن علي، ما نصه: « واللبنانيون لا يثقون بغير انفسهم، ولا يعتمدون على كل الأقسام التي ذكرناها من السوريين. وهم الوحيدون الذين لهم جمعيات منظمة اثبتت وجودها في العالم بمخابراتها مع الدول بصفة لبنانية محضة كما وقع مؤخراً عند احتجاجهم على إلغاء امتيازات لبنان. فان الوزارات الخارجية في عواصم الحلفاء أجابتهم رسمياً على احتجاجهم. غرض هؤلاء إسعاد لبنان فقط، ولا يتكلمون عن غير لبنان».

هوامش الخلاصة

١. Nagib Dahdah, ***Evolution Historique du Liban***, p. 228.

٢. Jean PICHON, ***Les Origines Orientales de la Guerre Mondiale***, p.p. 190-191.

٣. يوسف السودا، **في سبيل الاستقلال**، ص. ص. ٩٧-٩٩.

٤. فؤاد عمون، «الاتحاد اللبناني»، في «دائرة المعارف»، الجزء السادس، ص. ص. ٢٠٠-٢٠١.

٥. G. Samné, ***La Syrie***, p. p. 514-516.

٦. ***Correspondance d'Orient***, no 185, 10/3/1918.

٧. نشير هنا الى ان هذه الجمعيات، التي دعت الى وضع سوريا ولبنان تحت الرعاية الفرنسية، كانت تتلقى مساعدات مالية من فرنسا، اما مباشرة، واما بواسطة الجمعية المركزية السورية - A.M.A.E./ E-*Levant*... Dos 2, F. 11.

٨. K.T.Khairallah, ***Les Régions arabes libérées***, p. 72.

٩. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 21, F. 253.

١٠. الاتفاقات السرية التي ابرمها الحلفاء فيما بينهم، واتفاق سايكس-بيكو، منها بنوع خاص، لانه يتعلق بلبنان وسوريا، اضافة الى اتفاق الحسين-مكما هون.

١١. قد يكون اتفاق ١٥ ايلول ١٩١٩، الذي ابرمته فرنسا وبريطانيا، ونص على احلال الجيش

الفرنسي، مكان الجيش البريطاني على الساحل.

١٢. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 21, F. 40-43; 203-206.

١٣. A.M.A.E. / E-*Levant*... Dos 23, F. 21.

مصادر ومراجع

- اديب (اوغست)، **لبنان بعد الحرب**، بيروت ١٩١٩ .

- ارسلان (شكيب):

*** سيرة ذاتية**، بيروت ١٩٦٩ .

*** ذكريات الامير شكيب ارسلان عن الحرب الكونية الاولى وعن المجاعة في سوريا ولبنان**. بيروت ٢٠٠١ . اهتم بنشرها الاستاذ نجيب البعيني .

- الارمنازي (نجيب)، **محاضرات عن سوريا من الاحتلال حتى الجلاء**، القاهرة ١٩٥٤ .

- اسماعيل (عادل)، **السياسة الدولية في الشرق العربي**، الاجزاء ٣، ٤، ٦، ٧. بيروت .

- آصاف (يوسف بك)، **استقلال لبنان**، القاهرة، ١٩٢٠ .

- انطونيوس (جورج)، *The Arab Awakening* في ترجمته العربية، «**يقظة العرب**» بيروت ١٩٦٢ .

- برّو (توفيق علي)، **العرب والترك في عهد الدستور العثماني**، (١٩٠٨-١٩١٤)، القاهرة ١٩٦٠ .

- البستاني (فؤاد افرام)، «تاريخ التعليم في لبنان»، في **محاضرات الندوة**. (٤ . 179-170 [1950])

- البستاني (سليمان)، **الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده**، بيروت ١٩٠٨ .

- البكاسيني (لطف الله نصر)، **نبذة من وقائع الحرب الكونية**، بيروت ١٩٢٢ .

- البويري (بشاره)، **اربع سني الحرب**، بيروت ١٩٢٦ .
- بيهم (محمد جميل)، **العهد المخضرم في سوريا ولبنان**، (١٩١٨-١٩٢٢)، بيروت ١٩٦٨ .
- جمال باشا، **كيف جلت القوات العثمانية عن بلاد العرب**، (ترجمة فؤاد ميداني)، بيروت ١٩٢٢ .
- الجميل (الخوري ناصر)، **مدرسة عين ورقة**، بيروت ١٩٨٩ .
- جودت (علي)، **ذكريات علي جودت**، بيروت ١٩٦٥ .
- حتاته (يوسف كمال)، **مذكّرات مدحت باشا**، القاهرة (بدون تاريخ).
- حتي (فيليب)، **لبنان في التاريخ**، بيروت ١٩٥٩ ، (الترجمة العربية لكتاب: *Lebanon in History*, London 1957.)
- حرفوش (الخوري ابراهيم)، **دلائل العناية الصمدانية ، في ترجمة معلي منار الطائفة المارونية ، غبطة أبينا وسيدنا الملفان مار الياس بطرس الحويك ، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق** . مطبعة المرسلين اللبنانيين . جونية (لبنان) ١٩٣٥ .
- الحصري (ساطع)،
  * **البلاد العربية والدولة العثمانية**، القاهرة ١٩٥٧ .
  * **يوم ميسلون**، بيروت ١٩٦٥ .
- الحكيم (يوسف)،
  * **بيروت ولبنان في عهد بني عثمان**، بيروت ١٩٦٤ .
  * **سورية والعهد العثماني**، بيروت ١٩٦٦ .
  * **سورية والعهد الفيصلي**، بيروت ١٩٦٦ .
- حوراني (البرت)، **الفكر العربي في عصر النهضة (١٧٩٨-١٩٣٩)**، وضع بالانكليزية وترجمه الى العربية كريم عزقول، بيروت ١٩٧٧ .
- خاطر (لحد)، **عهد المتصرفين في لبنان**، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٦٧ .
- الخالدي (م . ر)، **الانقلاب العثماني وتركية الفتاة**، القاهرة ١٩٢٦ .
- الخوري (بشاره خليل)، **حقائق لبنانية**، ثلاثة اجزاء، بيروت ١٩٦٠ .
- الخوري (فؤاد)، **النيابة في لبنان**، نشوؤها، أطوارها، آثارها، اعلامها،

من ١٩٦٠ الى ١٩٧٧ ، بيروت ١٩٨٠ .
- داغر (اسعد)، **مذكراتي على هامش القضية العربية**، القاهرة ١٩٥٩ .
- الدحداح (سليم خطار)، «بيروت ولبنان»، **المشرق** جزء ٢١، بيروت ١٩٢٣ .
- الدوري (عبد العزيز)، **الجذور التاريخية للقومية العربية**، بيروت ١٩٦٠ .
- رستم (اسد)، **لبنان في عهد المتصرفية**، بيروت ١٩٧٢ .
- رياشي (اسكندر)، **قبل وبعد**، بيروت ١٩٥٥ .
- الريحاني (امين):
  * **ملوك العرب**، بيروت ١٩٢٩ .
  * **فيصل الاول**، بيروت ١٩٣٤ .
- الزيات (احمد حسن)، **تاريخ الادب العربي** .
- زين (زين نور الدين):
  * **نشوء القومية العربية**، بيروت ١٩٦٨ .
  * **الصراع الدولي وولادة دولتي سوريا ولبنان**، بيروت ١٩٧١ .
- سلام (سليم علي)، **مذكرات** . قدم لها وحققها وعلق هوامشها، الدكتور حسان علي حلاّق، بيروت ١٩٨١ .
- السودا (يوسف):
  * **استقلال لبنان والاتحاد اللبناني في الاسكندرية**، القاهرة ١٩٢٢ .
  * **في سبيل لبنان**، بيروت ١٩٢٤ .
  * **في سبيل الاستقلال**، (١٩٠٦-١٩٢٢)، بيروت ١٩٦٦ .
- شاكر (امين)، العريان (سعيد)، مصطفى (محمد)، **تركية والسياسة العربية**، الكتاب العاشر في سلسلة «اخذنا لك»، القاهرة ١٩٥٤ .
- شبيكة (مكي)، **العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الاولى**، بيروت .
- الشدياق (طنوس)، **اخبار الاعيان في جبل لبنان** (جزءان)، منشورات الجامعة اللبنانية . بيروت ١٩٧٠ .
- شهاب (موريس)، الابجدية، **دائرة المعارف**، الجزء الثاني، بإدارة فؤاد

افرام البستاني .

– الشهابي (حيدر احمد)، **لبنان في عهد الامراء الشهابيين**، ثلاثة اجزاء، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٦٩ .

– صائغ (انيس)، **تطور المفهوم القومي عند العرب**، بيروت، ١٩٦٨ .

– الصلح (عادل)، **سطور من الرسالة**، تاريخ حركة استقلالية قامت في الشرق العربي، سنة ١٨٧٧، بيروت ١٩٦٦ .

– الصليبي (كمال):

* **تاريخ لبنان الحديث**، بيروت ١٩٦٦ .
* **منطلق تاريخ لبنان**، بيروت ١٩٧٩ .

– عزيز بك، **سوريا ولبنان في الحرب العالمية**، (ترجمه عن التركية فؤاد ميداني)، بيروت ١٩٣٣ .

– العظم (عثمان)، (المحرر)، **مجموعة آثار رفيق بك العظم**، القاهرة ١٣٤٤ هجرية .

– العلمي (الشيخ عبدالله)، **اعظم تذكار للعثمانيين الاحرار، او الحرية والمساواة والمبعوثان**، بيروت ١٣٢٦ هجرية .

– عمون (فؤاد)، «الاتحاد اللبناني»، **دائرة المعارف**، الجزء السادس، بإدارة فؤاد افرام البستاني .

– العياشي (غالب)، **الإيضاحات السياسية وأسرار الانتداب في سوريا**، بيروت ١٩٥٥ .

– الغصين (فايز)، **مذكراتي عن الثورة العربية**، دمشق ١٩٥٦ .

– قدري (احمد)، **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى**، دمشق ١٩٥٦ .

– القلاعي (جبرائيل)، **زجليات**، دراسة وتحقيق بطرس الجميل، منشورات لحد خاطر، بيروت ١٩٨٢ .

– كرم (جورج اديب)، **قضية لبنان**، اصول تاريخية، ١– الوفود الى مؤتمر الصلح؛ ٢– دور مجلس الادارة، الجزء الاول (١٩١٨–١٩٢٠). بيروت ١٩٨٥ .

– كنعان (ابراهيم)، **لبنان في الحرب الكبرى**، بيروت ١٩٧٧ .

– اللجنة العليا لحزب اللامركزية – المؤتمر العربي الاول (عقد في باريس، ١٨–٢٣ حزيران سنة ١٩١٣)، القاهرة ١٩١٣ .

– مزهر (الدكتور يوسف)، **تاريخ لبنان العام**، جزءان، بيروت .

– مسعد (بولس):

* **الدولة العثمانية في لبنان وسوريا**: ١٥١٧–١٩١٦، القاهرة ١٩١٦ .
* **لبنان وسوريا قبل الانتداب وبعده**، المجلد الاول، القاهرة ١٩٥٧ .

– المعوشي (بدري سليم)، مقال مخطوط عن «جمعية ارزة لبنان» .

– المقدسي (انيس الخوري)، **الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث**، بيروت ١٩٥٢ .

– المقدسي (جرجس الخوري)، **اعظم حرب في التاريخ**، بيروت ١٩٢٨ .

– مكي (محمد علي)، **لبنان من الفتح العربي الى الفتح العثماني**، بيروت ١٩٧٨ .

– موسى (سليمان):

* **الثورة العربية الكبرى**، وثائق وأسانيد، بيروت ١٩٧٠ .
* **الحركة العربية**، بيروت ١٩٧٠ .

– نخله (رشيد)، **كتاب المنفى**، بيروت ١٩٥٦ .

–نصولي (انيس زكريا)، **اسباب النهضة العربية في القرن التاسع عشر**، بيروت ١٩٢٦ .

– نوار (الدكتور عبد العزيز سليمان)، **وثائق اساسية من تاريخ لبنان الحديث**، (١٥١٧–١٩٢٠)، جامعة بيروت العربية ١٩٧٤ .

I- Archives Françaises

1- Archives du Ministère des Affaires Etrangères (Abréviation: A.M.A.E),

Série:

- Levant (1918-1929).

Sous Syrie:

- Syrie - Liban.

- Arabie.

2- Archives du Ministère de la Guerre: Section ancienne. Abréviation (A.M.G.S-A).

3- Archives de la Bibliothèque de Documentation Internationale Contemporaine de l'Université de Paris X - Nanterre. (Abréviation: B.D.I.C).

II- Presse

- *Correspondance d'Orient*. Revue bimensuelle. Paris.

- *Journal du Caire*. Le Caire.

- *Le Matin*. quotidien. Paris.

- *Le Temps*. quotidien. Paris.

III. Ouvrages: en français et en anglais

- Abushdid (Eugène Elias), *Thirty years of Lebanon and Syria*, (1917-1947), Beirut 1948.

- Achcar (Joseph), *La France, l'Angleterre, dans le Proche-Orient. Evolution politique de la Syrie, du Liban, de la Palestine et de l'Iraq.* (Thèse Lyon) in - 8, Beyrouth 1934.

- Alvin (Gal), et Tuffrau (Paul), *La Grande Guerre, ses origines, son

développement, ses conséquences. Paris. Gauthier - Villars. (Cours de l'Ecole polytechnique).

- Anderson (M.S), *The eastern question, 1774-1923: a study international relations*. New-York St. Martin's. Press. 66. VIII.

- Aron (Raymond), *République impériale: les Etats-Unis dans le monde*. Paris 1963.

- Azoury (Négib), *Le réveil de la nation arabe dans l'Asie turque.* Paris 1905.

- Baker (R.S), *Woodrow Wilson and World Settlement*. Vol. 3. London 1923.

- Bardoux (Jacques), *Lloyd George et la France*. Paris 1923.

- Barrère (Camille), Sur la Conférence de San Rémo, *Revue des Deux Mondes*, 1er août 1928.

- Barrès (Maurice), *Une enquête aux pays du Levant,* Paris 1923.

- Baumont (Maurice), *La Faillite de la paix,* Paris 1951.

- Besançon (Jacques), *Recherches géomorphologiques, en Békaa et dans le Liban intérieur*, Thèse d'Etat, Université de Paris VII, 3 vol.

- Birot (Pierre) et Dresch (Jean), *La Méditerranée et le Moyen-Orient,* t. II. Paris 1956.

- Bourgeois (Emile), *L'Europe et le problème méditerranéen, 1870-1931*. Paris 1931.

- Bourdarie (Emile), *France, Syrie, Angleterre - La question de Syrie.* Confidentiel. Paris. S.d.

- Boustany (Habib s.), *Liban d'abord*, Beyrouth 1924.

- Chiha (Michel),

* *Le Liban d'aujourd'hui*. Beyrouth 1941.

* *Visage et présence du Liban*, Beyrouth 1964.

- Chokaert (Jacques), *La Méditerranée américaine. L'expansion des Etats-Unis dans la mer des Antilles*. Paris Payot 27 in-8.

- Conteneau (Georges), *La Civilisation phénicienne*, Paris 1949.

- Cromer (Earl of), *Modern Egypt*, New York, 1909.

- Dahdah (Nagib),

* *Evolution historique du Liban*. Mexico, 1964.

* *Evolution historique de la nation libanaise*. Les Cahiers de l'Est. Vol. V. Beyrouth 1946.

* Le Grand Liban dans l'histoire. *Al-Machreq*, Université St Joseph. Livraison d'octobre- décembre, 1936.

- David (H.), La question du Liban considérée au point de vue du droit, (Extr. Du *Correspondant*. In-8, 1861 Douniol.

- Dib (Pierre), *L'Eglise Maronite*, 2 tomes. Beyrouth 1962.

- Driault (Edouard), *La question d'orient, 1918-1937. La paix de la Méditerranée*. Paris. Alcan 38 IN-8, XVIV. - 539.

- Chevallier (Dominique), *La Société du Mont Liban à l'époque de la révolution industrielle en Europe*. Paris, Librairie Orientaliste Paul Guethner. 1971.

- Gautherot (G.), *La France en Syrie et en Cilicie*. Courbevoie 1920.

- George (Lloyd), *The Truth about the Peace Treaties*. Vol. 2. London 1938.

- Ghali (Paul), *Les Nationalités détachées de l'Empire Ottoman à la suite de la Guerre*. Paris 1934.

- Giraud (Emile), «La Société des Nations». *La Paix* no 628 pp. 481-501.

- Gouraud (Henri J-E), *La France en Syrie*, Paris 1922.

- Grousset (René), *Le Réveil de l'Asie*. Paris 1924.

- House (Colonel), *Papiers intimes*. publiés par C. Seymour, traduits par Mayra et de Foulongue, t I; *Les coulisses de la politique (1912-1915); t II: De la neutralité à la Guerre (1915-1917)*. Paris. Payot.

- Howard (H. N.), *The partition of Turkey: a Diplomatic History*, Oklahoma 1931.

- Jouplain (pseudonyme de Boulos Noujaim), *La question du Liban*. Etude d'histoire diplomatique et de droit international. 1ère édition: Paris 1908; 2e édition, Beyrouth 1961.

- Karam (Georges Adib), *L'Opinion Publique Libanaise et la Question du Liban, 1918-1920*. Publications de l'Université Libanaise. Section des Etudes historiques XXIV, Beyrouth 1981.

- Khairallah (K.T.):

* *La Question du Liban*. ed. Leroux. Paris 1915;

* *Les Régions arabes libérées*. Paris, 1919.

- Kheir (Antoine), *Le Moutaçarrifat du Mont-Liban*. Publications de l'Université Libanaise, 1972.

- Khury (Mgr. Abdallah), *Rapport sur la Question libanaise avec carte géographique du Liban élargi*, 1920, Paris.

- Khury (A. Yamin), *Le Liban pendant la Guerre*, Beyrouth.

- Lammens (H.), *La Syrie*, précis historique, 2 tomes. Beyrouth 1921.

- Launay (Jacques de):

* *Secrets diplomatiques 1914-1918*. Bruxelles, Paris (Dossiers secrets de l'histoire).

* *Histoire Contemporaine de la diplomatie secrète, 1914-1945*. Lausanne éd. Rencontre.

- Levantin (H.), *Quarante ans d'autonomie au Liban*. Le Caire 1920.

- Loheac (Line),

* *Le Liban à la Conférence de la paix.* Maîtrise d'histoire présentée à la Faculté des Lettres de Paris X - Nanterre, 1972.

* *Daoud Ammoun et la création de l'Etat Libanais.* Paris 1977.

- Makhlouf (Ibrahim), L'Indépendance du Liban. Documents 1919-1936, numéro spécial de *la Revue du Liban.* Paris 1936.

- Miller (D. Hunter), *My Diary at the peace Conference of Paris*, 21 vol. New-York 1924.

- Monroe (Elisabeth), *Britain's moment in the Middle East*, 1914-1956, Baltimore Johns Hopkin, press, 63.

- Novo (J. A. de), *American interests and policies in the Middle East, 1900-1939*, London, Oxford University press, 64, n-8.

- Pichon (Jean):

* *Les origines orientales de la Guerre mondiale*, Paris 1937.

* *Sur la Route des Indes, un siècle après Bonaparte.* Paris 1924.

* *Le partage du Proche-Orient.* Paris 1938.

- Pincaud (Albert), «Le Partage de l'Asie Mineure pendant la Grande Guerre», *Revue Historique*, Guerre Mondiale, 39, 17e ann. pp. 97-125.

- Planhol (X. de), "Caractères de la vie montagnarde dans le Proche-Orient et dans l'Afrique du Nord", *Annales de Géographie* t. LXXI, 1962.

- Remusat (Paul de), "Les cent Jours du roi de Syrie". (Extrait de la *Revue des Etudes historiques.* Paris, avril - juin 1924).

- Renouvin (Pierre), *Histoire des Relations Internationales, t. VI: le XIXe s. de 1871 à 1914*; t. VII: *les crises du XXe siècle.* Paris Hachette.

- Samné (Georges):

* *Le Liban autonome, de 1861 à nos jours*, Paris 1919.

* *La Syrie*, Paris 1920.

- Sanlaville (Paul):

* *Etude géomorphologique de la région littorale du Liban*, 3 tomes, Beyrouth 1977. Publications de l'Université Libanaise.

* «*Les Régions agricoles du Liban*»; Revue de géographie de Lyon, XXVIII, 1963, p.p. 47-90.

* «La Personnalité géographique du Liban». *Revue de géographie de Lyon,* 1972.

- Tardieux (André), *La Paix.* Paris 1921.

- Temperley (H.W.V), *History of the peace conference of Paris.* vol.6, London, 1924.

- Thoumin (R.), *Géographie humaine de la Syrie centrale.* Tours 1926.

- Touma (Toufic), *Paysans et institutions féodales chez les Druzes et les Maronites du XVI.s à 1914.* 2 tomes. Publications de l'Université Libanaise 1986.

- Tyan (F.), *France et Liban, Défense des intérêts français en Syrie.* Paris 1917.

- Valande (René), *Le Chambardement oriental, Turquie, Liban, Syrie, Palestine, Transjordanie, Iraq.* Paris 1932.

- Weill (R.), *La Phénicie et l'Asie Occidentale*, Paris, 1939.

- Weulersse (Jacques), *Paysans de Syrie et du Proche-Orient.* Paris 1946.

الوثائق

١- رسالة بعثت بها عصبة تحرير سوريا ولبنان الى وزير خارجية الولايات المتحدة الأميركية حول بعض الأمور المتعلّقة بوضع سوريا ولبنان. مع الاشارة الى ان الرسالة تبرز هيئة العصبة التنفيذية (١٠/ ٥/ ١٩١٨). (ص٢٠٣)

٢- رسالة ثانية وجهتها عصبة تحرير سوريا ولبنان تدعو الى دعم مطالب الشعوب الصغيرة. مع الاشارة الى انها تبرز الهيئة التنفيذية في صيغتها الجديدة (٣٠/ ٣/ ١٩٢٠). (ص٢٠٤)

٣- رسالة من سفير فرنسا في الولايات المتحدة الى وزير خارجيتها حول مواقف عصبة تحرير سوريا ولبنان ورئيسها ايوب ثابت (١٢/ ٥/ ١٩١٨). (ص٢٠٥)

٤- وثيقة تعبّر عن أماني احدى الجمعيات الاغترابية القومية (مدينة بورتو بوادري، كوبا). (ص٢٠٦)

٥- وثيقة عن جمعية طالبت باستقلال لبنان وسوريا تحت الرعاية الفرنسية بتأثير من الديبلوماسية الفرنسية. (ص٢٠٧)

٦- وثيقة صادرة عن الهيئات الديبلوماسية الفرنسية المقيمة في القاهرة، تدور على نشاط جمعية الاتحاد اللبناني وأمور أخرى (صفحتان). (ص٢٠٨)

٧- رسالة من الاتحاد اللبناني في مصر الى الجمعية اللبنانية في باريس الجمعيتان كلتاهما تطالبان بالاستقلال التام للبنان (٣ صفحات). (ص٢١٠)

٨- وثيقة تبرز الموقف العدائي الصادر عن الجمعية المركزية السورية الموالية لفرنسا إزاء جمعية الاتحاد اللبناني التي لم تسعَ الى طلب الرعاية الفرنسية للبنان

(١٩١٨/٣/٩). (ص٢١٣)

٩- صراعات اللبنانيين وشكوى بعضهم على بعض ... الى الدولة الفرنسية (١٩١٩/٢/٤) (صفحتان). (ص٢١٤)

١٠- رسالة الجمعية اللبنانية في باريس تطالب فيها الاستماع الى وجهة نظرها في «مؤتمر السلام» (١٩١٩/٢/١٤). (ص٢١٦)

١١- وثيقة تترجم موقف لجنة وكلاء شعب كسروان إزاء القضية اللبنانية. (١٩١٩/٧/٩). (ص٢١٧)

"NO PEOPLE MUST BE FORCED UNDER SOVEREIGNTY"
"UNDER WHICH IT DOES NOT WISH TO LIVE".
PRESIDENT WILSON

LEAGUE'S PROGRAM

"TO SEEK THROUGH FRANCE AND HER ALLIES THE LIBERATION OF SYRIA AND"
"MT. LEBANON FROM TURKISH RULE AND TURKISH SOVEREIGNTY, REAL OR NOMINAL"

DUPLICATE

New York City, May 10 1918

EXECUTIVE COMMITTEE

DR. E. G. TABET, President
AMEEN RIHANI, Vice-President
N. T. TADROSS, Treasurer

G. K. GIBRAN
Secr. English Correspondence

M. J. NAIMY
Secr. Arabic Correspondence

N. M. DIAB
Editor-in-Chief of "Daily Mirror"

J. M. KHOURY
Editor-in-Chief of "Ash-Shab"

S. H. BACCASH
Editor-in-Chief of "Al-Fatat"

A. A. HADDAD
Editor-in-Chief of "As-Sayeh"

N. ARIDA
Editor-in-Chief of "Al-Funoon"

E. MADI
Assistant-Editor of "Daily-Mirror"

CORRESPONDING COMMITTEES

Comite Central Syrien, Paris

Syrian Committee, London

Comite de Recrutement des Volontaires Syriens, Cairo, Egypt

Sociedad Sirio-Libanense Mexico City, Mexico

Honorable Robert Lansing,
Secretary of State,
State Department,
Washington, D.C.

Honorable Sir:

We beg to inclose herewith a duplicate of a memorial which we have the honor to submit to His Excellency President Wilson.

In addition thereto we beg to submit to your Honor what follows:

First- In the early part of the Spring of 1913, after the conclusion of the Turkish-Balkan War, a wide spread movement of reform was inaugurated in Syria. The Vilayet of Beirut, consisting of nearly 800,000 inhabitants and by far the leading section in Syria, established its movement on a representative basis. Each of the regional districts elected its own delegates through the secterian boards of the various communities, and the delegates were constituted as respective local organizations. The Beirut organization became the central body, and it was called The Beirut Reform League. That was during the Ministry of Kiamel Pasha.

Second- When the Young Turk Government returned to power, the project for reforms which the above central League had drawn up was submitted in the regular way to the Vali, then Hazim Bey. The Government in Constantinople alleged that the action of the League was revolutionary, and the League was summarily suppressed and several of its leading members were court-martialed and imprisoned. The commercial concerns of the city of Beirut, a town of more than 150,000 inhabitants, closed their doors to all transaction of business in sympathy with the League, and refused to reopen until the imprisoned members had been set free.

SYRIAN-LEBANESE LEAGUE OF NORTH AMERICA 26

Established May 1917

UREAU, R. 1130 WHITEHALL BUILDING
NEW YORK

TELEPHONE WHITEHALL 1227

LEAGUE'S PROGRAMME

ARTICLE I.—THE ESTABLISHMENT IN SYRIA OF AUTONOMOUS GOVERNMENTS—MOUNT LEBANON WITH ITS ANCIENT BOUNDARIES (GREATER LEBANON), DAMASCUS, ALEPPO, ETC.—UNDER THE GUIDANCE AND PROTECTION OF FRANCE.

ARTICLE II.—THE INDEPENDENCE OF THE SYRIAN QUESTION FROM THE HEJAZ MOVEMENT, UNDER THE FORMULA OF PAN-ARABISM, ARABIC-SPEAKING PEOPLES, OR OTHERWISE.

Copy

-6-

New York, N. Y., March 30, 1920

Dr. E. G. TABET, Hon. President

EXECUTIVE COMMITTEE

M. K. JUREIDINI, President
N. A. HADDAD, Vice-President
N. T. TADROSS, Treasurer
G. K. GIBRAN } Secretaries
M. J. NAIMY } Secretaries
J. M. KHOURY, Editor-in-Chief of "Ash-Shab"
A. A. HADDAD, Editor-in-Chief of "As-Sayeh"
N. A. ARIDA
W. J. BAHOUT
DR. N. J. BARBOUR
W. C. CATZEFLIS
S. N. MALLOUK
S. J. AKEL
E. A. ATTALAH
S. A. ANDRIA
M. S. HAWIE
A. Y. BARSA
D. N. HEDERY
J. A. ASHY

CORRESPONDING COMMITTEES

Comite National Beyrouth-Liban, Beyrouth
Comite Central Syrien, Paris
Comite Central Syrien-Libanais, Caire
Etc., Etc., Etc.

Hon. Bainbridge Colby

We have a profound faith that the lofty ideals of international justice held so highly and cherished so dearly by the American nation will lead it to lend its weight and support to the legitimate aspirations of one of those small nations for the liberation of which it has so valiantly fought and so freely spent of its blood and treasure.

Very respectfully submitted

SYRIAN-LEBANESE LEAGUE OF NORTH AMERICA

Secretary
M. J. Naimy

President
M. K. Jureidini

E. 3131

AMBASSADE
LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
AUX ÉTATS-UNIS

Direction des Affaires
olitiques et Commerciales

Nº 222

Washington, le 12 mai 1918.

Sér. E - 313 - 1

L'AMBASSADEUR DE LA REPUBLIQUE FRANCAISE AUX ETATS UNIS A SON EXCELLENCE MONSIEUR PICHON, MINISTRE DES AFFAIRES ETRANGERES.

ition du Dr. Tabet
Président Wilson
au Secrétaire
État pour la Syrie.

Le Dr. Tabet, Président de la "Ligue pour la libération de la Syrie et du Mont Liban", m'a prié de faire parvenir au Président Wilson et au Secrétaire d'Etat deux mémoires relatifs à la situation de son pays. Il y exprime l'espoir que, conformément aux principes énoncés avec éclat par le Président, les Syriens cesseront d'être soumis à la domination, fut-elle seulement nominale, de leurs ennemis historiques, les Turcs. La plus vive gratitude est exprimée vis-à-vis des Etats-Unis, de l'Angleterre et des Alliés, mais surtout vis-à-vis de la France: les Syriens veulent être libres, mais souhaiteraient que ce fût sous le protectorat de notre pays s'il veut bien y consentir, car il est mieux préparé que tout autre à fournir une aide utile pour le développement autonome de la Syrie.

Je ne manquerai pas de donner suite à la requête du Dr. Tabet, qui me demande en même temps de transmettre à Votre Excellence les duplicata ci-joints de ses deux requêtes. Il me prie aussi de vous exprimer sa profonde gratitude pour la bonté que vous avez eue de mentionner son nom dans votre courtois message du 21 mars dernier à M. Shekri Ganem, Président du Comité central syrien./.

Jusserand

Annexe à la dépêche du V. Consulat de France à Santiago de Cuba (N° 4 "Affaires syriennes" S.G. - Amérique) du 3 Juillet 1919

Vice-Consulat de France à Santiago de Cuba

100 جمعية النهضة اللبنانية

LEBANON LEAGUE OF PROGRESS

نحن اللبنانيين والمتحدرين من اصل لبناني الموقعين اسمائنا ادناه سكان مدينة بوارتو بادري في ولاية اورينتي جزيرة كوبا ~~من الولايات المتحدة~~ نطلب بلسان النهضة اللبنانية من المؤتمر الدولي في فرسايل استقلال لبنان بحدوده الاصلية ورايته الخاصة تحت وصاية الدولة الفرنساوية الحرة المحبوبة وكشعب كان مستقلا ويرجو ان يظل له استقلاله نتوسل الى الدول العظمى الممثلة في المؤتمر استماع اصواتنا واجابة مطالبنا العادلة

WE THE UNDERSIGNED LEBANONIANS AND SYRIANS OF LEBANONIANS ORIGIN RESIDENTS OF THE TOWN OF Pto. Padre STATE OF Oriente, Cuba ~~UNITED STATES OF AMERICA~~ APPEAL IN THE NAME OF LEBANON LEAGUE OF PROGRESS TO THE GREAT NATIONS REPRESENTED AT THE PEACE CONFERENCE FOR THE PRESERVATION OF LEBANON INDEPENDENCE WITH ITS OLD BOUNDARIES AND SPECIAL FLAG UNDER THE TUTELAGE OF OUR BELOVED AND NOBLE FRANCE

Las presentes firmas son copiadas por mi, del original, que he enviado el 2 de Junio del presente mes a la Lebanon League of Progress de New York. y fue legalizado por el notario de este Pueblo.

Puerto Padre 26 de Junio 1919

José Abraham

Delegado de la Comisión Siriana

COMITÉ LIBANO-SYRIEN D'EGYPTE

Nous soussignés Syriens et Libanais résidant en Egypte, unis dans une communauté parfaite de vues et de sentiments à l'égard de l'avenir de notre patrie d'origine et répondant à l'appel que les représentants de la France et de la Grande Bretagne ont bien voulu nous adresser, accueillons avec satisfaction la création du Comité LIBANO-SYRIEN D'EGYPTE dont le but est de soutenir les intérêts de notre patrie.

Nous adhérons au programme de ce Comité qui est le suivant: Affranchissement de la Syrie et son accession à l'indépendance sous l'égide de la France, et avec son aide et sa garantie, par un régime fédératif d'autonomies provinciales, laissant au Liban, déjà autonome, son caractère propre et le développement de ses aspirations légitimes. Les rapports du Liban avec le reste de la Syrie seront réglés ultérieurement suivant les circonstances.

Se rapportant aux assurances données en diverses occasions par les hommes d'Etat Français d'établir en Syrie, avec le concours des populations et dans le mutuel respect des croyances un régime d'ordre, de justice et de liberté, le Comité fera confiance à la France pour l'instauration de ce régime basé sur le principe d'autonomie.

Les adhérents seront représentés par des Comités régionaux dans les villes principales et les chefs-lieux de provinces. Un Comité Central ayant centre au Caire formé de membres choisis par les soins du Comité du Caire et d'Alexandrie sera seul qualifié pour représenter officiellement tous les Comités.

Nous ratifions par la présente la composition du Comité régional de fermé par les membres promoteurs dont les noms figurent ci-après, et nous donnerons à ce Comité ainsi qu'au Comité Central le concours le plus actif pour lui permettre de mener à bien la tâche qui lui est dévolue par le programme énoncé ci-haut.

182

Annexe à la dépêche politique du Caire No.210, du 12 Juillet 1918.

ION LIBANAISE

Le Comité de l'Alliance Libanaise du Caire a tenu Dimanche une grande réunion à l'Hotel Continental au Caire le 7 Juillet 1918.

Le Président Auguste Adib Pacha a exposé le projet de création de nouveaux Comités dans le monde entier, partout où il y a des Libanais, obéissant à des Comités Régionaux siégeant dans les Capitales, lesquels dependront d'un Comité Central qui demeurera au Caire jusqu'à la fin de la guerre, en attendant qu'un Congrès général détermine, à cette époque, la ville où il siégera.

Le Druse Abbas Effendi el Masri a lu ensuite un discours célébrant les moeurs paisibles des Libanais et la communauté de vues de la jeunesse Druse et Chrétienne qui vit au Djébel, puis l'avocat Saouda, Président du groupe d'Alexandrie, a essayé d'appuyer sur des arguments historiques et géographiques la thèse chère à l'Alliance Libanaise d'un Liban aux frontières élargies, allant de Saida au Litani et de Tripoli à l'Oronte avec la plaine de la Beckaa pour limite à l'Est. Le Liban, a-t-il dit, mérite d'être indépendant et protégé moralement par les 6 puissances européennes qui ont signé et garanti le Protocole lui donnant l'autonomie en vertu des principes pour lesquels luttent actuellement, avec désintéressement, les Alliés.. Ce serait faire injure à la France qui a aidé à affranchir les Etats-Unis, la Grèce, la Serbie et la Roumanie, de supposer qu'elle veut asservir le Liban, s'est écrié. L'orateur a cité, à ce propos, les déclarations de M. Pichon et du Président Wilson disant que les petits peuples doivent avoir le droit de décider de leurs destinées et de leur forme de gouvernement. Le peuple Libanais comme les peuples Belge, Suisse et Serbe est dans ce cas et

183

\- 2 -

et son indépendance est nécessaire au maintien de l'équilibre dans le Levant. Puis Antoun Djemaiel, le secrétaire du Comité, a adressé un appel à l'Union des Libanais.

La réunion a été assez nombreuse et il y avait un fonctionnaire Anglais du Savoy; les discours ont été fort applaudis.

Cette réunion que les cartes d'invitation annonçaient comme littéraire a été nettement politique; le Président du Groupe a déclaré qu'elle avait été autorisée par les autorités militaires Britanniques.

En dehors des déclarations résumées plus haut, une a attiré spécialement l'attention c'est la phrase suivante de M. Saouda "L'Angleterre n'acceptera jamais qu'une grande puissance s'installe au Liban".

La presse Arabe "Ahram" et "Mokattam" ne la citent pas dans leurs compte-rendus de la réunion.

Les adhérents de ce Comité qui ne dépassent pas 200 en Egypte cherchent du reste, depuis la fameuse affaire de la fausse déclaration Ribot, affirmant que la France renonçait à s'occuper de la Syrie, et publiée par le Mokattam, à faire croire aux Syriens que le Gouvernement de la Grande Bretagne ne veut pas d'une Syrie ou même seulement d'un Liban sous le protectorat Français./.

1

الاتحاد اللبناني
بمصر
ALLIANCE LIBANAISE
76 Rue Faggala 76
Le Caire

القاهرة ١٤ شباط ١٩١٩ Le Caire, le

حضرة الاخوان الافاضل والمواطنين الكرام رئيس وأعضاء الجمعية اللبنانية في باريس

بمزيد السرور والابتهاج تلقينا كتابكم المؤرخ في ٢٨ كانون الثاني الحامل الينا بشرى اجتماع اللبنانيين في باريس وعقدهم العزيمة على المطالبة باستقلال لبنان استقلالاً تاماً. وقد اشرتم في كتابكم المذكور الى برقية سبق لكم ارسالها الينا بهذا الخصوص ولكن تلك البرقية لم تصل الى الآن. وما أسفنا لعدم وصولها إلا لانه ترتب على ذلك تأخرنا عليكم بالرد عن غير قصد منا.

نحن نهنئكم ايها الاخوان بنهضتكم الوطنية ونحيي لجنتكم التي وضع المواطنون ثقتهم بها للدفاع عن حقوق الوطن العزيز ونرجو لكم كل نجاح وفلاح في خدمة قضية لبنان التي كثر المحامون فيها. نحن قمنا بهذه النهضة منذ مدة ونبذل كل مجهودنا في سبيل تعزيزها وتأييدها لاننا لم نرَ ان نترك الفرصة السانحة تمر دون ان نقوم بالواجب المقدس على كل لبناني حتى نحو وطنه. فحالما سمحت الاحوال أعلنا برنامجنا السياسي قبل كل جمعية وجاهرنا بطلب استقلال لبنان التام ضمن حدوده الطبيعية بضمانة الدول او عصبة الأمم التي أخذت على عاتقها الدفاع عن الشعوب الضعيفة بعد إنالتها حقوقها. واذا كان كل شعب قد نهض يطلب لنفسه الاستقلال والانعتاق من السيادة أليس ذلك أحرى باللبنانيين الذين مابرحوا متمتعين على كر الدهور باستقلالهم الاداري أي التام فيطلبوا ذلك الاستقلال الآن ـ بعد تقلص السيادة التركية ـ كاملاً خالصاً

1

الاتحاد اللبناني
بمصر
ALLIANCE LIBANAISE

القاهرة .... Le Caire, le

-٢-

من كل نقص حفظاً لتقاليدهم وصيانة لقوميتهم. هذه كانت مطالبنا من الدول نصيرة الحق ومعاضدة الامم الضعيفة معتقدين انه لا يجوز للوطني الصادق أن يطلب لبلاده غير الحرية والاستقلال ورفعها الى مصاف البلدان الراقية لا إبقاءها تحت الوصاية والاشراف الغريب. وقد تصدى لنا كثيرون في سبيلنا واقاموا بوجهنا العقبات لغايات في النفس واختلقوا علينا الاراجيف حتى انّ بعض الكتّاب عندكم رمانا علناً بالخيانة والمروق عن الوطنية. واذا كان من يطلب الاستقلال لبلاده يُعدّ خائناً فبأي نعت يُنعت من يطلب لها الاستعباد وإن كان يستره بألفاظ منمقة. حاول الخصم بنوع خاص ان [illegible] في عيني فرنسا محاولين إظهار تلك الأمة الشريفة بغير مظهرها الحقيقي هي التي طالما مدّت يدها لكل شعب نهض ليستقل وساعدت في الماضي على تأييد استقلالنا. لم يرضَ هؤلاء الغلاة دليلاً على حبنا لفرنسا إلا تضحيتنا باستقلالنا وتقاليدنا وقوميتنا وقلنا لهم: نحن نُحب فرنسا أكثر مما تحبونها ولكننا نحبّ وطننا اكثر منها وهي لا تريدنا إلا كذلك. على أن هذه الرواية جازت لسوء الحظ على بعض طلاب الاستعمار فوقفوا بوجهنا موقف المعاكس متفانين في ذلك تقاليد بلادهم الحرة. على اننا لم نتزحزح عن مبدأنا وواصلنا ولانزال نواصل السعي لينتصر حق اللبنانيين على اعتسافهم والدول على اقراره.

ولكن مالنا اليوم وإعادة تذكارات الماضي فالوقت وقت عمل وتطلع الى المستقبل. بيد اننا نقول لكم اننا اثناء جهادنا كنا دائماً نتطلع بالفكر الى مواطنينا النازلين في باريس لما نعرفه في الكثيرين منهم من صدق الوطنية والغيرة القومية وكنا واثقين ان تلك القوى المستكنة ستندفع الى العمل بعزم وهمة

الاتحاد اللبناني بمصر 12

ALLIANCE LIBANAISE

Le Caire le .... القاهرة

No

عندما يُتاح لي ذلك [illegible] ظنّنا

بكم يا سلالة اللبنانيين الأماجد الذين طالما سكبتم دماءهم حفظاً لحريتهم في جبالهم المنيعة . فحققتم الآمال

المعقودة عليكم فبارك الله فيكم وأخذ بيدكم في عملكم الشريف . انه لا ان يعزّ علينا أن نكون الآن بارسين

ملتقى وفود الشعوب والامم وكل تلك الوفود تطلب لبلادها الحرية من غير قيد وتنشد لاقوامها الاستقلال

المطلق ولا يكون للبنان من يطلب له إلا الاستعباد والتجرد من شخصيته المستقلة . ولكن لا لن

يدوّن التاريخ هذا العار على اللبنانيين في هذه السنة العظيمة في تاريخ الانسانية فانه لم يحرم من ابنائه من

يُسمع صوته في نشيد الحرية العام ومن يضع حجرة في بناء الاستقلال الفخم ؟

أما نحن فحال وصول كتابكم الينا نقلنا بشراه الى سائر فروع الاتحاد اللبناني في القطر المصري وأرسلنا اليكم

تلغرافاً هذا نصّه : Comité Libanais 13 Rue Chabrol Paris

D'accord sur programme. Donnons mandat agir notre nom. Cablâmes sociétés Amérique vous donner mandat. Lettre suit.

وبالفعل أرسلنا في الوقت نفسه تلغرافات الى جمعياتنا في البرازيل والارجنتين وكندا التي انتخب منها أن

نشترع فأخبرناها بتأليف جمعيتكم على قاعدة استقلال لبنان التام بحدوده الطبيعية وطلبنا منها أن تنتدبكم

عنها تلغرافياً كما انتدبناكم عنا وعسى أن تكونوا الآن قد استلمتم الردود اللازمة لمباشرة العمل باسم اخوانكم ايضاً .

نحن قائمون بالمساعي اللازمة للسفر الى لبنان والحصول على تفويض من الشعب فاذا تيسر لنا ذلك سنسرع

الى اتحافكم كما انه اذا تيسر لاحدنا السفر الى باريس فانه سيتصل بكم . هذا ورجاؤنا أن تواصلونا باخباركم

وتتفضلوا بقبول تحياتنا مشفوعة بالدعاء لكم بالنجاح التام

رئيس الاتحاد اللبناني
اوغست اديب

السكرتير العام
[signature]

[COMITÉ] CENTRAL SYRIEN 1er Juin 1918

[CORR]ESPONDANCE D'ORIENT

3, Rue Laffitte, PARIS (IXe)

Téléphone : BERGÈRE 39-27

Adresse Télégraphique : CORRESPORIENT-PARIS

DIR. POLITIQUE ET [illegible] 11 MARS 1918 Série E 313 Dossier 1

Paris, le 9 MARS 1918

A Son Excellence Monsieur Stephen PICHON

Ministre des Affaires Etrangères

PARIS

Excellence,

J'ai l'honneur de vous transmettre une motion votée par le Comité central syrien à l'effet de protester au nom de ses nombreux adhérents, contre les termes du mémorandum de "l'"Alliance libanaise" du Caire dont un journal français a publié la conclusion et qu'il dit avoir été adressée aux chancelleries des Grandes Puissances.

Cette conclusion ne tendant à rien moins qu'à prêter arbitrairement aux Libanais des sentiments que leur attitude et leurs sacrifices, pendant le cours de cette guerre, démentent, le Conseil du Comité central syrien a cru devoir, dans l'intérêt de la Syrie et du Liban, élever la plus énergique protestation contre cette manifestation susceptible de porter atteinte au renom de fidélité et de loyauté envers la France, des populations syriennes et libanaises.

Je suis de Votre Excellence, le respectueux et dévoué serviteur.

LE PRESIDENT:

Chekri Ganem

E 313-1

187

N O T E pour Monsieur G O U T

-:-:-:-:-:-:-:-:-

Vous avez bien voulu en me remettant la lettre ci-jointe de M.Ganem m'inviter à fournir à la Sûreté et à la Préfecture pour surveiller ostensiblement les Syriens dissidents . Je crois devoir signaler à votre attention l'opportunité qu'il y aurait de fournir les noms et des adresses à l'Administration. Nous pourrions alors demander que toutes la correspondance adressée à ces Syriens nous soit communiquée d'urgence pour examen sous pli à votre adresse. Ce serait déjà un point acquis. Il resterait cependant à envisager, dès à présent, les mesures que nous pourrions être amenés à prendre contre ces individus qui, àmon avis, abusent étrangement de notre généreuse hospitalité.

Le Dr. Samné m'avait dit naguere que la meilleure façon de ruiner complètement l'action de ces dissidents serait de les renvoyer en Syrie où ils seraient, à entendre le Secrétaire du Comité Central Syrien, lapidés moralement par leurs compatriotes. Je ne crois pas cependant

que M.Picot aurait à se féliciter du cadeau que nous lui ferions.

Je me permets de vous rappeler que prochainement nous recevrons, pour avis, la lettre traditionnelle de la Préfecture de Police au sujet de Khairallah au sujet duquel la carte d'identité à été refusée. Serons-nous soutenus pour sévir contre ce folliculaire ? Le question me paraît devoir, dès à présent, retenir votre attention car il est essentiel de déterminer jusqu'où nous sommes décidés à aller pour montrer à ce syrien que notre patience a des bornes. Il est évident que si se trouvant en Angleterre il avait poursuivi une politique contraire aux intérêts à la cause anglaise à l'étranger, il aurait été interné ou expulsé sans égard; mais nous ne sommes pas en Angleterre '!

Paris le 4 février 1919

Copie

COMITE LIBANAIS DE PARIS
13 Rue de Chabrol

229

Paris le 14 Février 1919

Monsieur le Secrétaire Général,

Le Comité Libanais de Paris s'adresse à la justice et à l'impartialité de la Conférence de la Paix, pour avoir le droit d'exposer par devant elle, touchant la Question du Liban, son point de vue qui est celui de l'indépendance.

La Conférence a entendu l'Emir Fayçal, délégué du Hédjaz qui a été amené à parler du Liban en exposant la Question Arabe et plus spécialement la Question Syrienne. Elle a entendu M. Chekri Ganem Syrien naturalisé français, président du Comité Central Syrien, qui représente le point de vue français.

Elle a entendu M. Bliss Directeur du Collège Américain de Beyrouth, témoin impartial dont nous apprécions la haute valeur morale.

Elle va entendre la Délégation envoyée par le Conseil Administratif du Liban, qui représente également le point de vue français.

Ne serait-il pas juste que le point de vue national dans cette Question du Liban puisse être exposé à la Conférence par un Libanais?

Veuillez agréer, Monsieur le Secrétaire Général, l'expression de nos sentiments les plus distingués.

Pour le Comité Libanais de Paris
Le Président

Le Secrétaire

71



L'ECHO DU LIBAN

Suplement au N° 3-2253 de la revue « Echo du Liban » paru le 9 Juillet 1919

Honorables citoyens Libanais,

Salut,

Attendu que le Grand Conseil d'Administration du Liban se conformant aux vœux et aux désidérat du pays aproclamé l'indépendance complète du Grand Liban « administrative politique et economique » dans ses limites historiques et geographiques avec un gouvernement démocratique basé sur les principes de la liberté de la fraternité et de l'égalité et la collaboration du Governement Français.

Attendu que le congrès de la Paix a été saisi de ce qui précede; que Sa Béatitude le Patriarche Maronite est délegué à lui présenter les doléances du peuple libanais.

Attendu que les Etats Alliés prenant en Considération nos vœux et la decision de notre Conseil Administratif considèrent le Liban non plus comme territoire ennemi occupé mais comme territoire libéré du Joug turc et comme tel reconnaissent nos droits.

Attendu. que la nation française notre grande protectrice dont nous sollicitons la collaboration effective célèbre le lundi 14 Juillet 1919 sa fête nationale considerée à juste titre comme la fête de toute l'humanité.

POUR CES MOTIFS

Et après déliberations aves les classes dirigeantes du pays representées par ce comité nous avons décidé dans une séance spéciale tenue dans la direction de notre Journal « L'Echo du Liban » d'appeler à tous nos Concitoyens à l'effet de considerer cette heureuse fête comme fête Nationale dans toutes les regions du Liban manifestant ainsi par tous les signes exterieurs notre grande joie et nos sentiments sincères envers la NOBLE NATION FRANÇAISE notre protectrice et bienfaitrice secalaire.

Jounié Liban le 9 Juillet 1919

Du Comité populaire de Kesrawan — **Prop. Rédacteur Ségéan Arège.** — **Naoum BaKhos.** — **Dr Paul Noujaim**

المطابع التعاونية الصحفية ش. م. ل.، بيروت، لبنان
شباط ٢٠٠٣

دأب مؤلف هذا الكتاب، منذ انخراطه في سلك التعليم بالجامعة اللبـــنانية، على الإهتمام بتاريخ لبنان المعاصر لا سيما في الربع الأول من القرن العشرين. وكشــفت له الوثائق التي اطّلع عليها، عن شؤون يجهلها اللبنانيون، أو معظمهم، كظاهرة الأحــزاب والجمعيات، التي برزت في الوطن والمهاجر، قبــل اندلاع الحرب العالمية الأولى، في أثنائها، وغداتها، وغرضها الاهتمام بالقضية اللبنانية: للدفاع عن الكيان اللبناني المستقــل، أو لايجاد صيغ أخرى. وتميزت الأحزاب والجمعيات هذه بميزة تنظيمية مستوحاة من بنية أحزاب الدول الاوروبية. ويسعى جورج اديب كرم، في هذا الكتاب، الى رسم صورة واضحة عنها.

صدر للمؤلف : **الرأي العام اللبناني وقضية لبنان** (بالفرنسية)؛ **قضية لبنان : أصول تاريخية** (بالعربيــة والفرنسية)؛ **سليمان كنعان؛ محاولات**.



ISBN 2-84289-413-8